مجرة الرعب

٢٤ قصة في أدب الرعب.. لنخبة الكتّاب العرب الشباب



عبدالملك هشام العثمان
محمد سلمان كامل
عمر العمودي
زينب الشمالي
علي الشمالي
خلود البوعينين
عماد منذر
فوز علي
زايد المرزوقي
عبدالرحمن العليان
ريماس المطيري

عبد الله خلف العنزي
عبد الله جبار السعدون
عمر المير
هند النوبي
فهد الملا
ناصر بوهندي
محمد الدبوس
زهور علي
زهراء عيسى
موج العتيبي
نور جلال
مبارك العريفان

أسامة المسلم





مجرة الرعب



اسم الكتاب: مجرة الرعب
الناشر: مجرة للنشر والتوزيع

مجموعة من المؤلفين



تدقيق لغوي: ناهد المعراوي
عثمان السعدون
غدير عمرو

تصميم الغلاف: شريفة الغنيم
@shosho_khalid

الإشراف العام منصة تترى للخدمات اللغوية

للتواصل مع الدارة:


DarMajarrah

DarMajarrah.com

كتابة وتحرير نسخة ال Pdf: أشرف غالب
ميساء طه



تشرف منصة تترى للخدمات اللغوية على الجوانب اللغوية والفنية لهذا الكتاب.

قُرّاء مجرّة الأعزاء، أن يقرأ القارئ العربي كتاباً بلغة عربية سليمة هو كل ما نطمح إليه لذا نأمل منكم مساعدتنا لتحقيق هدفنا الأوحد.
عند ملاحظتكم لأي خطأ لغوي سقط منّا سهواً، نرجو منكم تدوينه في الجدول أسفله ثُمّ قوموا فضلاً بأخذ صورة للجدول وإرسالها لنا على بريدنا الإلكتروني أو أي من حساباتنا في مواقع التواصل الاجتماعي، شاكرين لكم حرصكم وتعاونكم معنا.

عنوان الكتاب: ________________________________

رقم الصفحة	الخطأ	التصحيح

لأن سلامة اللغة من سلامة الفكرة، ولأننا نؤمن بأن العمل الجماعي أساس كل نجاح

Tatra.Tadqiq   Tatra.Tadqiq@gmail.com

الفهرس


ضياء
t.me/twinkling4

المقدمة

«مبادرة مجرة الأدبية لدعم الكتّاب الشباب»

بالتعاون مع عرّاب أدب الفانتازيا العربي؛ الكاتب والروائي أسامة المسلم، تُصدر دار مجرة للنشر والتوزيع كتاب «مجرة الرعب»، والذي يضم ٢٤ قصة في أدب الرعب لنُخبة من الكُتّاب العرب الشباب.
«افتح» أضواء غرفتك أو أطفِها، اجلس وحيداً أو مع من تحب، اقرأ هذا الكتاب بسرعة أو بتأنٍّ.. كل هذا لا يهم!
لأن من خلال هذا الكتاب سيجد شعور الرهبة والخوف طريقه إليك لا محالة».

الإهداء

لك.. وللذين يرونك
من حيث لا تراهم..

لا تنسَ البسملة.

(١)

«تُحُوْت»

أسامة المسلم

Osamahalmuslim

Osamahalmuslim



أهدابٌ ناعمةٌ لفرشاةٍ تتحرك صعوداً ونزولاً مبعدةً الغبار المتراكم عن منقار طائرٍ محنّط منصوب عند مدخل منزلِ شاب في منتصف الثلاثين من عمره.

يقيم الشاب لوحده في ذلك البيت الواسع الذي اشتراه من أمواله التي ورثها عن أبيه الراحل. ذلك الطائر كان واحداً من مجموعة من الحيوانات والطيور المحنّطة التي توزعت في معظم أرجاء منزله، والتي تعامل معها الشاب كمجموعة ثمينة وخاصة. العنايةُ بها وتنظيفها كانت روتيناً يومياً يمارسه فجر كل يوم قبل التوجه لعمله كمالكٍ ومديرٍ لأحد أكبر شركات الهندسة المعمارية بالمدينة.

خرج الشاب من منزله تمام الخامسة صباحاً سائراً نحو سيارته الرياضية الفارهة المركونة، واستقلها متوجهاً لمحل بيع القهوة المختصة وسط المدينة، والذي اعتاد أن يعرج به يومياً قبل التوجه لعمله. تفضيل الشاب لذلك المحل بالذات لم يكن بسبب جودة ما يقدمه فقط بل لكونه يقوم بإعداد القهوة لزبائنه بأي طريقة يرغبونها مهما كانت غريبةً وخارجة عن المألوف، مما جعل ذلك المحل يشهد يوماً بعد يوم تزايداً ملحوظاً في أعداد المقبلين عليه.

أوقف الشاب سيارته بالقرب من المحل المزدحم وأخذ مكانه في طابور الطلبات الطويل لتقديم طلبه والحصول على رقم انتظار لا يدوم طويلاً بحكم آلية العمل السريعة التي اتبعها صاحب المحل والعاملون فيه. حينما وصل الشاب للمحاسب قدّم تفاصيل طلبه المعقّد وهو قهوة سوداء بالنعناع الطازج والقليل من عصير البرتقال، وكمية كبيرة من السكر، فتبسّم آخذ الطلب وقال وهو يمدّ له الفاتورة: «أنت ثاني شخص يطلب نفس هذا الطلب الغريب.. هل هذه صيحة جديدة؟»

(الشاب): عن ماذا تتحدث؟

أشار المحاسب خلف الشاب قائلاً: أتحدث عن ذلك الشخص الجالس هناك.. لقد طلب نفس طلبك تماماً

وجّه الشاب نظره حيث أشار البائع، ورأى رجلاً يجلس على إحدى الطاولات يقلب بإبهامه هاتفه المحمول لتتسع عيناه بشيء من الدهشة، حين شاهد بأنه يلبس ملابساً مشابهة لملابسه شكلاً ولوناً، وكذلك ذقنه وشعره نُسّقا بنفس طريقته، ومع تقدمه نحوه وهو ممسك بفاتورته بيده بدأ يلاحظ المزيد من التشابه بينهما، في الهيئة والمظهر، والفرق الوحيد الذي انتبه له قبل أن يسحب الكرسي المقابل له ويجلس أمامه هو فارق العمر فقط فقد كان ذلك الرجل يناهز الخمسين من العمر تقريباً.

رفع الرجل نظره عن شاشة هاتفه حينما جلس الشاب أمامه بوجهٍ متعجب، وحين لاحظ هو الآخر أوجه الشبه الخارجي بينهما تبسم وقال: هل يمكنني أن أخدمك بشيء؟

بلع الشاب ريقه ثُمّ قال بنبرة خالطها بعض التوتر والدهشة:

المعذرة على التطفل لكن لفت نظري..

(الرجل) مقاطعٌ: وأنا كذلك لاحظتُ ذلك الآن.. هل هذه مصادفة أم مقلب؟

(الشاب): كنت سأسألك ذات السؤال..

مد الرجل يده مبادراً بمصافحة الشاب المتوتر وقال: أنا (رمزي)..

صافحه الشاب مجيباً: وأنا (كمال)

(رمزي): تشرفنا يا سيد (كمال).. بم يمكنني أن أخدمك؟

(كمال): لا شيء في الحقيقة، لكن شدّني التشابه بيننا، وأردت رؤيتك عن قرب.

(رمزي) معيداً نظره لشاشة هاتفه متصفحاً رسائله باسماً: نحن نملك نفس الذوق في الملابس فقط.. لا أرى أن الموضوع يستحق كل تلك الدهشة التي تتفجر من عينيك.

(كمال): ماذا عن القهوة التي طلبتها؟

(رمزي): ماذا عنها؟

(كمال): طلبك ليس اعتيادياً ولا يطلبه الكثيرون، أو ربما لا أحد.

(رمزي) رافعاً نظره مجدداً: لا أفهم، إلى ماذا تلمّح؟

(كمال): هذا سبب قدومي إليك وليس ملابسك.. لقد أخبرني البائع بأنك طلبت قهوةً سوداء بالنعناع مع القليل من عصير البرتقال المضاف إليها.. من يطلب طلباً كهذا؟

(رمزي): أنا.. لم العجب؟

(كمال): لأن هذا كان طلبي أيضاً.. لم أقابل أحداً من قبل شاركني نفس الذوق في القهوة

وضع الرجل الهاتف على الطاولة وحدّق متأملاً بالشاب المندهش لثوانٍ ثُمّ قال: ولا أنا.. الأمر الآن أصبح غريباً بالفعل؟.. تتناول قهوتك بالسكر أو دونها؟

(كمال): بل بالكثير منها...

(رمزي): وأنا كذلك.

(كمال): هل فهمت ما أعنيه الآن؟

(رمزي) مقترباً بأنفه عند (كمال) مستنشقاً: نضع نفس العطر كذلك.. شيءٌ مثيرٌ للاهتمام.

(كمال): هل أنت متزوج؟.. رجل بعمرك لابد وأنه متزوج ولديه أطفال.

(رمزي): لا.. لازلت عازباً ولا أفكر بالزواج مطلقاً

صمت الشاب بوجهٍ متفكر وبدا على ملامحه أنه يريد إيجاد اختلافٍ بينهما، فاستمر بطرح الأسئلة على الرجل عن أمور أخرى وفي كل مرة تكون إجاباتهم متطابقة، ولم يقطع حديثهما إلا سماع صوت البائع وهو ينادي على أرقام طلباتهما التي أصبحت جاهزة للاستلام، فهمّ (رمزي) بالنهوض لإحضار طلبه لكن (كمال) رفع كفه ومدّ يده قائلاً:

«أعطني فاتورتك، سأحضر طلبك معي..»

سار الشاب نحو المحاسب بينما بقي الرجل يتأمله بخليط من الاستغراب والتعجب..

عاد (كمال) ووضع كوبه على الطاولة ومدّ الآخر لـ(رمزي) واستأنف حديثه قائلاً: ألا تجد فيما يحدث غرابةً بعض الشيء

(رمزي) متناولاً قهوته من يد (كمال) آخذاً رشفة منها: لا أنكر ذلك، لكن لابد وأنها مجرد مصادفات وبالنهاية سنجد اختلافاً جذرياً بيننا بلا شك.

(كمال) عن أي مصادفات تتحدث؟.. نحن لا نختلف في شيء سوى الملامح والعمر وحتّى الآن نحن كالتوأم

(رمزي) بتهكم: التوائم لا يختلفون بالأشكال والأعمار غالباً

(كمال): أنت تفهم ما أريد قوله

(رمزي)في الحقيقة لا.. ماذا تريد أن تقول؟

(كمال): لا أريد أن أقول شيئاً سوى أنّ الأمر مثير للعجب.

(رمزي) محتسياً المزيد من قهوته وبنبرة غير مكترثة: وما المطلوب مني يا سيد (كمال)؟

(كمال) محتضنا كوبه الساخن بكفيه متأملاً الأبخرة المتصاعدة منه: لا شيء.. فقط أحببت مناقشة الأمر معك، ويبدو أنني قد أزعجتك بحديثي هذا وكسرت خلوتك بنفسك.. أنا كذلك لا أحب أن يقوم أحد بذلك.. أعتذر.. سأتركك وحدك لتستمتع بقهوتك ويومك.

حمل الشاب قهوته وهم بالنهوض لكن الرجل استوقفه قائلاً: انتظر... اجلس

جلس (كمال) بصمت وبوجه متأمل ينتظر حديث (رمزي) الذي قال وهو سارح في باب المحل والزبائن المتزاحمين للدخول: «سأحسم لك الأمر كي ترتاح.

(كمال): كيف..؟

(رمزي): أنا طبيب أسنان وأعمل لحسابي الخاص وأملك عيادة في وسط البلد.. هل أنت طبيب كذلك؟

(كمال): لا..

(رمزي): إذن فقد وجدنا فارقاً بيننا وانتهى الموضوع.

صمت الشاب ولم يناقش لكن كان من الواضح أن حديثاً يضج في عقله، تفجر من خلال نظرات عينيه وقد لاحظ (رمزي) ذلك

فقال: ما بك؟

(كمال): أمي طبيبة بيطرية، وكان حلمها أن أدرس الطب، وقد التحقت بالفعل بكلية الطب البشري بنية الإكمال لاحقاً في تخصص جراحة الأعصاب، لكني لم أكمل، وانتقلت لتخصص طب الأسنان كونه أسهل من غيره ومع ذلك لم أكمل سوى عامٍ واحدٍ لأنني لم أجد نفسي فيه، وبدّلت تخصصي للهندسة

(رمزي): هذا لا يعني شيئاً

(كمال): نعم ربما...

بقي الاثنان يحتسيان قهوتيهما بهدوء سارحين في الناس من حولهما دون أن يتبادلا الحديث، وكان كل واحد منهما في قرارة نفسه غير مقتنعٍ بأن الأمر مجرد صدفة ولا يستحق البحث أكثر، لذا وبعد انتهاء (رمزي) من قهوته كسر حاجز الصمت وقال: الغروب أو الشروق؟

(كمال): الشروق..

(رمزي): تدخن؟

(كمال): نعم

(رمزي): شيء تكرهه ويحبه معظم الناس..؟

(كمال) متفكراً: لا أعرف.. ربما الفانـ...

(رمزي): مقاطعاً ومكملاً حديثه عنه.. الفانيليا

(كمال) باندهاش نعم صحيح

(رمزي): تشعرك بالغثيان لمجرد استنشاق رائحتها، وينتابك شعورٌ ورغبة بالتقيؤ.

(كمال): هل لازلت تعتقد أنّ ما يحدث معنا مجرد مصادفة؟

(رمزي): لا.. لكن ما معنى هذا؟

(كمال): أخبرني أنت.. بدأت رغبتي في إيجاد فرق بيننا تطغى على إيجاد التشابهات.

(رمزي): لنبحث عن شيء من الاستحالة أن نتفق عليه أو نتشابه فيه.

(كمال): مثل ماذا؟

(رمزي): أعتقد أننا يجب أن نبدأ الدخول في بعض التفاصيل الدقيقة والحساسة والتي قد تكون محرجة بعض الشيء.

(كمال): بتوجس: ماذا تعني؟

بدأ (رمزي) بتوجيه وتبادل بعض الأسئلة الخاصة والشخصية مع (كمال) تتعلق بميولهم الجسدية والعاطفية، وضمنها بعض الاستفسارات عن قيمهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية، وحتَّى الأخلاقية، وفي كل مرة يجيب أحدهما عن الآخر. كانت الإجابات متطابقة تماماً، مما دفع (رمزي) لإنهاء الحوار بقوله: «أظن بأننا وصلنا لمرحلة لا تدعو للشك..»

(كمال): مرحلة ماذا؟

(رمزي): بأننا بالفعل نملك رابطاً مشتركاً ومن نوع خاص، ولدي رغبة في أن نستمر بالالتقاء والتعرّف على بعضنا أكثر. (كمال): لقد تخطينا هذه المرحلة لأننا فيما يبدو نفس الروح بجسدين.

(رمزي): لا تستعجل، لعلنا مع الوقت نكتشف فرقاً جذرياً بيننا.. ما رأيك أن نلتقي مجدداً هنا غداً في نفس الوقت. (كمال) باسماً: حسناً، يسعدني ذلك.

استمر الاثنان بالالتقاء بشكل يومي عند المقهى، والحديث أكثر عن حياتهم والخوض في حوارات أعمق يوماً بعد يوم، مما قرّبهما من بعضهما بشكلٍ أكبر، وقوّى الرابط بينهما، ونمت بينهما تدريجياً صداقة متينةً، ومع الوقت تحولت تلك اللقاءات لمواعيد خروج للغداء أو العشاء أو حضور بعض الفعاليات والأنشطة، واستمرت الدهشة تتصاعد وتتأجج مع كل لقاءٍ لاكتشافهما المزيد من التطابقات أكثر وأكثر بينهما وصلت لحد تطابق ألوان سياراتهما ونوعها وذوقهما في الأطعمة والأفلام والمسلسلات والموسيقى، وميولهما الرياضية والكروية، وعاداتهما اليومية، والعديد من الأمور الأخرى والتي ومع تزايدها وتراكمها أصبحت مخيفةً أكثر من كونها مدهشة.

في إحدى الليالي، وبعد تناولهما وجبة عشاء في مطعم للمأكولات البحرية، والذي بالطبع اكتشفا أنه من المطاعم المفضلة لكليهما قال رمزي وهو يمد يده في جيبه:

«أعتقد أنه قد حان الوقتُ للقيام بأمر ما...»

(كمال) ماسحاً فمه بمنديل: القيام بماذا؟

وضع (رمزي) علبة سوداء مخملية على الطاولة، تشبه تلك العلب التي تُستخدم لحفظ الخواتم أو السلاسل الذهبية، وأشار اليها بكفٍّ مفتوح قائلاً: افتحها..

(كمال): ما هذه؟

(رمزي) مُشعلاً سيجارة نافخاً سحابةً من الدخان: افتحها فقط.. أمسك (كمال) بالعلبة وفتحها ليرى مفتاحاً فقال: لا أفهم.

(رمزي): هذا مفتاح منزلي... وأريدك أن تقدم لي مفتاح منزلك.

(كمال) بتعجب: ولماذا تريد أن نتبادل مفاتيح منازلنا؟

(رمزي): أعتقد أننا تجاوزنا مرحلة هذا السؤال، لكني سأجيبك على أي حال.. أنت تملك سرداباً في منزلك مثلي أليس كذلك؟

(كمال) وهو يبلع ريقه بتوتر: نعم.. كيف عر...

(رمزي): هل لازلت ستسال مثل هذه الأسئلة؟.. كنت أنتظر أن تصارحني بالأمر، لكنك لم تتحدث فقررت أن أبادر أنا.

(كمال) وقد بدأ توتره بالتصاعد: السرداب مجرد هوا..

(رمزي) مقاطعاً مطفئاً عقب السيجارة في كأس ماء أمامه: هواية.. نعم.. مجرد هواية.. أنا أمارسها مثلك في الخفاء بعيداً عن أعين الناس التي لم ولن تفهم المتعة التي نجدها فيها، وينتابني إحساسٌ قويٌ بأنك مبدع فيها أكثر مني، لذا أريد رؤية مجموعتك الخاصة مثلما أريد منك رؤية مجموعتي

(كمال): ولم لا نذهب سوياً ونزور سراديبنا معاً؟

(رمزي): لا.. أريد أن يدخل كلٌ منا سرداب الآخر في نفس الوقت ويتجول لوحده.. أعتقد أن التجربة بهذا الشكل ستكون أمتع.. ألا تتفق معي؟

(كمال): ومتى تريد أن نقوم بذلك؟

(رمزي): الآن..

(كمال): الآن؟

(رمزي): نعم.. نحن في بداية عطلة نهاية الأسبوع وغداً إجازة.. أريد المبيت ليلةٌ في منزلك.. متأكد بأني سأشعر كما لو أنني في منزلي تماماً، مثلما ستشعر أنت بذات الشعور.. ما رأيك؟

(كمال) بشيء من التردد: أريد التأكد فقط..

(رمزي): من ماذا؟

(كمال): الهواية التي نتحدث عنها هي التحنـ...

(رمزي): نعم.. نعم.. ما بك؟.. هل لازلت تشك بأننا متطابقان في كل شيء؟

(كمال): أصدقك القول، لم أعتقد أننا نتشارك تلك الهواية

(رمزي): ولم لا؟.. نحن متطابقان في كلِّ شيءٍ تقريباً فلم اعتقدت أننا سنختلف في هذا الأمر؟

(كمال): لا أعرف.. شعرت أن هذا الأمر بالذات قد لا نتشابه فيه.

(رمزي) وقد عرفت الآن.. أنا متشوقٌ حقاً لرؤية مجموعتك الخاصة.. أفترض أنك تعرضها بنفس الطريقة التي أقوم أنا بعرضها.

(كمال) داسّاً المفتاح بجيبه باسماً: ستعرف حينما تصل لمنزلي.

بادله (رمزي) الابتسام ونهض من مكانه ومدّ يده نحو (كمال) قائلاً: ناولني مفتاح منزلك، وأرسل لي الموقع في هاتفي وأنا سأقوم بالمثل.

افترق الاثنان عند مدخل المطعم، وتوجه كل منهما لسيارته المشابهة لسيارة الآخر لوناً ونوعاً، وركباها وانطلاقا في اتجاهين متعاكسين، ليتوجه كلٌ منهما لمنزل الآخر..

وصل (كمال) لمنزل (رمزي) باكراً لأنه كان أقرب للمطعم، وترجّل من السيارة وبدأ يتأمله من الخارج في دهشةٍ لتطابق ألوان الدهان والأحجار المستخدمة لتلوين وتطعيم جدرانه الخارجية، بالرغم من اختلاف التصميم قليلاً، وزادت دهشته وذهوله حين وقف أمام الباب الذي تلون كذلك بنفس لون باب منزله وقال محدثاً نفسه:

«ما يحدث بالفعل أمرٌ غير طبيعي»

مد (كمال) المفتاح وأدخله في ثقب الباب، وأداره مرتين لفتحه لأنه يعلم مسبقاً بأن (رمزي) لابد وأنه يقفل بابه بالقفل مرتين مثله تماماً، ليضع بعدها يده على المقبض ويديره بهدوءٍ وحذرٍ ويدخل للمنزل رافعاً كفّه الأيسر مشعلاً الضوء، لتنكشف أمامه غرفة معيشة كبيرة، انبهر منها في الحال ليس لجمالها أو فخامتها فقط بل لتشابهها حدّ التطابق مع غرفة معيشته من حيث الألوان والتصاميم والديكورات والتحف الموزّعة في أرجاء المكان. حتّى موقع التلفاز والأريكة الرئيسية كانتا في نفس الموقع كما هو الحال بمنزله.

تجوّل (كمال) بخطوات بطيئة وسط المنزل وجال بنظره من حوله متأملاً أدقّ التفاصيل بانبهار، وبدل أن يتوجه لمدخل السرداب الذي يعرف مسبقاً

أين يقع وهو في الجانب الأيمن من المنزل، دفعه الفضول للتوجه للمطبخ وتحديداً للبراد وفتحه وتفحص محتواه من الأطعمة والمشروبات والتي كانت كلها بلا استثناء من المفضّلات لديه، أتبعها بفتح الفريزر ليرى بأنها امتلأت بمثلجات بأنواع مختلفة لكن بنكهة واحدة.. الفراولة.. مفضلته هو الآخر... تبسّم الشاب وأغلق الثلاجة والفريزر وسار نحو المكان الذي خمن أن به مدخل السرداب، وبالفعل وجد باباً حديدياً وحينها تبسم وقال:

«بابي أنا خشبي.. هذا أول اختلاف يا (رمزي)..»

أدار (كمال) المقبض وأشعل قابس الضوء بالأعلى قبل أن ينزل، لكن مع تقدّمه نزولاً عبر السلالم اكتشف اختلافاً آخر عن سردابه، وهو أن الضوء لم يمتد لينير المكان بالأسفل، بل أنار فقط درجات السلم مما دفعه للاستعانة بكشّاف الضوء بهاتفه للبحث عن قابسٍ آخر لينير المكان. حينما وصل لنهاية السلم وقعت عينه على ذراعٍ معدني كبيرٍ رُسمت فوقه رسمة لصاعقة صفراء فرفعه مُشعلاً مجموعة كبيرة من الكشافات الضوئية البيضاء المتوهّجة في السقف أضاءت منها بالتدريج مصدرةً صوت طرقاتٍ قوية حتّى أنارت المكان كلّه كاشفةً عن منظرٍ مُفزع.

شاهد (كمال) كمّاً هائلاً من الأجساد العارية لرجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ بين معلّقة على الجدران والسقف وأخرى منصوبة على صلبان وسط المكان، يحيط بها عددٌ من الرفوف صُفّت بها مجموعة كبيرة من الجرار الزجاجية التي حوت على أعضاء جسدية متفرقة تعوم في سائلٍ شفّاف، وتتوسّط الغرفة طاولة مخصّصة للتشريح عُلقت خلفها مجموعة من أدوات التشريح بمختلف الأحجام والأنواع، وسترة جلدية خضراء ملطخة ببعض الدماء الجافة.

بقي (كمال) ينظر ويتأمل بفزعٍ تلك التفاصيل المرعبة بفمٍ مفتوحٍ، ولم ينقطع سرحانه إلا حينما رن هاتفه كاسراً حاجز الهدوء المخيف ليرفعه ويرى اسم (رمزي) ينير الشاشة. تردّد بالإجابة في بادئ الأمر، لكنه في نهاية المطاف فتح الخط وقرب السماعة من أذنه ولم يقل شيئاً، وبعد ثوانٍ من الصمت تحدث (رمزي) بصوت بارد وقال:

أعتقد أننا أخيراً وجدنا فرقاً بيننا...

(كمال) بصوت مرتجف: أين أنت لآن؟

(رمزي): في سردابك الجميل الممتلئ بالحيوانات المحنّطة.

(كمال): ماذا الآن؟

(رمزي): أخبرني أنت.

(كمال): كيف تمكّنت من قتل كل هؤلاء الناس دون أن يُكشف أمرك؟

(رمزي): هل سؤالك من دافع الفضول أم التعلّم؟

(كمال) بشيءٍ من السّخط: تعلّم ماذا أيها المجرم؟!.. أنا لست مثلك!

رمزي) بهدوء: أغلق هاتفك إذن واتصل بالشرطة.. ماذا تنتظر؟

(كمال) قبل أن يغلق الخط: وهذا ما سأقوم به الآن!

صباح اليوم التالي فتح (رمزي) عينيه من نومٍ عميقٍ قضاه على فراش (كمال) ليراه يجلس على طرف السرير ينظر للأرض أمامه.. تبسم وقال له: ماذا تفعل هنا؟.. كنت أظن أنني سأستيقظ في زنزانة.

(كمال) زافراً دون أن يلتفت إليه: كيف..؟

(رمزي) معتدلاً في جلسته مسنداً ظهره للوسادة خلفه: كيف ماذا؟

(كمال) بصوت مشحون بالهمّ والتعب: كيف تجاوزت إحساسك بالذنب للقيام بما قمت به؟

(رمزي): الأمر أسهل مما تظن. (كمال) ملتفتاً إليه: لقد قاومتُ تلك الرغبة طيلة عمري، وجاهدتُ نفسي لمنعها من القيام بما قمت أنت به ولا زلتُ أعاني.

(رمزي) باسماً بخبث: لست مضطراً للمعاناة أكثر.. فقط أطلق العنان لنفسك وستجد متعة لن تجد مثلها أبداً.. أول مرة هي الأصعب ومن بعدها ستعتاد الأمر.

(كمال): لعل هذا هو الفرق بيني وبينك..

(رمزي): فرق ماذا؟

(كمال): أنني لازلت أملك انسانيةً تمنعني من التصرّف كالحيوانات.

(رمزي) ضاحكاً وهو ينهض من السرير: حيوانات كالتي تقتلها وتحنطها؟!.. لا تخدع نفسك أيها الضعيف.. كلنا حيوانات ونعيش في غابة والبقاء للأقوى والأشرس.. وأنا ملك هذه الغابة!

(كمال) رافعاً رأسه موجها نظره لـ(رمزي) الذي وصل عند باب الغرفة في نية للخروج؛ وأنت أيها الحيوان ستحصل على ما تستحق..»

وضع (رمزي) يده على رأسه وشعر فجأةً بالدوار وأخذ بالترنح..

(كمال) بنبرة ساخرة وهو يراقب ترنحه: ما بك يا ملك الغابة؟

(رمزي) وهو يفقد وعيه بشكلٍ متسارع: ما الذي يحدث؟!

سقط بعدها على وجهه مغمىً عليه ليُخرج (كمال) حقنةً فارغةً من جيبه آخذاً بتأملها لثوان ثُمّ قال:

«ما سيحدث هو أنك ستكون أنت أول قطعةٍ في مجموعتي الجديدة..»

(٢)
«لأن أحداً لم يتذكّر»

محمد سلمان كامل

Untamed.books

انتشرت الرسومات الغريبة على الجدران، ولم يكن من الممكن تجاهل شكل المرأة التي ظلت تظهر في كل الرسومات، ومن بين الخربشات التي انتشرت على الجدار بأكمله. وحدها النافذة عرضت صورة صافية لليل، من دون أن تشوهها تلك الرسومات الطفولية المرعبة. ربما يكون من الغريب أن أمزج في وصفي مدى صبيانية تلك الرسومات، والقلق الذي كانت تبعثه في قلبي، لكنها كانت كذلك ببساطة.

أردت أن أخرج، وأن أنادي أصحاب المنزل، وأن أخبرهم بما رأيته، حتَّى يتأكدوا من أن أمر تلك الرسومات قد تجاوز حده، وأن هذه الأمور لا يمكن الصبر معها. هم أصحاب المنزل، وعليهم إيقاف هذه المهزلة الغريبة، طالما أن ابنهم الوحيد هو المتسبب بها.

عندما خرجت من حجرتي، لم يكن هناك أي صوت في الخارج. أوقعت ببصري من فوق السلم، فلم أجد أي ضوء يشير لوجود أحد في الأسفل. عدت بسرعة إلى غرفتي حتَّى أتأكد من أن تلك الرسوم الغريبة لا تزال موجودة هناك، ولم يخفيها أحد عني هذه المرة أيضاً. لكن مع عودتي وجدت الجدران خالية، وبدت الحجرة أوسع مما كانت عليه قبل لحظات، حين ملأت قتامة الأقلام السوداء جدراني الأربع.

لم أرغب في قضاء وقت أكبر في حجرتي، لذلك ارتأيت الانتظار في حجرة المعيشة في الطابق الأرضي. سيخفف عني هذا خوفي، وسيشعرني بأنني أكثر أماناً هنا. مر الوقت ببطء، وأنا أحارب إرهاقي وخوفي، وحين طال انتظاري تركت المذياع يعمل، لكن صوته لم يكن يشكل أي ضوضاء في المكان.

ما إن دخلت المطبخ، حتَّى سمعت صوت الباب يُفتح. رأيت السيد، والسيدة يدخلان، والرجل وحده يحمل وليد. طلبت من روجته أن يحمله إلى الطابق

العلوي فوراً، وهذا كان كفيل لأن يحملني على تأجيل امتعاضي مما يحدث في المنزل. أحببت الصبي، وكذلك كنت أشعر بأن رعايته واجب حقيقي، وهذا ما دفعني لأن أغار من فكرة اصطحابه للخارج وحيدًا، وتركي هنا من دون أن أقوم بأي شيء.

- هل تركت المذياع يعمل، قبل خروجنا؟

- لا، رد السيد، فراحت زوجته تطفئ الموسيقى.

رمته بنظرة تأنيب أو عدم تصديق، فتواريت خشية من أن تلومني السيدة على تمادي في منزلها. كنت أخشى أن أسبب مشكلة أكبر بينها هي والسيد. انتظرتهما حتَّى يصعدا، ثُمّ تسللت إلى حجرتي، من دون أن يراني أحد.

ما إن وضعا الطفل ذو الأعوام الأربعة في فراشه، ورحلا حتَّى أصبحت حرة في مراقبته. لا أخفي عن أحد أن هذا هو أكثر طفل أحببته من بين الذين عملت على رعايتهم، يختلف عن مسألة شعوري بالراحة هنا، أو حبي للعائلة مجملاً. كان المنزل هادئا بشكل ممل، لكن كون الطفل ذكي بما يكفي، كان يشعرني شعوري بالراحة والمتعة معه، وهذا يجعل مهمة رعايته أكثر سهولة. راقبته، وهو مستلق في فراشه، وصوت جدال السيد والسيدة يتسرب إلى حجرتنا الغارقة في الظلام.

مسدت شعر الطفل، ولمست بأطراف أصابعي وجنته فابتسم. خشيت أن تعود والدته، وتراني أرعاه بقدر أكبر مما هو مطلوب مني، فتغضب أو تشعر بالغيرة بسبب ذلك. كان عليّ التظاهر بحب أقل مما أكنه لهذا الفتى الصغير.

- وليد، همست فضاقت عيناه المغلقتان، ثُمّ ابتسم من جديد.

في صباح اليوم التالي، وجدت المزيد من الرسومات على أوراق وليد. كانت والدته تقرأ كتابا ما في الطابق السفلي، وكان الفتى قد طرح أقلامه الملونة فوق الأوراق، وراح يلهو بدماه البلاستيكية معيراً كل انتباهه لها، كما لو أني لست موجودة.

حملت الأوراق، ورأيت الصور الطفولية الخالية من كل علامات الدقة على الورقة، أعواد سوداء نحيلة ورأس دائري عليه تعابير الذعر، وخربشات حمراء حول الجسد. هل تشكل هذه الخطوط الحمراء دماء حول جسد المرأة الخائفة؟ قلبت الأوراق فرأيت صورة المرأة واقعة في حفرة ضيقة. يبدو أن هذا الصبي الصغير، قد تصور جرمية ما قبل أن يدرك مفاهيم القتل حتَّى؟

- ما هذا الذي رسمته هنا؟ إنها مرعبة؟

تجاهلني الطفل، مما اضطرني لتكرار السؤال مرة أخرى، ومرة ثالثة بنبرة أكثر جدية. هبط المجسم البلاستيكي من يده، وتلاشى صوت الطائرة المزيف الذي شكله بفمه.

- لا أعلم. قال وهو يهز كتفيه.

ثم أفلته عندما عجز عن حمله طويلاً. اقتربت من الكلب فراح ينبح مذعورًا، ثُمّ تجمد في مكانه وأظهر عدائية صغيرة تجاهي.

- ما الأمر؟ ماذا به؟ سألت السيدة.

همست بخجل وأنا أتراجع:

- لا بأس. قلت ذلك وتركت وليد مع والديه، ثُمّ انسحبت وأنا أشعر بالخجل من جديد.

لم يتقبل الجرو الصغير وجودي أبداً، وكنت أشعر بالغيرة لأنه راح يسرق وليد مني. مرت الأيام التي تلت وجدوه، بهدوء، لا وجود لأي نشاط مريب في المنزل، وهذا يريح السيدان كثيراً. كانا يعتقدان بأن وليد يمتثل للشفاء من تلك الأعراض التي أصابته بغتةً.

في إحدى الليالي، بينما أنا مستلقية عاجزة عن النوم، رأيت الخربشات تنتشر على الجدران. وتغطيها كأنها أغصان من الطباشير السوداء، تغرق الجدران ببطء، وتغطي كل الحجرة. لا أتذكر آخر مرة تمكنت فيها من النوم بشكل مريح، وفي معظم الأوقات أنسى كيف يبدو ذلك. الأرق يصيبني في معظم الأيام، وفي هذا المساء لم أكن بحاجة إلى جرعة منه، لأن الذعر تكفل بكل شيء.

ظهرت صورة أخرى على السقف. منزل، وحديقة، وقلب صغير في تلك الحديقة. كان أحدهم يشير إليّ من خلالها أو أنه يهددني بأن هذا هو شكل مصيري الآتي. رفعت جسدي فوجدت عبارة أخرى على الجدار منعتني من النهوض فوراً.

رافقينا يا أمل، لا تفعلي هذا مجدداً. تجمدت عيناي على تلك العبارة، ولولا أني سمعت صوت حركة خلف الباب، لبقيت عالقة في هذه الوضعية. نهضت بصعوبة من مكاني، وفتحت الباب ببطء. كان الجرو يقف أمام باب حجرتي، يقفز ويدور حول نفسه، وهو ينبح غاضباً. قام بحركة سريعة وقفز ليهاجمني. كان صغير الحجم، ويكفي أن أدفعه عني ليستسلم، لكنني دفعته بقوة أكبر مما يتطلب الأمر، وكان خوفي هو السبب.

طار الكلب من مكاني، وضرب الدرابزين بعنف، ثُمّ تدحرج للخلف وسقط من الطابق الأول. سمعت صوت جسم صغير استضم بالأرضية. تقدمت

بسرعة نحو الدرابزين، ووجدت الكلب يقاوم إصابته، لكنه لا يتحرك من مكانه.

عدت بسرعة إلى حجرتي، وأغلقت الباب خلفي. وقفت مولية ظهري للباب وأحاول نسيان المسألة. لن أعترف بأنني قمت بهذا. سأتظاهر بأنني نائمة. صرخت السيدة، وهذا هو كل ما سمعته حينها. كانت تلقي بأسئلتها إلى زوجها:

- من فعل هذا به؟ يا إلهي.

لن تتفهم أبداً أنني لم أقصد هذا. ستعتقد بأنني شريرة، وأنا لست كذلك... لست شريرة ولا يمكنني أن أثبت لها بأنني بريئة ومحاولة قتل جرو صغير كانت مجرد حادثة.

في الحجرة لم يكن هناك أي كتابات، ولا صور أخرى. كل شيء قد زال، وربما كان هذا كله جنون مني أنا. لا، عليّ أن أقف في صفي هذه المرة، لن أكون عدوتي أنا أيضاً. لست مجنونة، وما ظهر كان حقيقي، والرسومات التي يعتقدون بأنها لوليد، هي الدليل الدامغ، على صحة عقلي.

تردد صوت السيدان في المنزل، وسمعت وقع أقدامهما يصعدان إلى حجرتهما من جديد ويعاودان الهبوط. خرج السيد وحده وهو يحمل الكلب. استقل سيارته وانطلق تحت سماء الليل الحالك بعيداً عن المنزل. لم أكن غاضبة مما حدث ولست خائفة أيضاً أنا خارج شكوكهما. أردت فقط أن يمضي الوقت وتُنسى هذه المسألة.

سيتطلب علاج الحيوان بعض الوقت، لذلك لا يجب على وليد أن يفتقده لأنه سيعود قريباً. أصبحت من جديد صديقة وليد الوحيدة، ولن يحاول ذلك

الكائن الصغير أن يسرقه مني. كان الطفل يقود دراجته في الحديقة. وأنا أتبعه بخطى بطيئة. سألته:

- هل تفتقد حيوانك الأليف؟

- نعم، لا أعلم لماذا هرب. قال وهو ينظر إليّ مترقبا إجابتي.

- لم يهرب، إنه يحتاج إلى بعض الرعاية وسيعود بعد ذلك. ألم تقل والدتك بأنه يجب أن يُشفى أولاً، حتَّى يستطيع أن يجري معك؟

زم الطفل شفتيه، وبدا أنه تاه في عدة أفكار صغيرة تلائمه، ويعجر عن تفريقها. لا بأس في ذلك، قلت لنفسي، عليه أن يفهم ما الذي يريده، كما يجب أن يستوعب العالم بطريقته الخاصة.

- ألا تحبينه؟ سألني.

- بلى، لكنه صديقك أنت وليس صديقي.

- يمكننا جميعاً أن نكون أصدقاء، لن أحبه أكثر مما أحبكِ أنتِ لأنك المفضلة لديّ.

ابتسم كلانا للآخر، بينما كان يقود دراجته مشكلاً حلقة كبيرة فوق العشب. حين شعر بالتعب، اقتربت منه، وقلت له:

- هيا يجب أن تعود إلى المنزل، وإلا فإنك ستمرض تماماً كالجرو. رحت أقلت حيواناً مريضا.

أفلت وليد ضحكة صاخبة، فقلدت الحيوان من جديد، فضحك بصوت أعلى. غرق كلانا بالضحك، وكنت سعيدة لأنني لا زلت قادرة على إثارة إعجاب

هذا الصديق الصغير. خرجت والدته بسرعة ونادته مذعورة. ترك الطفل دراجته واتجه إلى الباب الخلفي للمنزل، حيث كانت السيدة تقف.

- ما الذي يضحكك؟ تساءلت، قبل أن تسحبه معها إلى داخل المنزل.

لم أتحرك من مكاني، كنت لا أزال جالسة على ركبتي، وأراقب الباب المغلق بتعجب. ما الذي يضحكه؟ لماذا عساها تسأله عن ذلك؟ نهضت بتكاسل، وتبعتهما إلى داخل المنزل. كانت السيدة تتشبث بيد وليد، وباليد الأخرى تحمل سماعة الهاتف الأرضي وتقف صامتة منتظرة أحدهم أن يجيب عليها.

انسحبت من ورائها، ووحده وليد الذي لمح هروبي من والدته التي بدت غاضبة. ابتسم لي من جديد، فغمزته وأشرت له لكيلا يشك بي. صعدت إلى حجرتي من جديد، وبقيت هناك حتَّى تحتاج السيدة إلى مراقبة لوليد.

في ازداد الوضع سوءا، وكانت تلك أكثر اللحظات رعباً بالنسبة إليّ، وللسيدة أيضاً. لم يكن زوجها في المنزل، ووليد كان غارقاً في النوم كعادته. انتشرت الرسوم في الممر الفاصل بين الحجرات. صعدت السيدة، وراقبت بصمت كل الصور المرعبة التي رُسمت على الجدار. كنت أفعل هذا بصمت معها.

- يا إلهي. بالكاد كان صوتها ينبعث. ليس مجدداً.

ألقت الأم نظرة على وليد المتهم الأول في هذا، لكنه كان نائماً. لا تعلم متى حدث ذلك، ولعله فعل ذلك قبل أن يأوي الطفل إلى فراشه. لكنها كانت برفقته حين نام، ولا بد من أنها ستلاحظ وجود هذه الرسومات بعدما خرجت من حجرته. إنها حديثة.

هبطت إلى الطابق السفلي لتتصل بزوجها. خمنت ذلك وكنت محقة فيه. سمعت صوتها، وهي تتحدث إليه، وتأمره بالعودة إلى المنزل. سمعت حينها وقع أقدام تجري في الممر، لكنني لا أراها. سمعت نساء يضحكن، وشعرت بأن شيء ما سيظهر أمامي فجأة. أغلقت عيناي، ورحت أصغي لصوت الهمسات القريبة مني.

- لا تتظاهري بأنكِ لا ترين هذا.

تجاهلت تلك الجملة، وانتظرت عودة السيدة إلى هنا، لكنها تأخرت، وقبل أن تظهر أمامي، ردد الصوت الأنثوي جملة أخرى.

- يجب أن تكوني معنا. فتحت عيناي، فلم أر شيئا. صعدت والدة وليد، واتجهت إلى حجرته لتحمله من فراشه، وتأخذه إلى غرفتها هي

كلاهما بأمان الآن، لكن لا أحد يكترث لأمري. وقفت حانقة أشعر بالغيرة. راقبت باب حجرتها المغلق، وفكرت في وليد، وهو برفقتها وليس معي لكي أحميه أنا. ومضت المصابيح القليلة المشتعلة في جانبي الممر. شعرت بالجدران تهتز حولي. كنت خائفة، وأردت أن يتوقف هذا كله.

- يا إلهي. صرخت السيدة من خلف الباب.

إنها عاجزة عن حماية وليد، لذلك تقدمت، عرضت عليها أن تبقيه معي لكنها لم تصغي إليّ. كانت تنتحب، وهي تحارب الرعب الذي نعيشه كلانا، ضربت الباب بقوة لكي تخرج وتعطيني وليد، صرخت أولاً، ثُمّ بكت بصوت مرتفع.

- اتركونا وشأننا. يا إلهي فلتحمينا. خرج صوتها مرتعشاً.

سمعت صوت سيارة زوجها تقف عند المنزل. هدأت الحركة الغريبة في المنزل، وتراجعت بدوري عن باب حجرتها قبل أن تفتحه، وتنطلق حاملة وليد معها إلى الأسفل. دلف الأب للداخل، فراحت السيدة تشرح له بكلمات غير مفهومة ما حدث.

- لا يمكننا البقاء هنا. قالت أخيرًا.

- اهدئي، لا يوجد أي شيء هنا.

ربما كان من المفترض أن يسود الهدوء بعد ذلك؛ هذا ما لم يحدث. تواصل رنين الهاتف لثلاث أو أربع مرات متتالية، وفي كل مرة كان الصمت هو ما يجيب على الطرف الآخر. في المكالمة الأخيرة سكتنا جميعاً، وترقبنا الإجابة التي سيتلقاها السيد، ظهرت ضوضاء سريعة، وبعدما تلاشت أتت ضحكة أنثوية وحدي أميزها، ثُمّ انتهت المكالمة

- لا شيء هنا، إن أحدهم يحاول إثارة قلقنا لا أكثر. ربما يكون الأمر مجرد دعابة.

- دعابة ممن؟ الجيران؟ أصدقاؤنا. تلك الرسومات، وما حدث للمنزل بأكمله، لا يمكن أن يكون كله مجرد مزحة صغيرة.

هدأت السيدة لوهلة قصيرة، ثُمّ أضافت: هذه الليلة لن تنتهي، لا أستطيع أن أنام.

في صباح اليوم التالي، أدركت بأنني وحدي العاجزة عن النوم. كان السيدان ووليد غارقون في النوم، متجاهلين الرعب الذي حدث في الليل. حين استيقظوا، خرجوا مع وليد ليعيدوا الجرو إلى المنزل، بعد أن عالجه الطبيب البيطري.

استغلت أشباح المنزل وحدي، وراحت تتلاعب بي. وجدت أوراق وليد قد قُطعت من كراسته، وتناثرت على الأرض، وعليها رسوم مختلفة لفتيات قُتلن بطرق بشعة، وكانت تشكل جرائم متعمدة. تركت الصور على الأرض، ولم أكلف نفسي عناء إزالتها حتَّى، وأردت أن تكون هذه هدية السيدان بعد أن يعيدا الكلب إلى المنزل.

أنتِ ميتة.

هذا ما كُتب تحت الورقة التي رُسمت عليها فتاة مطعونة. كانت ترتدي زي الخادمات، ورأسها محني للخلف باستسلام، بينما الخطوط الحمراء تغطي بعض الأجزاء من صوتها. نظرت إلى الفتاة الموجودة على الورقة وتخيلتها أنا. وضعت يدي على الورقة وتأملتها جيدًا.

سمعت صوت صراخ يتردد في رأسي، وأغلقت عيناي لأستحضر مشهداً سريعاً لرجل كان يحاول الاعتداء على شابة وحيدة، لكنه في النهاية طعنها بسكين المطبخ التي لم تكن حادة بما يكفي لأن تقتلها فوراً. كانت الشابة تشبهني تماماً، غارقة بدمائها، بينما يحاول الرجل جرها.

حسناً، ربما أنا ميتة، لكنني لا أعتقد ذلك. لا يمكن لأن ينهي الموت وجود أحدهم من دون أن يدرك الآخرون بأنه كان يوماً ما موجود بينهم. يمكن أن يختم الموت حكايات كثيرة، لكنه على الأقل يُبقي أثر يدل على البقاء الافتراضي لهذه الحكاية. يجب أن يكتشف الآخرون وجودنا هنا يوماً ما.

جر الرجل الفتاة الميتة إلى الباب الخلفي، ثُمّ سحبها إلى الهواء الطلق. لست متأكدة من أن تلك الشابة هي أنا، فأنا لا أتذكر بوضوح ما حدث. لماذا أنا هنا؟ وكم طال بقائي في هذا المكان؟ تلك التساؤلات لا إجابة لها، فأنا لا

أهتم لأي تفاصيل بعيدة عن مهمتي في رعاية الطفل الوحيد في هذا المكان. لطالما كانت هذه وظيفتي.

حين عاد السيدان إلى المنزل، تركا الكلب يتحرك بحرية، وأول ما فعله هو أن أشهر عدائيته تجاهي. تركته يحاول هجومي، لكنه لم يصبني بأذى. حاول وليد أن يمنعه قائلاً:

- توقف عن إيذائها.

سأله والده:

- إذاً من؟

- صديقتي، إنها هنا الآن. أشار نحوي، لكن لا أعتقد بأن أحداً غيره هو والجرو الصغير يراني. كنت أقف أمام الجميع بوضوح، وأستسلم لفكرة ظهوري، لكن لا أحد يراني. شعرت بخيبة أمل كبيرة تجاه ذلك.

فكرت فيما يمكنني فعله لكي أعلن عن نفسي ولم أجد فكرة أنسب من خروجي إلى الحديقة الخلفية، حيث رأيت الفتاة تجر. تبعني الكلب بسرعة، لكنه ما إن خرج حتَّى تجاهلني وراح يحفر أسفل الشجرة الكبيرة. أراد السيد أن يحمله ويعيده، لكن مسألة وليد كانت تقلقهم أكثر.

- أين هي صديقتك يا وليد؟ سألته السيدة.

- تقف حيث يحفر.

أدرك السيدان بأن عليهما أن يحفرا حيث كان الكلب يُنقب. كانت تلك مهمة الرجل وكل ما حفر أسفل الشجرة، يقترب من اكتشاف خلل ما في التربة.

في النهاية كانت الحقيقة سبب ذهول الجميع، لأنهم وجدوا ما يشبه القبر هناك.

- علينا الاتصال بالشرطة. قال الأب، وهو يحمل الهاتف، لم تكن التغطية قوية بما يكفي لأن يتم الاتصال، لكنه راح ينتظر.

اهتزت جدران المنزل من جديد، وكان هذا واضح للطفل حتَّى. صرخ وليد، وهو يعتقد بأنني أنا السبب. طلب مني أن أوقف هذا، لكنني أخبرته وحده بأنني خائفة مثله ولا أستطيع إيقاف من يحدث. تمكن السيد من الوصول للشرطة، ولم يُعطل ذلك أي شيء.

بعد ساعة، امتلأ المكان بسيارات الشرطة، وكانت عملية الحفر قد اكتملت. وحتَّى الآن اتضح أن هناك أربعة جثث مدفونة. طلب ضابط الشرطة إخلاء المكان، والتحقيق مع الزوجين، لكن كون الجثث مدفونة قبل شرائهما للمكان، فإن هذا يعد دليل براءتهما.

قال الشرطي للسيد بسخرية:

- جريمة يكتشفها كلب، هذا مثير للسخرية.

- كنا نعيش في مقبرة من دون أن نعلم. كان هذا رد السيد.

عاد أحد الأفراد إلى الضابط وقال له، بإنه تم التعرف جثتين حتَّى الآن، فالقاتل دفن هويتهن معهن. الأولى كانت محفظتها لا تزال في ثيابها، ولم تتعرض هويتها لأي أذى، كان اسمها سارة. أما الجثة الأخرى، كانت تدعى أمل، وهي مربية عملت لدى الملاك السابقون للمنزل.

ربما تكون تلك مجرد مصادفة أخرى. الاسم ذاته، والثياب ذاتها لم يشكل هذا أي فارق بالنسبة إليّ. جلست أراقب ما يحدث من دون أن يلاحظ أي

أحد وجودي. وليد لم يعد هنا، كان مفتونا بكلبه، وسعيد لأنه سيرحل معه. لا أحد يراني الآن.

رحل الجميع بعد ذلك، وتُرك المنزل فارغا لأيام.

عاد السيدان إلى المنزل بعد فترة قصيرة. علمت من خلال حديثهما معاً، بأن الشرطة قبضت على قاتل الشابات الأربع. علقا خارج المنزل لافتة تبيّن أنه معروض للبيع. ظننت بأنهما سيرغبان في اصطحابي معهما، لكن هذا لم يكن أولوية حتَّى. سمعت تحركاتهما في المنزل. جمعا ما يحتاجان إليه، وانسحبا من جديد. راقبتهما من نافذة حجرتي وهما يبتعدان عن المنزل.

أدركت في تلك اللحظة، بأن وجودي لا يشكل أي أهمية لأي شخص، حتَّى وليد الذي كنت أترقب ظهوره مرة أخرى رحل ولم يفكر بالعودة من أجلي. تركوني هنا وحيدة، كما فعلت العائلة الأخرى. ربما كان عليّ أن أتصالح مع فكرة بقائي هنا للأبد، وليس عليّ إلا أن أنتظر العائلة التالية، ربما يكون معهم طفلاً آخر.

(٣)

«شبوب اليال»

زينب الشمالي

zooz_ash

- «بدر»، أسرع بزوجتك فأختك تلد

قال «مساعد» جملتهُ تلك وجرى عائداً إلى منزله، حافيًا يرتدي وزاره الأزرق ملفوفاً حول خصره، ليتبعه «بدر» بعد فترةٍ برفقة زوجته «شيخة». وما إن وقفَ على باب منزل أخته الطيني حتَّى اخترقَت أذنيّ صرخةٌ لأخته «دلال» التي يحاول أن يفرّ من أحشائها رضيعٌ أطال الإقامة فيها.

دخلت «شيخة» للغرفة، وانتظر «بدر» و«مساعد» في صحنِ الدار وقوفاً تحت السماء، قال «مساعد» بوجلٍ تلمع في عينيه الغارقتين في سواد جفنيه: أرجو أن لا نفقده هو الآخر.

فاقترب «بدر» منه وسحبه من ملابسه ناهرًا: لا تفكر بهذا وإلا صببتَ علينا الهلاك.

وأردف هامساً: أتندم على القربان الذي ينجينا وأسرنا جميعا؟

صرّ على أسنانه وأكمل: إنّ قرابينكَ المقدسة التي حفظتنا.

رفع «مساعد» بصره نحو صديق عُمره وخالَ أبنائه الذي لم يذوقوا حلاوة الحياة، وسأله: وماذا لو كانوا أطفالك؟

ارتعد «بدر» لذلك السؤال وتركَ صاحبه ثُمّ خطا للخلف سارحًا، وتعالت شهقاتُ بكاء رضيع صغير قاطعة بذلك نقاش الرجلين الذي احتد تواً، ووقفَ «بدر» أمام بابَ غرفة أخته مهنئًا، وزوجها يبكي لفرحته بالطفل الذي كوفئ به بعدما قدم ابنتيه الرضيعتين قرباناً مقدسًا. إذاً فما قاله صاحبه صحيح، فها هي قرابينه قد آتت أُكلها.

كان الرجالُ كـ «بدر» وصاحبه مختلفون عن رجالِ القرية الصغيرة، فلم يكونوا يرتدون الغترة أو القحفية، بل كانوا حسيري الرأس على غير سنةِ رسول الله التي تربى عليها أبناء القرية، وحليقي الأذقان، وكانت أعينهم ذات أجفانٍ علويةٍ سوداء تلونت بكحل النساء طويلاً عندما كانوا صغارًا حتَّى امتصت الأجفان لونها فأمست قاتمة بذاتها، ونساؤهم كنّ يرتدين العباءة لامتصاص غضب الأكثرية الغالبة وليس التزاماً بها، وقد رفضن منذ عقود ارتداء غطاء الوجه «البوشية» ولم يستطع أحدٌ إجبارهن، وقد كانت روائحهن تفوح في الطرقات والفرجان، وأصوات خلاخيلهن وأساورهن تُطرب الآذان وتأسرُ العقول.

وقد كانت منازل تلك الطائفة الغريبة تتوزع بين منازل أهل القرية وتتوغل في نسيجها، رغم رفض المجتمع البسيط لهم، إلا أنهم عاشوا بينهم وتعايشوا معهم بما يحفظ خصوصيتهم عن الجميع، ويُسدل عليهم ستاراً من دخانِ غرابةٍ وشك.

كان النداء لقرآن الفجرِ يُصدح به على مأذنةِ مسجد القرية، وقد بدأت جموع الرجال والشباب تزحفُ نحو المسجد لتلبي داعي الله، وكعادته رفع حجي «شهاب» صوته بالتهليل والتكبير عند خروجه من منزله، ليأتيه صوتُ جاره الشابُ «مساعد» من داخل منزله:

أخفض صوتك، نحن نيام.

هزّ حجي «شهاب» رأسه أسفاً وأمسك بكم ولده «أحمد» وسحبه مشيرًا له أن اصمت، وسارا مبتعدين باتجاه المسجد قال «أحمد» بغضب: إنهم فُسق، ما دام مُستيقظًا لمَ لم يخرج للصلاة؟

أجابه والده: رُبما يصليها في منزله.

رمق الشابُ والده بنظرة تعجب وقال: «يبا صل على النبي»، لم نرَهم قط في المسجد، إنهم لا يصلون، وفي نهار رمضان تتصاعد روائح طهوهم وتملأ الفرجان.

قال الأب بغضبٍ: «أحمد» انتبه لنفسك ولعبادتك ودع الخلق للخالق، نصحناهم ومددنا لهم كفوف الودّ لكنهم رفضوا أنطردهم من ديارهم؟

ما إن سيطرت الشمسُ على سماء القرية الساحلية تلك حتَّى طُرق باب «فنر» السيدة العجوز التي تجعد كلها حتَّى راحتيها، ففتحته وأدخلت السيدة الملتحفة بالسواد وقالت: يا هلا بـ«سارة»، بشري. فرفعت «سارة» غطاء وجهها الذي جعلته من طبقتين لتخفي هويتها عن الرائي، وقالت وهي تشير بكفها المليء بالعملات النقدية، والتي أثارت خرخشتها كلبَ «فنر» الضخم بلسانه الطويل المتدلي من فمه: أحسنتِ يا «فنر»، «شغلج مظبوط»، لقد تطلقت ضُرتي، وهذا أجرك.

وخرجت «سارة» منتشية بانتصارها على ضُرتها من منزل العجوز، وخرجت من بعدها بدقائق «فنر» العجوز مرتديةً عباءتها بإهمال على شعرها المنسدلِ الذي يصلُ تركبتيها الضعيفتين، وقد تقوس ظهرها لكبر سنها فكان منظرها مخيفاً إذا ما سارت ليلاً في فرجان القرية، وسارت حتَّى وصلت لمنزل «مساعد» ودلفت إليه من دون طرقٍ يُسمع ونادت: يا أهل البيت، أين أنتم؟

خرجت «شيخة» من غرفة «دلال» وقالت: أهلاً وسهلاً بكبيرتنا، «دلولة» رُزقت بولد.

ابتسمت «فنر» براحة وقالت: شعرتُ بذلك، لقد أسر لي حراس البحر.

ثم سارت كالأفعى تجر قدميها، ودخلت على الأم ووليدها، وتلقفت الوليد ثُمّ أسرت بأذنه ما أفزعه فانفجر باكياً، وناولته والدته «دلال»، ثُمّ غادرت قائلةً بفرح: يا عظيم الشأن يا سيدنا، باركنا يا (شبوب اليال).

وظل الرضيعُ يصرخُ بعد خروج العجوز الدقائق طويلة حتَّى وخزت «دلال» خنصر كفها الأيمن بإبرة ووضعت إصبعها في فم صغيرها فرضع من دمها قليلاً حتَّى هدأ، ثُمّ تناول ثديها ليرضع غذاءه.

وقفت «شيخة» عند عتبة الباب والعباءةُ على كتفيها، وقالت: سأرسلُ لكم من غدائنا يا «دلولة»، غذّي الصبي جيداً ونامي. وسارت وهي تجرّ عباءتها خلفها على التراب، تاركةً إياها معلقة على ذراعيها كاشفةً رأسها وكتفيها وظهرها، ورائحة البخور تفوح من مفرقها، والجدران تتقاذف صدى زينتها، بينما تركت «دلال» تتأمل الصبي الرضيع الذي يتغذى من جسدها، فانحنت عليه واشتمته وسألته: أتراكَ تبقى لي؟ أم سأدفعك لـ(شبوب اللبال) كأختيك.

مرّت الأسابيعُ سريعاً بعد ولادة ابن «مساعد»، والقريةُ لا تنفك تحارب جماعة العجوز «فنر»، وتحاول إصلاحهم، وكانت الدواوين تناقشُ قضيتهم وما هم عليه من ضلال وفسق كلما اجتمع فيها الرجال، فقد كان المجتمع المتدين يخشى عقاب الله ونقمته التي ربما تحل عليهم بسبب فجور تلك الجماعة، وقد قام في إحدى الليالي شابٌ حديث العهد بالزواج وقال بين جموع الرجال: في فجر ذات اليوم من كل عام أرى بعضَ البقايا تطفو بجانب مركبي، إصبعٌ صغير، أو قطعةٌ من جلد غض، في آخر مرةً وجدتُ عيناً على الشاطئ، إن شيئًا دموياً يحدث.

صاح شيخ كبير: لم يكن علينا أن نصمت على ما يفعلون، ولا أجدادنا، ستحل علينا لعنات الله وغضبه.

وتتداخل الأصوات من دون أن يقدم أحدهم حلاً لطائفة غريبة تستوطن أرضهم منذ زمن.

كانت لطائفة (شبوب اليال) أيامٌ مقدسة كُثر، كيومِ الخصوبة وفيه يصطاد الرجال بعض حيوانات الحصني وبعد منتصف الليل يؤتى بها لشاطئ البحر، وأثناء رقص أجمل النسوة وقد كانت أجملهن في تلك الآونة «دلولة» سمراء مكتنزة الجسد، طويلة السيقان، التي لطالما تغزل بها بعضُ شباب القرية ومراهقوها، وحاول بعضهم الظفر بها لولا أهاليهم المتدينون، ونظرات «فنر» المرعبة.

وتتمايل «دلولة» وجرسُ خلخالها يرسلُ لحنًا يحمله الهواء للمنازل كلها، وتميل بشعرها الطويل فترسم خطوطًا به على التراب تحتها، على أنغام مزمار تعزفه الأمواج لهم، أو يعزفه من ركِب الموج وسكنه. وبينما لا تزال حيوانات الحصني حية تُبقر بطونها، فتتقدمُ «فنر» كبيرتهم وهي ترتدي قناعاً جلدياً طُرز بخيوط ليفية خشنة، وتمدُّ كفيها فتُمزِقُ أرحام الإناث من تجاويفها الداخلية، وتناولها النساء ليأكلنها بتلذذ واستمتاع، وكذلك يُفعلُ بأعضاء ذكور حيوانات الحصني الذكرية ليأكلها الرجال، وذلك لطلب الخصوبة والوفرة في الولد لعامهم القادم.

كان منزلُ المُلا «علي» المُطوع المحفظّ للقرآن يقع قريباً من السوق، وكان دائم الاكتظاظ بالصبية الصغار، وبالرغم من قسوته عليهم أنشاء الدرس، كان ينضحُ حناناً وحبًا ولا يملّ أبداً من مداعبتهم وملاطفتهم في الطرقات أو حتَّى في منزله قبل ابتداء درسهم، ولم يلجم المُلا عطفه وحبه عن الصغار ذوي الأجفان السوداء الذين يراهم يتجولون في السوق أو الفرجان، فكان يلاطفهم دائماً ويسابقهم أحيانًا، وذلك ما كان يؤذي «فنر» كبيرتهم ويخيفها، فهي لا تريد لصغارهم أن يميلوا لأحد غيرها وجماعتها.

وفي إحدى الليالي عندما كانت أصواتُ العزف والغناء الغريبة تلوثُ نقاء هواء القرية، كان الشباب الغاضبون لدينهم في منزل المُلا يقنعونه بضرورة التصرف وعدم السكوت والتغاضي. فقال المُلا بهدوئه المُعتاد: يا أعزائي، أنا أفهمُ غضبكم، لقد كنا فيما أنتم فيه الآن قبل سنوات، ولكن كما يقال «العين بصيرة واليد قصيرة». فقاطعه أحدهم: يدنا ليست قصيرة، يمكننا طردهم وشرورهم من أرضنا.

التفت إليه المُلا بتعجب: أرضنا! أوليست أرضهم أيضاً؟ ألم يعيشوا هنا على هذه الأرض منذُ عقودٍ خلت؟

ثم صمت قليلاً وجال بعينيه بينهم، ثُمّ أردف: علينا أن ننصحهم، نحذرهم من غضب الله ونغريهم بأجرهِ وثوابه وجناته، تماماً كما فعل الأنبياء قبلنا.

قال شاب بصوت قلّ غضبه: وإن لم يرتدعوا؟ إنهم في إثمهم منذ زمن بعيد كما قلت أنت، لم يرتدعوا ولم يعاقبوا أيضاً.

هز المُلا «علي» رأسه بشفتين مزمومتين أسفا، وقال: «رشود» أنسيت ما علمتكم إياه؟

وأردف يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ - آل عمران -

صمت الشباب ودارت أعينهم تتفكر بما هم فيه، فربت المُلا على أكتاف بعضهم وقال: نبي الله نوح صبر على قومه أعوامًا طوال إذ يدعوهم فلا يزدادون إلا طغيانًا، ونحن سنقتدي به ومعاشر الأنبياء، ونفعل ما علينا أمام الله، فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، نقاطعُهم ولا نواصلهم أو نعقد عقدًا معهم، ننصح ونحاول حتَّى ولو زادهم ذلك إصرارًا على الباطل، فبعد صبرِ نوحٍ عليه السلام أتى الطوفان، وإن لم تروا عذاب الله الدنيوي

لهم، كونوا على يقين أنه لن يفوتهم عذاب جهنم الذي توعدهم بها الله تعالى.
ثُمّ ابتسم وقال: هداكم الله جميعًا، وبارك فيكم...

وأشار المُلا لـ«أحمد» بينما ابتعد أصحابه، فاقترب منه «أحمد» الشاب الطويل كحيل العينين، فهمس له المُلا قائلاً: تعوذ من الشيطان، وغُضّ بصرك عن ابنتهم.

اكفهر وجه الشاب وأنزل رأسه استحياءً، ثُمّ قال: أحاول أن أفعل، لكنهم...

قاطعه المُلا قائلاً: لذلك هم فتنةٌ لنا، قاوم نفسك واستعذ بالله من شرها وشر شيطانها، لا تُفلت زمام نفسك يا ولد.

ثم جرّ كُمه فأنزله إليه ليهمس في أذنه: غُضّ بصرك.

وعندما افترقا كانَ المُلا يردد بعلو صوته قاصداً المرور بين منازلِ الشؤم تلك: (وَقَالَ نُوحٌ رُبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) - نوح -

لقد كانت الليلة الأكبر والأعظم عند طائفة، هي ليلة طقس الزواج، الطقسُ المقدس الذي تفتتح به الطائفة سنتها الجديدة، وقد كانت تنتظرها «فنر» كلّ عام. فإذا أتت تزينت العجوز وتعطرت وخرجت لحوشِ دارها الكبير، ثُمّ جلست على كرسيها الخشبي الذي نُصب في منتصفِ الحوش وعلى يمينها وشمالها اصطف الرجال والنساء مزينين تتلامع حُليهم تحت ضوء الشعل النعسة التي تتلامع في قلوب الفنرات المحمولة.

وصرخت العجوز: ليُقدس (شبوب اليال) كما يجب.

وتعالت الأصوات بنفسٍ واحد: شبوب اليال، شبوب اليال...

واهتزت الشعلُ مع غناء الرجال المتحلّقين حول النسوة اللاتي يتراقصن بشعورهن يمنة ويسرى، ويضربن بكفوفهن على أفخاذهن وأجذاعهن تتمايل مع أنغام غناء الرجال بكلمات لغةٍ قديمة تكاد أن تندثر تُقدس ساكن البحر، خليط الماء والنار، عظيم الجسد وشديد الغضب.

وضربت السيدة الكبيرة على ذراع الكرسي فتوقف الجميع وارتدت النسوة عباءاتهن فاختفين تحتها، ثُمّ ربطن أجراسًا على خلاخيلهن ووقفن استعداداً، وجلس الرجال في مكان وقوفهم، ثُمّ وبانتظام بدأوا يضربون أفخاذهم ويصفقون ليشكلون لحناً رتيباً من تلك الضربات والصفقات. وأشارت الكبيرة فجرّ «بدر» يحلة كانت خلفه - جرّة وهي وعاء من البورسلين استخدمه أهل الخليج لحفظ المياه وتبريدها، وقد حولها البحارة إلى آلة موسيقية، وكذلك فعل «مساعد» ورجلين بجانبه، وبدأ الأربعة العزف على تلك الجرة الخزفية متناغمين مع بقية الرجال، وبدأت النسوة رقصهن، فكن يتمايلن مع دقات كفوف الرجال على جرارهم، وكان المنظرُ مخيفاً في حوش السيدة الكبيرة.

وكان على المرأة الراقصة أن تستمر في رقصها حتَّى إذا خارت قواها أخذها الرجلُ الذي سقطت عليه لتكون زوجته للعام المقبل حتَّى عودة يوم الطقس، ولا يهم حين ذاك إن كان ذلك الرجل قريب لها أو غريب عنها. وقد كانت «شيخة» و«دلال» لا يسقطن إلا عند أزواجهن في الخمسة أعوام الفائتة، فلم تضطرا للزواج من رجال آخرين، وعندما انتهى طقس العزف ذاك، وحُمل الرضعُ الذين ولدوا في عامهم الفائت، وعددهم خمسة ووضعوا على الأرض أمام الكرسي الكبير، ثُمّ أُحضر كأسَ الشراب المحرّم على سكان القرية إلا «فنر» وجماعتها، والتي شربت منه ثُمّ أشارت للبقية أن يشربوا حتَّى يستعدوا لاختيار القربان.

كان قلب «دلال» كطبل يُضرب مُعلناً الحرب منتظراً بلهفة نتيجة القرعة. وتقدمت «فنر» من الأطفال فقصت من شعورهم القليل، ثُمّ وضعت ذلك الشعر في كأس شرابها وسكبته على أقدام الصغار الملفوفة بمهادهم، وتفرق الجمع الوقوف أمام الرضع الخمسة حتَّى يمر كلب «فنر» الأسود الذي دبغته بختم على ظهره ولسانه منذ زمن بعيد، وقف قليلاً أمام الصغار النائمين ومرر لسانه عليهم جميعًا فلطخهم بلعابه النتن، وظل يُقلب رأسه بين ابن «دلولة» وابنة «حصة»، وتوقفت الأنفاس، وانحشرت القلوب في الحناجر تترقب قرار مرسول (شبوب اليال)، حتَّى مد رأسه وبأنيابه جرّ ابن «بدر» و«دلال» ذي الأربعة أشهر وأبعده عن أقرانه الصغار ثُمّ تركه وابتعد واختفى في ظلام المنزل.

وسقطت الأم وغابت عن الوعي بين يدي زوجها المرتجفة، وحملت «فنر» الرضيع الذي لم يُسمَّ بعد إلى البحر خلف منزلها وجماعتها تسيرُ خلفها، و«دلال» وزوجها يسندُ كلّ منهما الآخر، فوضعته على رمل الشاطئ وابتعدت حتَّى وقفت بين أفراد طائفتها عند حدود المنازل وحُبست الأنفاس حتَّى تلجلج الماء المالح أمام القوم وبدأت نيرانُ قرني (شبوب اليال) تعلو شيئاً فشيئًا، ولاح رأسه أسفل قرنيه ببشرةٍ جافةٍ متشققة وجبهةٍ عريضة مجعدة، وعينان صغيرتان تتوسطها فتحتي أنف، ثُمّ فمه الذي كان أطرافهُ تصل إلى تحت أُذنيه، وبرزَ جسده الضخم الصخري الذي تتلامعُ في مفارقه الحمم، يسير بعكس تيار الجزر الذي يسحب مياه الشاطئ بعيداً عن رماله، ثُمّ وقفَ (شبوب اليال) أمام ذلك الصغير الباكي ومد ذراعه الطويلة التي كانت تصلُ إلى ساقيه، وبكف له أربعة أصابع طويلة سحب الرضيع للأعلى ثُمّ استدار عائداً لعرينه تحت البحر وهو يلوكُه بين فكيه العريضين المليئين بالأنياب المدبّبة الحارقة وصُراخ الألم يملأ هواء البحر حتَّى أسكته

الموت تماماً، واختفى (شبوب اليال) تحت الماء تاركاً بقايا ابن «دلولة» تطفو على الماء وفي عيني والدته وقلبها.

لم تكن الليلة سهلة على «مساعد» وزوجته المفجوعة، فعندما أراد أن يحتضنها دفعته بعيداً وقالت: ألا ترى؟ إن هذا جزاؤنا لتلاعبنا بطقس الزواج.

صرخ زوجها مدافعًا: ولمَ نُعاقب نحن؟ أولم يغش أخاك أيضاً.

اقترب منها وأمسك ذراعيها بقوة وقال: لن أتزوج امرأةً أخرى كل عام، أريدك أنت هل هذه جريمة؟

توقفت «دلال» عن بكائها ونظرت لزوجها العاشق وقالت: ربما هي كذلك لـ(شبوب اليال).

احتضنها «مساعد» وربت على ظهرها بحنان وقال: لو أحرقني بحممه وعلقني على قرنيه، لن أتركك لغيري أبداً.

رفعت رأسها إليه تنظر في عينيه الدامعتين، وأسرت له بما جال في خاطرها فهدأت أنفاسه، وسارت القشعريرة في جسده الضخم، فطبع قبلة طويلة على جبينها، وفاضت دمعةٌ من عينيه سقطت على عينها واختلطت بدموعها.

في الصباح تسمر بعض من في السوق يراقبون «بدر» يركض تاركًا دكانه جارًا «شيخة» التي أخبرته تواً أن منزل أخته بابه مقفول ولا أحد يجيبُ طارقه، كان يركضُ والخوف ينهش قلبه، فهل غادرت أخته وزوجها القرية؟ لا يمكن لأحد الخروج من نطاق (شبوب اليال)، لا يمكنهم ذلك،

إذاً لمَ أُقفل الباب؟ أبوابهم لا تقفل أبداً، لا حرمة لمنازلهم، الدخول مسموح للجميع وفي كل وقت، فما الذي حدث الآن؟

تسلق «بدر» الحائط، وقفز لداخل المنزل، ثُمّ فتح الباب لـ «شيخة» ونادى أخته كثيراً فلم يجب أحد، ووجدها أخيراً وزوجها معلقين في مشانق من صنعهما في غرفة نومهما متاقبلين، وعينا أخته الفاتنة مفتوحتان جاحظتان كادتا أن تسقطا من محجريهما، وقد ازرقت شفتاها وشحب سمارُها، ودشداشة «مساعد» تقطرُ عرقاً وبولاً، ويكادُ جسده الضخم أن يكسر عمود السقف الذي عُلق به، فصُدم «بدر» مما رأى، وتهاوى من عليائه منحني الرأس يملؤه الأسى والألم، ثُمّ دفن رأسه في حضن زوجته التي سقطت واستندت على الحائط مرعوبة تفيض عينيها بصمت.

حمل «بدر» نفسه إلى منزل الكبير ودخل عليها صارخاً: لقد قتلا نفسيهما يا كبيرة، أختي وصاحبي ماتا....

كانت الكبيرة على سريرها وتحت لحافها، فاستوت جالسة ببطء عند دخوله، ثُمّ هزّت رأسها قائلة: كنت أظن أنهما سيتوبا وسيأتيا طلباً للرحمة.

توقف «بدر» عن نحيبه، ومسح وجهه بكمه قائلًا: ما الذي تقصدينه؟ ممَ يتوبان؟

نزلت الكبيرة ووقفت أمام الرجل المنكوب، ثُمّ سحبت ثوبه فنزل جالسًا على ركبتيه، وقالت له وهي تنظر عميقاً في عينيه: لقد غشت أختك في طقوس الزواج لعدة أعوامٍ الآن، وقد كانت القرابين كفّارة لذنبها لتتوب وتترك «مساعد» لنساء أخريات.

صمد «بدر» أمام عينيها التي تنفذُ إلى أعماق روحه وتفتش فيها عن ذنبٍ مماثل، فقال: وما أدراك أنها لم تلتزم القوانين؟ ها أنا ذا أمامك متزوج من «شيخة» بأمر (شبوب اليال) من دون خُدع.

بدا أن عيني الرجل نجحت في اختبارها، فتركته وجلست على كرسيها الخشبي في الطرف المظلم للغرفة، وقالت: أخبرتني إحداهن أن أنتبه لها أثناء الطقس، فهي تخدعنا، وقد تأكدت من ذلك ولمدة ثلاث سنوات خلت، ففي كل عام تسقط على «مساعد» في نهاية الطقس، لكنها لم تبدو مُهلكةً أو تعبةً أبداً بعدها، فلا قدميها ترتجف ولا شفتيها تبيض.

فسقط «بدر» ومدد جسده أمام عتبة الغرفة وقال: وقتلتِ أطفالهما لذلك؟ ألم تجدي عقاباً أخف ألماً؟

وضربت الكبيرة الأرض بقدميها وزمجرت: لم أعقابهما أنا، أخبرت (شبوب اليال) بالأمر، وقال إنه سيراقبها خلال الطقس، وكلما تلاعبت بشروطه سيرسلُ مبعوثه ليختار جنينها.

فقفز «بدر» من مكانه وزحف على ركبه الأربعة بسرعة حتَّى وصل لطرف فستانها فأمسكه وقال باكيًا: لكنها كانت سعيدة مع «مساعد» ما المشكلة لو أنهما بقيا لبعضهما؟ لم وُجد طقس الزواج هذا أصلا؟

لتهمس بأذنه كثعبانٍ يقذفُ سُمه: يجب أن تختلط الأنساب، وتُدنس الحُرمات، ويُنجسُ الصغار، وإلا من أين حصلنا وأجدادنا على المال والمتاع والدكاكين؟ والمنازل وصناديق الذهب المدفونة هنا وهناك؟

ورفعت رأسها ثُمّ ربتت على رأسه وقالت: لننعمَ بعطاياه يجب أن نعطيه ما يريد يا بني، أعلمُ أنك حزين لكنهما أخطآ، كان يريد منها التوبة فقط.

وحُملت الجثث كما هي إلى البحر ما إن خيّم الظلامُ على القرية، فوضعتها أيدي البشر وحملتها أكف الماء بعيداً، ووقف الأخُ المفجوع بأخته وصاحبه في مكانه على الشاطئ عندما ذهب الجميع هو وزوجته و«فنر» خلفهما، وقبل أن تتركهما قالت: انتبها، فهو يراقبكما أيضاً.

همست «شيخة» لزوجها بغضبٍ بعد خلو المكان: لو أعرف هوية تلك الواشية؟

قال «بدر» بجمود: ولمَ؟ معها حق، لم يكن علينا أن نخدع سيدنا.

فشدته زوجته بغضب: حقاً؟

وصفعته على خده ثُمّ أكملت: كانت تلك فكرتك وصاحبك أيها العاشق، أم تراك مللتني الآن بعد خمس سنوات متتاليات؟

بكى «بدر» وسقط على الرمال الناعمة عند قدمي زوجته، فجلست بجانبه وضمته، ثُمّ قالت: سأتصرفُ أنا يا بدري، سأتصرف.

بعد شهورٍ وبينما كانت القرية تبحث في سمائها عن هلال بُشرى شهر العبادة، كانت طائفة الضلال تتجهز لطقسٍ آخر، فكانت الأمهات طوال نهار ذلك اليوم تجهزُ أثواباً لبناتهم وأولادهم من جلود حيوانات الحصني التي كانت قد قُتلت وأُكلت في طقس الخصوبة، ثُمّ يتركون ويقومون بالبحث عن صناديق الذهب والهبات الأخرى على الشاطئ التي يتركها لهم (شبوب اليال)، بينما تبحث أمهاتهم عن الأصداف والقواقع التي تُطحن ويستخدم مسحوقها في أعمال السحر والتقرب لسكان أعمق فجوات الجحيم.

وقد كانت كبيرتهم في تلك الأثناء خلفهم تراقبهم بصمت وابتسامة فخر تُقوّس تجاعيد شفتيها، بينما كانت «شيخة» وبالخفاء تبثُ سموماً في عقل «سدرة» التي تجمعُ الأصداف بجانبها، فقد كانت تقول هامسة: لا أعرف ما الفائدة من هذه الطقوس؟

زجرتها «سدرة»، وهمست بخوف مشيرة نحو العجوز «فنر» بطرف عينها: اصمتي وإلا سمعتك.

فرمقتها «شيخة» وقالت بخفوت: لن تسمعني الساحرة، حتَّى وإن فعلت فلن تخيفني.

ثم اقتربت منها ورفعت كفها كما لو أنها تريها بعض الأصداف، وهي تقول بذات النبرة: هذه كُلها ألاعيبها حتَّى تحكمنا، وإلا لم علينا أن نتزوج وننجب، ثُمّ نقدم أبناءنا أضاحي، بينما هي لم تتزوج قط، ولم تنجب أبداً.

ثم سارت «شيخة» مبتعدة عن مستمعتها، تاركةً إياها وسط تساؤلات مخيفة، وربما مهلكة، فهم لم يُشككوا بممارستهم أبداً، لم يسأل أحدهم نفسه يوماً لمَ لي أمٌ واحدةٌ وآبائي كُثر؟ لمَ أسرقُ دجاجة الجيران بدلًا من شراء واحدة؟ لم عليّ أن أكره نداء صلاتهم رغم عذوبته؟ لم يجبُ أن أهرب من الطريق الذي يمر فيه المُلا «علي» أو أمام المسجد؟ أو ربما كانت هذه التساؤلات تقبع في عقولهم بانتظار من ينكشها.

أثناء عودتها تلك الليلة مع ابنتها وولديها من على الشاطئ وجدت زوجها «بدر» يجلسُ على عتبة منزل أخته، فأرسلت أبناءها للمنزل وحدهم وجلست بجانبه وطيبها يلمعُ على عُنقها بسبب حرّ تلك الليلة، فقالت له وهي تتأملُ مُحياه الشاحب: كيف حالك يا عزيزي؟ فطفحت عيناه بسرعة أغرقت خديه، وقال لها: متعبٌ، ولا دواء لتعبي.

ابتسمت له وأمسكت كفه وقالت: سيمضي، لقد فقدانا أعزاءنا من قبل، الموت محيط بكل شيء يا حبيبي، ولا مفر منه.

أخفض رأسه وقال متألمًا: لكن وجهها لا يغيب عن عقلي يا «شيخة»، جمالها الذي تلاشي وغيّبه الموت.

ثم ربتت على كتفه، فقال لها مطمئناً: سأعود قويًا يا عزيزتي.

ابتسمت له ووضعت رأسها على كتفه ثُمّ همست: يجب عليك ذلك، فقد بدأت بتنفيذ خُطتي، وسنتحرر قريباً يا بدري.

وأخيرًا أعلن كبيرُ القرية والإمامُ أن هلال رمضان شوهد في الأفق وعليه فغداً أول أيام شهر رمضان المُبارك، والذي تكرههُ «فنر» لانقطاع اتصالها بمن تعشق لثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين بأمر إله القرية الواحد، وكما اقتنص أفراد القرية فرصة الشهر المبارك للعبادة والتقرب إلى الله بالطاعات، اقتنصت «شيخة» فرصتها وألقت شبكتها في بحر العقيدة المتزعزعة عند بعض نسوة طائفتها، فكانت في أحد الأيام في منزل «راحة» تقول لها وصوت الملعقة يصدحُ في الأرجاء أثناء اصطدامها في أطراف كأس الشاي التي قدمتهُ لها سيدة المنزل: فكري يا «راحة» فلطالما كنت الأذكى.

ثم ارتشفت قليلاً من شايها وأكملت: لمَ لا يتواصل معانا (شبوب اليال) بل معها فقط؟

وسكتت للحظات ثُمّ أردفت: لأنه غير حقيقي.

قالت «راحة» بسرعة: لكننا رأيناه...

فضحكت «شيخة»: «راحة»؟ أنسيتي أنها ساحرة؟ وساحرةٌ مخضرمة لا قاعَ لبحرها.

ثم شربت ما تبقى في كأسها وقامت واقفة قائلة وهي مغادرة: حتَّى إنها لم تُعلمنا سحرها كله إلى الآن، حتَّى لا نكشفها.

والتفتت قبل خروجها بحركة مدروسة، ثُمّ قالت غامزة: إنها تستمع باستعبادنا ليس إلا، لا شيء حقيقي.

وقد امتلأت شبكتها بالفعل عندما هلّ هلال عيد أهل القرية الساحلية، وكان يومُ العيد يوماً مُباركًا يتجمع فيه سكانُ القرية، ويتبادل الجميع الحبّ والمودة، وتعلو القرية غيوم السعادة والفرح، وكان عيداً كذلك لـ «فنر» التي تتجهُ للبحر فتحيي (شبوب اليال) وتشتم عبقه الذي حُبس عنها في رمضان المسلمين.

كانت «شيخة» في شهر حملها الخامس عندما حلّ آخر طقوس العام الحالي، والذي بعده بشهرين يأتي طقس الزواج مرة أخرى فيُفتتح به عامهم الجديد. ودخلت «شيخة» منزل الكبيرة بكبرياء وهي ترمق النسوة بنظرة ذات مغزى خفي، واصطف الرجال استعدادًا لوداع العام الصارم، وبدأ العزف على اليحلة فتقدم الرجال هازّين أكتافهم، وتقدمت الكبيرة وبيدها طائرُ غراب أسود، فوقفت في وسطهم وبسكين حادة نحرت الطائر، وملأت كفها بدمه، ثُمّ سارت ومسحت اكتاف الرجال ووجوههم بدمائه ونزلت فلطخت أكتاف الرجال الذين يضربون على اليحلةِ أيضاً، و«شيخة» توسوس لمن بجانبها بحذر أثناء جلوسها خلف كرسي الكبيرة مع بقية النساء.

ولدهشتهم أتاهم صوتُ إمام المسجد قائلاً: اتقوا الله، في أنفسكم، خلق الله الليل للراحة والعبادة، لقد أشغلتمونا عنهما بإزعاجكم هذا اتقوا الله، وكفو عن هرطقتكم.

كانت هذه المقاطعات نادرة لكنها موجودة، وبالرغم من دهشتهم لجرأة الإمام عليهم هذه المرّة وليس شبابهم كالأحيان السابقة، إلا أنها كانت الشرارة التي انتظرتها «شيخة» فصمتت تاركةً أثرها يسري في النفوس المتشككة حولها، وما إن انتهوا من وداع عامهم زحف كل رجل وزوجته وولده لمنازلهم، وتوسدت زوجة «بدر» سريرهُ بجانبه تنظر لوجهه النائم وتحدث نفسها قائلة: لن أسمح لها بأن تبعدنا يا عزيزي، لن أخضع لها.

ومر الشهران المتبقيان من دون جديد في حال القرية، حتَّى حلّت أول ليلة في عامهم الجديد، واستعدت «فنر» لليلة طقس الزواج فتزينت وتعطرت وجلست على كُرسيها الخشبي العظيم تنتظر. وطال انتظارها، ففتح الباب ودخلت «قماشة» وزوجها «سيف» ومن خلفهم أختها «بزّة»، ولمّا رأوا حوش المنزل فارغ من أصحابهم همست «قماشة» لزوجها: ألم أقل لك؟ أترى ذلك؟

همست «بزّة»: لم يأت أحد، لسنا وحدنا من فقدنا الثقة، ها هو برهانك.

فخرج الثلاثة كما دخلوا بهدوء، يسحبون أذيال الضياع، والحيرة.

واقترب الفجر، وعجوز (شبوب اليال) على كرسيها صامتةً كجثة وكلبُ الجحيم بجانبها يلهث، فرفعت رأسها إلى السماء للحظات ثُمّ قامت من مكانها بغضب، وسارت تاركةً منزلها الفارغ وكلبها خلفها إلى أن وصلت لشاطئ البحر، فتنهدت ونكست رأسها وتكلمت بكلماتٍ غريبة فهاجَ البحر وكادت أمواجه أن تطالها، فخطت للخلف عدّة خطوات، ثُمّ عادت وتقدمت

وتابعها خلفها حتَّى غمرهما الماء تماماً، واختفيا تحت زُرقة الماء القاتمة التي تلمع عليها صورة القمر.

وعلا نداء الصلاة، فلبى رجالُ القرية داعي الله مُنسلين من مضاجعهم، وبعد التشهد والتسليم وانتهائهم من فرضهم، خرج القلةُ من المسجد وبقي العديد يسألون الإمام أو المُلا، والأخيران يجيبان على أسئلتهم ببشاشة ودلائل من كتاب الله، حتَّى أجفلَ طمأنينتهم «أحمد» حينما اقتحم المسجد بشفتين شاحبتين ووجه مرتعب، وأطرافٍ تتراجف، فقال قبل أن يُسأل: لقد أُحرقوا، أُحرقوا جميعًا.

فتراكضوا كالمصعوقين خارجين من المسجد، نحو الفرجان والأزقة بينها، ورأوا بيوت بني الشيطان وقد سوداء متفحمة، أكلتها النار بمن فيها، فقد رأوا كومة من بقايا عظام متفحمة في حوشِ بعضِ المنازل أو في حجراتها، وعلى عتبات أبواب بعضها في محاولةٍ فاشلة للهرب، وقد بدا كما لو أن أبواب الجحيم قد فتحت، فهربت منه شعلةٌ سوداء حارقة، أحرقتهم بلهبها ثُمّ التهمت نفسها.

وقف المُلا «علي» وهزّ رأسه أسفًا، ثُمّ مدّ كفه مبسوطة في الهواء أمامه، فاستراحت عليها بقايا الرماد المتراقص في الجو، وقال بعلو صوته مرتلاً والقومُ وقوفًا حوله: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمُ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) (٨٥). -ص-

(٤)
«المنتقم»

زهور علي
Zuh0or

لم تكن تكره الليل، بل تحبه إلى أبعد درجة رغم ظلامه وسكونه ذلك قبل أن تنقلب الأمور رأساً على عقب، ويحدث ما لم تتصور يوماً حدوثه في ليلة حالكة الظلمة، تشير الساعة للثالثة بعد منتصف الليل بينما تتمايل شادن على إيقاع أغنيتها المفضلة وبيدها الماء المغلي لتصنع لها كوباً من الشاي وكانت في أوج طربها.. قبل أن يفزعها صراخ طفل مرعب دوّى بعدما سقط منها الماء المغلي أرضاً وكاد يحرق قدميها لولا أنها تراجعت فوراً ورفعت كفيها لتغطي أذنيها.

سرت رعشة في كامل جسدها وهي تعرف تماماً أن المنزل بلا أطفال، لتسقط بعدها فاقدةً للوعي.

استيقظت وبجانبها والدتها تمسح على رأسها وتسمّي.

ـ لماذا كنتِ تصرخين يا شادن؟

عقدت حاجبيها وبدهشة أجابت:

ـ لم أصرخ، تلك كانت صرخة طفل

لكن والدتها لم تصدّق وعرفت شادن أنها لن تفعل هي لا تصدق نفسها فكيف بوالدتها.

لا تعرف من أين أتى ذلك الصوت، غير أنها متأكدة تماماً أن تلك الصرخة كانت بالقرب من أذنيها حتّى شعرت أنها ستفقدُها سمعها لكنها هرباً من الخوف قررت الإنكار.. تلك حيلتها منذ الطفولة تنكر خوفها ليزول ويختفي، لكنها هذه المرة لم تنجح.

وفي اليوم التالي في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، رأت ظلا قرب النافذة ظلاً لرجل طويل القامة..

ارتعبت والتفتت بجسدها لليمين لتجده هناك ينتظرها، شعرت أن له عينين ويحدق بها فوثبت واقفةً ونامت تلك الليلة بجانب والدتها التي أخذت تسمّي عليها وتقرأ آياتٍ من كتاب الله.

لكنّ الأمر لم يتوقف هنا.

ففي اليوم التالي في الساعة الثالثة رأت من الحائط يدا سوداء طويلة بمخالب مخيفة، تبرز شيئاً فشيئاً.

ثم رأساً أسودَ يبرز وكأنّ جسداً ما عالقٌ في ذلك الحائط ويحاول الخروج.

برزت بعدها قدماه ثُمّ وجهه حتَّى ظهر كاملا بوجهٍ أسود بلا ملامح اقترب منها، ارتجفت أطرافها وقف شعر رأسها فجمّدها الخوف حتَّى عن الحديث اقترب حتَّى وقف أمامها وحين استعادت وعيها وانفرجت شفتاها لتصرخ وضع مخالبه الطويلة على فمها ولولا أنها لم تغطيه بالكامل إلا أنها أخرستها فلم تستطع الصراخ.

شعرت بدبابيس حادة في لسانها ثُمّ في حلقها، أغمضت عينيها في ألم حتَّى شعرت بها تمزّق حبالها الصّوتية لتستيقظ في اليوم التالي وقد فقدت صوتها.

حاولت الحديث كثيراً ولكنها لم تستطع أخذتها والدتها للطبيب ليخبرها أن حالتها غريبة، وأن فقدانها لصوتها ربما يكون ناتجاً عن صدمةٍ ما..

هي وحدها تعرف أن فقدانها لصوتها كان من ذلك الكائن الغريب الذي مزق حبالها الصوتية لم تعد تطيق غرفتها، لم تعد تطيق المنزل ولم تحاول حتَّى الشرح لوالدتها فكيف لها أن تثبت لها وتريها كل ما تسمع وترى.

طلبت من والدتها أن تبقيا خارجا هذه الليلة ووافقت والدتها على مضض ليخرجا إلى ساحة المنزل الترابية أشعل والدها النار طلباً للدفء بينما كان الجو هادئاً.

والدها ووالدتها اللذان يشعران بالنعاس والبرد وهي التي تراقب ساعة هاتفها في توتر حتَّى أشارت إلى الثالثة صباحاً تلفتت يميناً وشمالاً تبحث عنه، وتنفّست الصعداء حين لم يظهر مرت نصف ساعة انشغل فيها والداها بالحديث، بينما هبّت رياح باردة لتطفئ النار بعدما حولت كل الحطب إلى رماد رياحٌ أخرى هبّت لتحول الرماد إلى أحرف قرأتها شادن « ق ا ت ل ة».

وقفت في خوف وتردد، اقتربت من الرماد وانحنت لتكتب بذات الأحرف المتقطعة بيدٍ ترتجف « م ن ي ت ح د ث؟».

عادت الرياح من جديد لتشكل أحرفا جديدة « ا ل م ن ت ق.م».

مدت يدها لتعيد الكتابة لولا أن صوت والدها جعلها تلتفت بذعر

- شادن ماذا تفعلين؟

وقفت بسرعة، أشارت إلى الرماد لكنها ما إن سقطت عيناها عليه حتَّى رأت النار لا تزال مشتعلة وأصبعها محروقٌ ومنتفخ لم تشعر بالألم، احتضنتها والدتها بملامح مشفقة خائفة وأطفأ والدها النار مرتبكاً.

وقبل أن يدخلا إلى المنزل رأت شادن أحرفا تتشكل من جديد «ل ا خ ل ا ص».

دخلت بعدها إلى المنزل ثُمّ إلى غرفتها بجسد يرتجف تغطت ونامت والدتها إلى جانبها وهي لا تزال تسمّي حتَّى غفت شادن بجسد منهك وروح خائفة

قلقة في اليوم التالي في الساعة الثالثة رأته وهو يبرز من الحائط لم تعتد بعد، شعرت بذات الخوف يسري في جسدها رفعت يديها إلى عينيها وغطتهما لعله يذهب لكنها شعرت به يتحرك أمامها ثُمّ شعرت بمخالبه على يديها وبذات الدبابيس ثُمّ استيقظت في اليوم التالي غير قادرة على تحريك يديها.

جلبت والدتها الطبيب لكن رده كان كالعادة.

- ما حدث غريبٌ ولم أرَ مثله قط، وكأنها هي بذاتها لا تريد تحريك يديها

بعد حديثه بدأ الشك يدخل إلى قلب والدتها حتَّى أصبحت تأمرها بالحديث وتحريك يديها لكن شادن لم تكن تستطيع..

استسلمت له، شعرت أنها ميتة لا محالة، وأن مقاومة الموت لا يزيدها إلا عذاباً في تلك الليلة رأته يقترب منها أغمضت عينيها في خوف لتشعر بمخالبه على جفنيها ثُمّ بدبابيس حادة تقطع عينيها حتَّى استنكرت عدم خروج الدماء منها واستيقظت في اليوم التالي فاقدة للبصر. أصبحت حية ميتة.. لا تستطيع سوى التفكير والتنفس وبعد أن سرق منها سمعها لم تعد تعرف كم مضى من الأيام في أي يوم هي وأي ساعة.

لم تكن تعرف إلا الساعة الثالثة حين تشعر به حولها لكنها وفي أحد الأيام سمعت صوتا من جديد كصوت بعيد صوت تلاوات.. ثُمّ رأت بصيص نور حاولت التركيز عليه وكأنّها في نفق تركض نحوه حتَّى عاد بصرها شيئاً فشيئاً، أغمضت عينيها وعادت لتفتحهما رأت والدتها ووالدها وشيخاً بلحية طويلة سوداء يقرأ عليها استطاعت السمع نظرت حولها فرأت من الحائط يده السوداء تبرز ثُمّ وجهه لكنه هذه المرة كان كمن خاض حرباً، فهو ممزق رغم سواده.

اقترب منها حتَّى وقف أمامها، حركت عينيها في أرجاء الغرفة هربا منه لتلمح طفلا صغيرا بملامح مشوّهة طُمست إحدى عينيه وكأنما تعرّض وجهه للانصهار ارتعبت من منظره.. اقترب منها، حاولت الهروب إلا أن جسدها لم يحملها رفع قدميه حتَّى استطاع وضع يده الصغيرة على وجهها صرخت في ألم ما إن شعرت بدبابيس تُغرس في كل خلية من وجهها لتكتشف حينها أن لا صوت لصراخها، وأن صوتها لم يعد بعد.

حاولت الخلاص، حركت وجهها يميناً وشمالاً بينما كان الشيخ يقرأ والطفل ينتفض وهي تعتصر ألماً اختفى كل شيء، كل الأصوات وكل ما حولها ولم تعد ترى إلا الظلام.

فتحت عينيها ببطء، لا زالت تشعر بألم في أنحاء جسدها رأت والدتها التي تنظر إليها بدهشة، ثُمّ اقتربت منها لتحتضنها كمن التقى بحبيب بعد غياب طويل.

- الحمد الله على السلامة

قالت والدتها وهي تقبل رأسها بحنان لتسأل شادن:

- ماذا حدث؟

- لا تشغلي بالك الآن، ستتذكرين شيئاً فشيئاً هذا ما قاله الطبيب.

حركت شادن أنظارها في أرجاء الغرفة البيضاء لتدرك أنها في المستشفى

وما إن سقطت عيناها على والدها حتَّى كرّرت سؤالها

- ماذا حدث؟

- كنت في غيبوبة طويلة يا شادن، وجدانك في المطبخ مغشياً عليك والماء قد أحرق أطراف قدميك.. الحمد لله أنّ الله ستر!

قال والدها لتزداد شادن حيرة.. لكنها كانت سعيدة، فكلّ ما رأته لم يكن إلا كابوساً وانتهى باستيقاظها.

- لا بد وأن استيقاظها بفضل الله ثُمّ بفضل الشيخ كثّر الله من أمثاله.

قال والدها مخاطبا والدتها لتبتسم وتزداد تساؤلات شادن. وبينما جلست وهمّت بالسؤال، لمحت أمام الباب طفلاً مشوّهاً ينظر إليها بعين واحدة.

ومن الحائط برزت مخالب تبعتها يدٌ سوداء طويلة.

(٥)

«الوجهة لندن»

عبد الله خلف العنزي

Abdullahkhalafz

Abdullahkhalafz

بدأت إجازتي السنوية ولا زلت حائراً أين ستكون الوجهة هذه المرة، وبعد أن سألت الكثير من الأصدقاء عن وجهة سفر تلائمني أعجبتني اقتراحاتهم على الرغم من تنوعها ومدى جمال الوجهات لكنني مؤخراً شاهدت إعلاناً في الانستقرام لمكتب سفريات بعرض فندق فخم وتذكرة طيران ممتازة بسعر أقل من المتوسط كانت الوجهة لندن، المدينة التي أحفظ شوارعها جيداً ولا أكلّ أو أملّ منها، أما الفندق فكان فندق «لانقهام»، واحد من أقدم وأفخم المباني القديمة في المدينة. عندما هبطت الطائرة في مطار «هيثرو» طار قلبي فرحاً بالوصول، حملت حقائبي وتوجهت إلى الفندق مباشرة، وعند دخولي ردهة الاستقبال لاحظت فخامة المكان التي بنيت على أساس البناء القديم. أعطاني الموظف مفتاح الغرفة رقم ٣٣٣ ثُمّ وضعنا الحقائب وخرجنا للتسوق أنا وزوجتي، وعند العودة للغرفة لحاجتنا للنوم كانت المفاجأة! لم أجد أغراضي داخل الحقيبة! فتحتُ حقيبة زوجتي وكانت مفرغة تماماً من كل الأشياء، بحثت عن أهم شيئين؛ النقود التي كانت كل ما أملك للسفر حينها والجوازات التي تمكننا من العودة ولكنني لم أجدهما. بحثت في كل مكان، بدأت أتصبب عرقاً وملأ الخوف أرجاء المكان، لم أتحمل فكرة أن يتم إفساد إجازتي من اليوم الأول وتم سرقة الحقائب التي تحتوي على كل أساسيات السفرة، اتصلت في الفندق لأخبرهم بما حصل فنفوا بأسلوب جدّاً لبق أن أحداً ما دخل الغرفة، ولكنهم أخبروني بأنهم سيرسلون أحداً يتفقد الأمر انتظرت زوجتي حتَّى خرجت من دورة المياه ثُمّ بتردد وحزن شديد أخبرتها بالكارثة التي وقعت على رأسي، فضحكت ضحكة صارخة وغريبة ثُمّ وضعت يدها على فمها وأجابت ببرود شديد بأنها هي من قامت بتفريغ الحقائب في الخزانة، اتجهت نحوي ومسكتني من يدي ثُمّ قامت بفتح الخزانة وأرتني كل الأشياء مصففة ومرتبة، إلهي! كانت تلك أسوأ لحظات حياتي، رميت نفسي على السرير نمت بشكل تدريجي على ثرثرة زوجتي، كانت تروي قصة ابنة خالتها في زياراتها

لإحدى محلات التسوق في شارع «الاجوارود» عندما قام أحد الأشخاص بالتربص بها وقام بالتقاط صور لها بالعلن وهي تحمل أكياس محلات تجارية فخمة، مرت دقائق حتَّى غرقت بالنوم مباشرة وعلى غير العادة استيقظت من النوم منزعجاً بسبب هز زوجتي لكتفي بشكل عنيف وكأن شيئاً ما قد حصل! وجهت نظري نحو زوجتي بنصف عين مفتوحة وهي تقف أمام المرآة تتحدث بالهاتف وتضع المواد التجميلية، فوجئت بها عند سؤالي لها عن سبب إيقاظي فأخبرتني ببرود وسخرية أنها لم تفعل شيئاً، أكملت نومي وأنا منزعج جدّاً من تصرفاتها، كنت أشعر أن صدري ثقيلاً ورأسي أثقل ومليء بالأفكار السوداوية حينها، نمت متعباً ومرهقاً من المجهود الذي بذلته في المطار والتسوق طوال اليوم، وما هي لحظات قليلة حتَّى طرق باب الغرفة بشكل منتظم وبصوت متعالٍ، أفقت من النوم فلم أتمالك أعصابي واتجهت نحو الباب، قمت بفتحه لكن المفاجأة أنه لم يكن أحد هناك! أقفلت الباب، انتظرت قليلاً ولم يأت أحد، مرت دقيقة وأنا صامت لتسألني زوجتي مستفسرة عن الذي عند الباب فأجيبها «لا أحد» ظللت واقفاً وما هي ثوانٍ حتَّى رجع صوت الطرقات مجدداً، فتحت الباب بسرعة فائقة لكن لم أجد أحد هناك! تلفتّ يمنة ويسرة في الممر الطويل ولم يكن هناك أي ظل، دخلت الغرفة أرهفت السمع لأتمكن من تحديد مكان الطرقات، ولكن صوت زوجتي وهي تحدّث ابنة خالتها كان يصعب الأمر علي، اقتربت أكثر من الصوت كانت الطرقات تأتي من باب دورة المياه وكل ما دنوت منه تعالى الصوت أكثر، فتحت الباب بسرعة، لكن مجدداً لم يكن هناك أحد! نظرت إلى زوجتي بتوتر.

«عبد الله!»

«بسم الله عليك ما الذي يجري بك اليوم! لابد من انه أثر الإرهاق وسهرك لساعات متواصلة، ارتَح الآن في السرير وسآتي إليك حالما أنتهي من المكالمة.»

أغمضت عيني ولم أتفوه بأي كلمة، رميت نفسي على السرير مجدداً يا إلهي! بدأ المطر يهطل الآن ويرتطم بالنافذة وصوت ثرثرة زوجتي، لم أعد أحتمل، فتحت عيني وأغمضتها بقوة عاقدًا حاجبيّ للداخل ومحاولاً النوم، مرت دقائق وقامت زوجتي بهز كتفي حتَّى أحسست أنه سينتزع من مكانه، فتحت عيني المرهقة وبدأت بالصراخ من أعمق نقطة في قلبي! كل جزء مني كان يصرخ حينها، «ماذا دهاك يا إمرأة دعيني وشأني أرجوك!» (انت تنظر إليّ بنظرات بريئة وتتمتم بالمعوذات وتضع يدها على كتفي الذي كاد أن يجتث من جسدي! وتمسح عليها لكنني لم أعد أود النظر في وجهها ولا دقيقة، سرعان ما توقف هطول المطر بدأت أسمع صوت خطوات ثقيلة بطيئة تأتي من الغرفة التي فوق غرفتي، مسكت هاتف الفندق بكل ما أوتيت من قوة حتَّى كاد آن بهشم، ضغطت زر الرقم صفر، «ما الذي يحصل في فندقكم أخبروني.. فمنذ اللحظة التي دخلت فيها هذه الغرفة وأنا أشعر بضيق التنفس»!

- هدئ من روعك يا سيدي الكريم لا شيء يدعو للصراخ، لكل مشكلة حل، أخبرني ما المشكلة.

- الساعة الرابعة فجراً، طرقات باب الغرفة بشكل متكرر، نوم غير مريح، أصوات مطر مزعجة وأصوات خطوات ثقيلة تأتي من الغرفة التي فوقي، هواء بارد على الرغم من أنني أحكمت إغلاق النافذة وأشعلت المدفئة وكأنه لا يوجد عوازل في غرفكم! أنا وزوجتي هنا لا يمكننا النوم بسبب إزعاجكم وبسبب وفندقكم التعيس.

- أولاً، نعتذر على إزعاجك يا عبد الله، ولكن من المفترض أنك تعرف أن هذا هو الوضع الطبيعي في الغرفة رقم ٣٣٣ لم يتغير منذ سبعين سنة إلى الآن، ولن يمكنك النوم حتَّى تشرق الشمس لكن لا داعٍ للقلق، بعد ربع ساعة سينتهي كل شيء تقريباً، أمر آخر، عن أي زوجة تتحدث! أنت أتيت هنا بمفردك ولا وجود لزوجتك أو لأي شخص آخر معك في الغرفة الله!

- سيد عبد الله هل أنت معي؟ نتمنى لك نوماً هنيئاً.

هامش؛

- فندق Langham // لندن

- يشتهر هذا المكان بكونه مسكوناً بالأشباح. إن كنتم تبحثون عن أماكن تواجد الأشباح فسوف ينصحكم الموظفون هناك بالإقامة في الغرفة ٣٣٣ التي من المفترض أنها الغرفة المسكونة بالعديد من الأشباح. تم افتتاح هذا الفندق في عام ١٨٦٥، وقد استضاف آنذاك العديد من الوجوه المشهورة عندما كانوا على قيد الحياة. يُعتبر الإمبراطور نابليون الثالث أشهر أشباح هذا المكان فقد قضى أيامه الأخيرة منفياً في هذا الفندق بالذات.

كما أن هناك شبح الدكتور المجرم الذي قتل زوجته خلال شهر العسل قبل أن يقتل نفسه. وإن لم يكن هذا كافياً، هناك تقارير إضافية عن شبح الأمير الألماني المختبئ هناك والذي فقد حياته عندما وقع من شباك الطابق الرابع. يتوفر في هذا المكان منتجع صحي بالإضافة إلى مرافق راقية وحتَّى ساونا ملحيّة. إن كنتم تبحثون عن مكان لتدليل أنفسكم والحصول على جرعة من الرعب والحيرة أنصحكم بزيارة هذا المكان.

(٦)

«فضول»

عمر العموري
O_alamudi
O_alamudi

الساعة الحادية عشرة والنصف مساء، كنت عائداً إلى السكن مشياً على الأقدام، بعد أن نزلت من الحافلة في الشارع العام. أمرُّ بشارع بعد آخر، جميعها كانت مظلمة، سوى بعض الإنارات الخافتة، نظراً لانقطاع التيار الكهربائي، ربما لو لم أكن أحفظ مقاسات الطريق جيداً لمروري اليومي فيه، لما ميّزت بأي شارع أمشي، وإلى أية وجهة أمضي.

كان الهدوء يخيم على هذه المدينة الآمنة، التي منذ أن قطنتها لم أسمع بأية مشكلة أو حادثة، حتَّى السرقات لا تحدث فيها، الجميع فيها آمن، لا نقص فيها سوى شحّة الأعمال والفرص الوظيفية، الأمر الذي جعل ثلاثة شبان يغادرونها فجأة، واحداً بعد الآخر خلال الشهرين الماضيين في فترات متفاوتة، ودون أن يخبروا أهاليهم، إلا بعد رحيلهم بفترة، عن طريق محادثات كتابية نادرة عبر «الواتس آب». لم يكونوا أصدقاء حسب ما سمعت، لكن الرابط بينهم أنهم كانوا خاطبين، وعلى مشارف الزواج، وهذا ما يفسّر خروجهم من المدينة لتكوين أنفسهم، لكن لا يوجد ما يفسّر هذه السريّة لما قبل القرارات، التي تقلق أهاليهم. أنا مثلهم، بعد أن خطبت انتقلت إلى هنا، ورحلت عن مدينتي السابقة، أهلي يعرفون أنني رحلت، وأنا أطمئنهم بمحادثات كتابية على «الواتس آب».

لم أسمع أي صوت في طريقي، وقد كان الأمر مُريباً، فلا يمكن للجميع أن يكونوا نائمين. حتَّى قبل المنزل بشارعين، أحسست بالريبة أكثر، كونه أكثر الشوارع صخبا في المدينة، جميع ساكنيه مزعجون، لكن الليلة كان الجميع هادئاً على غير العادة.

قبل أن أدخل أحد الممرّات القريبة من السكن، رأيت سيارة يبدو وكأنها توقفت على عجالة، فأحد أبوابها كان مفتوحاً، لم أتوقف كثيراً عندها، بل مشيت، حتَّى تثاقلت خطواتي فجأة، بعد أن سمعت شيئاً ما يتحرّك في حاوية

القمامة التي مررت بجانبها، توقّفت بعد أن أخذت تلك الحركة منحى آخر، شعرت وكأن الحاوية الحديدية تهتز، وكأن كائناً ضخماً يتلوّى بداخلها، أو أن كلبين يتنازعان، لكن لم أسمع نباحاً، وهو أمر غريب. ولا أعلم بما يحدث، كنت أقف بجوارها تماماً، كانت على يميني، ربما لو اتخذت خطوة لليمين للامستها، كون الممر ضيقاً.

فجأة توقفت بداخل الحاوية، وقبل أن أتقدم خطوة، وأواصل السير، سمعت صوت ارتطام شيء ما بالأرض، كان الصوت لافتاً، وقريباً جداً، لكن لم أرَ شيئاً، حرّكت قدمي للأمام، فركلت جسداً، خُيّل إليّ أنه كرتون صغير، ركلته ثانية لأتأكد من ماهيته، فحرّكته، قلّبته بقدمي من كل اتجاهاته، وقد كان مغلقاً، ولكي أرضي فضولي الذي يضعني دائماً في المشاكل، تناولته بيدي، وحملته معي، وأنا أخمّنُ ما بداخله فيما تبقى من الطريق، حتَّى وصلت.

لحسن الحظ كنت أمتلكُ بطارية في الشقة التي أقطنُ فيها وحدي، والتي لم يزرني فيها أحد منذ أن انتقلت إليها قبل أربعة أشهر، سوى صديق واحد كان يزورني بين فينة وأخرى قبل خطبته التي مر عليها أسبوعان ولم يزرني بعدها.

شغّلت الإنارة، فرأيت الكرتون المُغلق وكأنه هدية، منظر جعلني أتساءل هل كان وقوعه مصادفة تلك اللحظة، أم إن هناك من كان ينتظر مروري، ويعرف موعد عودتي، وقد استعد جيداً ليقوم بهذه المفاجأة التي قد تكون هدية عيد ميلادي الذي تفصلني عنه دقائق قليلة. لابد أنه كذلك، هكذا قلت لنفسي.

ارتبكت لدقائق قبل فتحه، وتساءلت عما يمكنني رؤيته فيه، فكّرت بأنه قد يكون أمراً خاصاً بشخص آخر. لكن فضولي أصر على فتحه. توقفت

أنفاسي بعد أن فتحته، أغمضتُ عينيّ وفتحتهما، بلعت ريقي بمشقة، أغمضت عيني مجدداً.. نعم إنها هي! شيءٌ ما بقي عالقاً في حنجرتي، لقد كانت يداً، نعم يد، أصابعها مكتملة، بيضاء، عليها آثار دماء، وفي البنصر خاتم لم ينزعه صاحبه، لم أفهم ما يعنيه هذا الأمر، ولمن تكون هذه اليد، وما الغرض من تغليفها، لم أدرك ما الذي أنظر إليه، وما الموقف الذي أنا فيه، وما الذي جعلني ألتقط ذلك الكرتون، ولماذا هي يد؟ وقد بتُّ أجزم بأن الأمر ليس مصادفة. مددتُ يدي، تحسست تلك اليد بأصبعي، لقد كانت حقيقية، يداً بشرية، مألوفة، لا أظن أنني رأيتها لأول مرة، أعدت لمسها ثانية، فأحسست بألفة أكثر، وشعرت بغثيان مصحوب بهلع شديد، فركضت إلى الحمام الذي يقع في آخر الشقة، وبعد أن تقيأت خرجت، وأمامي كان حذائي الذي عدتُ فيه من الخارج، كانت فردته اليمنى مليئة بالدماء. تسمّرتُ في مكاني، لم أقم بأية خطوة، فقط ظللتُ أحدّق بالحذاء، وتحته بقعة دم.

في تلك الأثناء.. اهتز بابي، وسمعتُ طرقاً عنيفاً.

(٧)

«لُزُوجة»

ريماس المطيري

Hws.remas_2

انتقلنا في أحد الأيام انا وعائلتي الصغيرة إلى بيت ريفي مشهور يتداول عنه الكثير من القصص المخيفة التي لا أهتم ولا تثير فضولي لها على عكس أختي الكبرى إذ أنها لم تشعر بالراحة أبداً بل بدت ملامح الارتياب والخوف ظاهرة على وجهها أثناء دخولنا البيت.

في ذلك البيت الكبير المرتفع، بصالات مفتوحة على مصراعيها وكأنها قاعة ضخمة، وثريات عملاقة تتدلى من السقف، لاحظت الهدوء القاتل الذي كنا فيه، نكاد أن نسمع صوت دقات قلوبنا، أو أنفاسنا وهي تتسارع شيئاً فشيئاً، أشعة الشمس التي تتسلسل عبر ثقوب السقف كانت كفيلة بإنارة المكان كله، والنوافذ المصنوعة من الفسيفساء التي كانت مغطاة بالغبار لم تعطنا رؤية واضحة عما يوجد في الخارج. لم أشعر بالخوف من رهبة المكان، أو حتَّى من صوت الثريا وهي تتأرجح في بعض الغرف يمنة ويسرة وكأن أحد ما دفعها للتو، كل ما أثار اشمئزازي هي تلك الحشرات الصغيرة التي تصيبني بالغثيان والإعياء كلما نظرت إليها، ولم تراودني إلا فكرة واحدة.. كيف سأقضي بقية الأسبوع في بيت كهذا؟ وأي إجازة صيفية هذه التي سأضطر فيها إلى مساعدة أهلي في إصلاح ما أفسده الدهر في هذا البيت؟

الديدان الصغيرة تزحف على الأسطح الرطبة، صنبور الماء ما زالت يقطر، وسائل يميل إلى الأصفر قد ملأ المغسلة.. ثقيل أشبه بالزيت، أما أختي فكانت تنتظر مني إجابة مقنعة لسبب حدوث ذلك.. لا أعرف من كان في البيت، ولا يهمني إن كانت أفكارها عن الجن صحيحة، فالسحالي التي تزحف على الأرض بين قطع الأثاث كانت أشد اشمئزازا ورعباً من أي شيء آخر. اتجهت إلى الغرفة الأولى في الطابق الأرضي لأحاول التأقلم في مكاني الجديد المؤقت.. هكذا كنت أفضّل تسميته، وجب أن تكون هذه هي الغرفة الأنظف بين جميع الغرف الأخرى، ليس من ناحية الأوساخ بل

الحشرات المزعجة. لم أجد حلاً سوى الاتصال بمكتب مكافحة الحشرات.. هم وحدهم من يعرفون كيفية إخماد الرعب الذي بداخلي.

بدأت بتأملها قليلاً لآلفها، ثُمّ ألقيت نفسي وتعبي وإرهاقي على السرير الصغير لآخذ قسطاً من الراحة، أغمضت عيناي المنهكتان وسرعان ما هُزمت ودخلت في نوم عميق.

لم أشعر بشيء حتَّى مع دخول شركة التنظيف إلى المنزل، بل أزعج نومي شعور أسفل قدمي وكان سببه وسواس الحشرات المعتاد الذي يأتيني في كل وقت أراها أو حتَّى أتذكرها، شعور أشبه بوجود شعيرات ناعمة تمر من بين أصابعي، حاولت طرد تلك الأفكار من رأسي وعدت للنوم، ولكن الحواس الخمسة لا تنام بتلك السهولة التي نظنها دوماً.

حركت جسمي وقدمي لأبعد هذه الوساوس التي تزورني كل ليلة كما لو أن هناك حشرات معينة تتسلقني. بدأت أشعر بالحركة تزداد، فتذكرت ما أخبرتني به أختي عن حكايا الجن في هذا المنزل الموحش، نقضت جسمي ورفعت الغطاء قليلاً لأبعد هذه الأفكار من رأسي وجلدي، حتَّى اكتشفت من أين كانت تأتي رائحة الصديد والقيح التي نخرت أنفي، كم تمنيت وقتها أن يكون جنياً، وإثر حركتي المفاجأة وارتفاع الغطاء شعرت بأنني غارقة في بحر من الصراصير، حاولت إغلاق فمي بإحكام لأنهض من فراشي ولكن الحشرات الصغيرة دائماً ما تجد طريقًا للهرب، لم أستطع تمالك نفسي فصرخت بأعلى صوتي أطلب النجدة من أسرتي، وقد كان ذلك أغبى قرار فعلته في حياتي.

تلك الكائنات الصغيرة التي تخشى الإنسان وأي جسم متحرك وتهرب منه لم تكن بهذا الجُبن وقتها، فحين يتعلق الأمر بموتها والمبيدات الحشرية،

فإنها لن تتردد بالدخول في أي مكان آمن تراه، كما فعلت تماماً حينما ملأت فمي وحلقي.

(٨)

«السر بيننا نحن الثلاثة»

فهد الملا

Fs.almulla

الدروازة كلمة استخدمها أهل الكويت قديماً وتعني البوابة، أصلها فارسي.

اسمي ياسمين

المهنة: معلمة لغة إنجليزية في إحدى المدارس الحكومية.

بعد يوم متعب ومرهق في تصحيح الاختبارات ورصد الدرجات، قررت العودة مباشرة إلى شقتي الكائنة في ضاحية السلام لأبدأ بتأدية دور الزوجة والأم، نعم فأنا أم سليمان وحسين وليان الصغرى.

استقبلني أولادي كعادتهم من باب الشقة يرحبون بقدومي، وجلست معهم وتبادلنا العديد من الأحداث التي جرت معهم في المدرسة، أما زوجي أبو سليمان فقد كان يتفقد عدداً من الكتب التي اشتراها مسبقاً وكان دائماً يرحب بي قائلاً: حي الله أم سليمان.

بدأت بمراجعة الدروس والواجبات الخاصة بمادة العلوم والرياضيات، أما زوجي العزيز فسيتولى شؤون اللغة العربية والتربية الإسلامية، بالإضافة إلى مادة الاجتماعيات فهو ماهر جدّاً بتلك المواد.

بعد صلاة المغرب قرر زوجي العزيز الذهاب إلى منزل والده جد أولادي في نفس منطقتنا السلام، وهي عادته التي دأب وحرص عليها منذ زواجنا؛ وهي زيارة والداه بشكل يومي ومنتظم ولم يحدث أن أخلّ زوجي بهذا النظام أبداً تحت أي ظرف، وبعد هذه الزيارة سينطلق إلى مقر عمله لأداء بعض المهام.

أما أنا فقررت الذهاب إلى محل شهير يبيع المثلجات في منطقة العاصمة، لم تكن الشوارع مزدحمة بشكل كبير فقد تمكنت من الوصول إلى محل المثلجات بعد ١٥ دقيقة فقط.

حين وصلت إلى المحل لفت نظري كلمة (مغلق) لا أقصد المحل بالطبع، بل أقصد الباب المؤدي إلى نفق موجود مقابل المحل ويُطلق عليها الدروازة، هو عبارة عن ممر أو نفق تحت الأرض يربطك بعدة مواقع حيوية في العاصمة، هو يعد من الأفكار النادرة المميزة في بلادي الكويت.

مع الأسف أصبحت كلمة مغلق للصيانة أو لأمر ما منتشرة في بلادي، فلم يتوقع أحد في يوم من الأيام أن يتم إغلاق المدينة الترفيهية المعروفة وهدهما، وكذلك صالة التزلج الشهيرة، فلن يقف الأمر على هذه الدروازة، من المؤكد بأنها ستغلق ويمنع المرور عن طريقها قريباً.

لكن الذي لفت نظري أكثر هو وجود شاب في مثل عمري تقريباً أي في أواخر العشرينات يقف أمام الدروازة وكأنه تائه عن أمر ما!

تجاهلت هذا الأمر فأنا لا أحب أن أتدخل فيما لا يعنيني رغم أن الفضول من إحدى صفاتي المميزة المعروفة بين أفراد العائلة، دخلت محل المثلجات أخذت ما أريده ثُمّ خرجت لأعود إلى سيارتي ثُمّ إلى البيت، لكني فوجئت بالشاب نفسه يقف في نفس المكان. قررت أن أشبع فضولي وأتدخل لمعرفة أمره فاقتربت منه بهدوء بعدة خطوات لكنه لم ينتبه لي فقد كان يتأمل الدروازة المغلقة والمباني الشاهقة، كان مرتدياً الدشداشة البيضاء من دون غترة أو القحفية فبادرت وقلت لو سمحت؟

التفت الشاب بهدوء ونظر إليّ وحدق بي. ثُمّ قال بكل هدوء بصوت رخيم: نعم!

تأملت ملامحه فقد كان شاباً أسمر البشرة، كثيف الشارب ومن دون لحية، حسن الطول معقود الحاجبين، حاد النظرات وفي وسط جبهته ندبة.

قلت له: هل أنت تائه؟ هل تحتاج إلى مساعدة؟

قال: لا أعلم لا أتذكر شيئاً، لكن أريد الذهاب إلى أمي!

قلت: أين تسكن!

قال: منطقة الفيحاء.

قلت: إنها قريبة من هنا، هيا بنا اركب معي سيارتي.

قال: لا شكراً، لا داعي سأعود مشياً!

قلت بإصرار: مشياً، لماذا؟ بل ستأتي معي، ستركب في المقاعد الخلفية وأنا أقود السيارة.

بعد إلحاح وافق الرجل على أن أوصله إلى بيت والدته في الفيحاء، حين ركبت السيارة فعّلت خريطة غوغل على الهاتف حتَّى أتمكن من الذهاب بكل دقة ويُسر.

شعرت بأني فضولية وجريئة بأن طلبت من رجل غريب أن يركب معي السيارة ولم أضع أي احتمال أن يكون لص أو محتال، بصراحة لم أشعر بالخوف من هذا الشاب، لكن زوجي ربما سيقتلني على فعلتي هذه!

قال الرجل فجأة: ماذا تفعلين؟

قلت: أستعين بهاتفي للذهاب إلى الفيحاء؟ قال: تستعينين بهاتف ليشردك إلى منزل والدتي؟

قلت باستحياء: نعم لأني لا أستطيع الاستغناء عن إرشاد الهاتف وإلا سأضيع.

قال مستغرباً: هاتف في السيارة كيف له أن يعرف طريقك؟

هنا، توقفت عن الحوار ورمقته من المرآه التي أمامي.

قال: أعتذر على تطفلي!

قلت: لا بأس، فالجميع يستخدم الهاتف لهذا الغرض.

تساؤلاته تقول بأنه لم يسمع عن التكنولوجيا من قبل، أو كأنه ليس في الكويت أو ربما آتٍ من دولة أو كوكب آخر، كان الشاب يتأمل البنيان والشوارع بطريقة غريبة وكأنه يراها لأول مرة. فقلت له: ما الأمر؟ هل تذكرت شيئاً؟

قال: لا أعلم، أنا أتأمل هذه المباني الكبيرة والعمارات الضخمة والشوارع المزينة بالأنوار، لا أذكر أي شيء منها، حتَّى إني لا أتذكر كيف وصلت إلى الدروازة، لا أذكر سوى بيت أمي في منطقة الفيحاء فقط، لكن بالمناسبة، أين صالة التزلج؟

ضحكت بكل هدوء وقلت: لقد هُدمت منذ شهور ولم يبق منها أثر، سوى الذكريات؟

قال: هذا أمر مؤسف ومحزن للغاية!

قلت: ألا تتذكر اسمك!

قال: بلى، أذكر أن اسمي هو عبد اللطيف.

قلت: ألا تتذكر أي تاريخ أو حدث معين!

قال: بلى، أتذكر شهر أكتوبر ١٩٩٠، أتذكر بأن جنوداً عراقيون أخذوني إلى سجن في العراق ولا أذكر شيئاً بعدها!

قلت مبتسمة: لكنك صغير جدّاً على أن تكون على حقبة الغزو العراقي الغاشم، أنت قريب من عمري فأنا من مواليد ديسمبر ١٩٩٠ م، وُلدت قبيل تحرير الكويت بعدة أسابيع!

قال: تحرير الكويت، نعم... نعم... ربما...

سكت قليلاً ثُمّ سألني.

قال: هل لك أن تقولي لي تاريخ اليوم؟

قلت: نعم ١٥ أكتوبر ٢٠٢٠

سكت الشاب عبد اللطيف كأنه يفكر محاولاً استرجاع ذاكرته لكنه التزم الصمت ولم يبادر إلى قول أي شيء، لم أفهم لماذا علقت أحداث الغزو العراقي في ذاكرته وهو شاب، ربما هو أحد أبناء الشهداء أو الأسرى وتعرض لصدمة ما ولم يتمكن من تجاوزها، بصراحة الأمر غامض ومبهم ولم أشأ أن أتعمق في التفاصيل الخاصة به، لكن مع كل هذه الأفكار زاحمت رأسي، لم يخطر على بالي بأنه لص أو محتال فملامحه لا تدل على ذلك أبداً.

ما هي إلا دقائق تفصلنا التفكير عن منطقة الفيحاء، لكن مع التفكير المستمر به هذا الشاب وظروفه انتابني شعور غريب نوعاً ما،

فقلت له محاولة لكسر الصمت: كان جدي رحمه الله يملك بيتان في الفيحاء، فقد كان متزوجا باثنتين وكلاً منهما بيت، حين توفي جدي تم بيع البيت الأول، أما الثاني فيسكن فيه عماتي!

قال: إذاً فنحن معرفة وجيران!

قلت: ربما، صحيح.

وصلنا أخيراً إلى الفيحاء.

قلت له: لقد وصلنا يا عبد اللطيف، هذا هو العنوان والقطعة والشارع؟

قال: ربما.

نزل من السيارة بكل هدوء وبدأ يحدق في البيت وذهب إلى الباب لكنه لم يطرق الباب ولم يدخل ووقف يتأمله، ثُمّ قفل راجعاً ويبدو عليه التأثر من أمر ما وقال: شكراً جزيلاً لك، لقد أتعبتك معي!

قلت: العفو ولكنك لم تدخل، ما الأمر؟

قال: ربما أضعت المنزل، سأعود إلى المكان الذي كنت فيه!

هنا استغربت ردة فعله ولم أتمكن من تفسيرها، فقلت: حسناً عد معي، اركب فلا بأس من العودة.

قال محرجاً: لا، صدقيني لن أتوه، سأتجول في المنطقة ثُمّ أعود أعرف طريقي!

قلت: هل أنت متأكد؟ فأنت لا تتذكر شيء كيف لك أن تعود!

قال مبتسماً ومحرجاً في نفس الوقت: لا تقلقي، سأعرف طريقي ما زلت أحتفظ ببعض الذكريات البسيطة.

لم أصر عليه، قلت له: حسناً، كما تشاء!

تركته أمام المنزل وقررت العودة إلى الشقة لكن شعرت بالريبة والقلق بأن تركته وحيداً هنا في الفيحاء، لعل كان من الواجب أن أتابع تحركاته، أوقفت

السيارة ونزلت منها، وبحثت عنه ولم أعثر له على أثر لعله دخل إلى منزل والدته، قررت ركوب السيارة والعودة إلى الشقة وقررت أيضاً تخيل أسئلة زوجي حتَّى استعد للإجابة.

أخيراً عدت إلى الشقة الساعة ٩ مساءً فوجدت زوجي في انتظاري وبدأ سيل من الأسئلة، فبادر قائلاً: أين كنت يا عزيزتي؟

قلت: كنت ذاهبة إلى محل المثلجات!

قال: كل هذا الوقت، هل نظرتي إلى هاتفك ألم تلاحظي اتصالاتي

سكت ولم أجيب!

قال: هل حدث أمر ما تخفينه عني!

قلت بصراحة، أخذت شاباً تائهاً إلى بيته في منطقة الفيحاء!

تغيرت ملامح وجهه وقال: تمزحين أليس كذلك؟

قلت: لا، لا أمزح!

قال: وهل هذا أمر هين تأخذين رجلاً غريباً إلى منزله؟

ثم قال: لا أصدق ما أسمعه.

قلت: ما بالك؟ ألا تعرفني هل يليق بي ما تفكر به!

قال: ما عاذ الله، لكن ما أعنيه هو أن هذا خطر عليك، كيف لك القيام بهذا الفعل ومعدل الجرائم مرتفع في البلاد؟ وقبل يومين ضجت وسائل التواصل الاجتماعي بحادثة اختطاف.

قلت: لا تقلق، الرجل كان فاقد الذاكرة وتائه، أوصلته إلى منزله وعدت!

قال: تعرفين مكانه!

قلت: نعم.

قال: اسمه؟

قلت: عبد اللطيف!

قال: سنذهب إلى منطقة الفيحاء، ثُمّ نعرج إلى أبي فقد اشتاق للأولاد.

قلت: حسناً لكن لماذا إلى الفيحاء!

قال: تأخذين شابا إلى منطقة ثُمّ تتركينه، كيف تتركينه وهو فاقد الذاكرة؟ أو يمكن يريد القيام بجريمة ما في هذه المنطقة!

قلت مصدومة: ما هذه الأفكار!

قال: لو فكرتي قليلاً وأجبتي عن اتصالاتي المتكررة لما قمتي بذلك!

ركبنا السيارة واتجهنا إلى منطقة الفيحاء ولجأت بالطبع إلى هاتفي، وحين وصلنا نزل زوجي لتفحص الحي والمنازل، ثُمّ عاد وقال المكان طبيعي وليس هناك شيء مثير، لكن!

قلت: لكن؟

قال: ألم تنتبهي بأن هذا المنزل الذي أوصلتِ الشاب عبد اللطيف إليه هو نفسه بيت عماتك؟

قلت: ماذا تعني، أنت تخيفني.

قال: اتصلي الآن على إحدى عماتك!

اتصلت فبادرتها بالسلام والسؤال عن الأحوال وكانت الأمور طبيعية جداً، سألتها هل زاركم اليوم أحد أم طرق بابكم أحد غريب، فأجابت بالنفي، وطلبت مني أن أزورها غداً!

أغلقت الهاتف وقلت لزوجي بأنها تريدني أن أزورها غداً.

اتجهنا إلى بيت عمي؛ والد زوجي في منطقة السلام أيضاً ودخلنا إليه فبادرنا بالترحيب بصوت عال: هلا بو سليمان، هلا أم سليمان.

رد زوجي: هلا بيا هلا بو معاذ

قال عمي: أين الأولاد، ألم أقل لك غير مسموح لكما بدخول البيت من دون سليمان وحسين وليان، فهم تصريحكما للدخول!

ضحكنا فقلت له: الأولاد سيدخلون بعد قليل.

دخل الأولاد فاستقبلهم أبي بكل حب وحنان، فقبلوا رأسه وجلسنا معاً على مائدة العشاء التي أعدتها خالتي والدة زوجي، فبادر عمي

قائلاً: لقد تأخرت في القدوم إليّ يا أبا سليمان هل بك شيء!

سكت زوجي ثُمّ قال: لا شيء يا أبي، لم يأخرني إلا تحضيرات الأولاد.

حدق عمي بي، ثُمّ قال لي: بنتي ياسمين، أنت لا تستطيعين أن تخفي أمراً عني أليس كذلك!

هنا وعلى الفور انطلقتُ بالحديث وكأنني بانتظار زر الانطلاق: اليوم حدث معي أمراً غير معتاد، أخذت شابا تائها إلى بيته في منطقة الفيحاء، قال بأنه

فاقد الذاكرة ولا يتذكر سوى أحداث يذكرها أيام الغزو العراقي، أوصلته ثُمّ عدت!

بانت على عمي علامات الاستفهام: شاب، ويتكلم عن أحداث جرت معه بالغزو، كيف يكون ذلك، هذا أمر مريب؟

عم السكوت ولم ينطق أحد، ثُمّ تساءل عمي: ماذا بعد!

قال زوجي: لا شيء يا أبي ذهبنا إلى نفس مكان العنوان في منطقة الفيحاء لم نجد الشاب، وحين وصلنا إلى المنزل تبين أنه منزل عمات ياسمين!

قال عمي لي: هل اتصلت بعمتك؟

قلت: نعم اتصلت، وسألتها ونفت أن يكون أحد غريب قد زارهم أو حتَّى طرق الباب؟

قال: اذهبي في زيارة لبيت عماتك، وستجدين الإجابة بل ستجدين الإجابات بالتأكيد؟

قال زوجي: هذا ما سنقوم به يا أبي، سنذهب غداً بعد صلاة العصر.

انتهينا من العشاء وقررنا العودة إلى الشقة وهنا قال عمي لزوجي قبيل خروجنا: اعتن بأم سليمان ولا تكسر بخاطرها، إياك يا أبا سليمان.

قال زوجي: أبشر يا أبي، طب خاطراً.

هنا ابتسمت وشعرت بالسعادة تغمرني وقلت: عمي أوصاك بي...

ثم أردف قائلاً: كل ما قيل يجب أن يظل سراً بيننا نحن الثلاثة.

رافقتكم السلامة.

بتنا ليلتنا ونسينا أمر الشاب عبد اللطيف، وفي اليوم التالي وبعد الانتهاء من عملي الساعة ٢ ظهراً عدت إلى شقتي فوجدت زوجي العزيز وأولادي حوله يلاعبهم.

قلت له: ما رأيك أن نذهب لأحد المجمعات التجارية ثُمّ نذهب إلى عمتي، وافقني زوجي ولم يعارض. بالفعل بعد صلاة العصر توجهنا إلى أحد المجمعات التجارية الكبيرة في بلادي، ثُمّ قررنا الذهاب إلى بيت عماتي في منطقة الفيحاء. حين وصلنا قال لي زوجي: ستذهبين الآن لكن لا تتأخري.

قلت: حسناً.

حين دخلت من الباب رحبت بي عمتي الكبرى ترحيباً حاراً وقالت لي: أين زوجك

قلت: في السيارة مع أولادي.

قالت: هل يعقل ذلك يا ابنة أخي، دعيهم يدخلوا إلى البيت!

اتصلت على زوجي وأبلغته بضرورة الدخول إلى المنزل.

فعلاً نزل زوجي من السيارة ومعه أولادي.

كنا في انتظارهم على الباب حتَّى وصلوا فسلم زوجي على عمتي وقامت هي بالترحيب به والسؤال عن صحته وعن عائلته، ودخلنا جميعاً إلى البيت وجلسنا وتجاذبنا أطراف الحديث، لكن انتبهت على شيء لم أتوقعه ولم أتخيله!

وجدت صورة لشاب في إحدى الطاولات، صورة شاب غريب بصراحة شعرت بالفضول لأدقق بالصورة لأن عمتي ليس لديها شُبان في مثل عمري، قمت من مكاني لأدقق في الصورة، ارتجفت أوصالي!

إنه الشاب عبد اللطيف الذي كان معي يوم أمس!

عدت إلى مكاني جوار زوجي وقدماي تكاد لا تحملاني، وقد لاحظ تغير حالتي فقال لي: ما الأمر لماذا شحب وجهك!

قلت له: صورة الشاب عبد اللطيف...

قال: من عبد اللطيف يا أم سليمان!

قلت: الشاب عبد اللطيف الذي أوصلته إلى هنا ليلة أمس!

انصدم زوجي من كلامي ثُمّ قال لي: ما بك يا أم سليمان ما الذي سيأتي بصورة الشاب عبد اللطيف إلى هنا؟ كُفي عن ذلك!

كسرت عمتي كل الأفكار والتساؤلات، فقالت: ما بك يا ابنة أخي ألا تعرفين صاحب هذه الصورة؟

قلت: مع الأسف.

قالت: معك حق، لقد كنتي صغيرة على الأحداث التي جرت في السنوات الفائتة يا عزيزتي...

قال زوجي: من يكون صاحب الصورة؟

قالت عمتي: هذا أخي الأسير عبد اللطيف أخذه جنود الاحتلال إلى السماوة، فكتب الله هو الشهادة وقد عثر على رفاته في أكتوبر ٢٠٠٣ م.

قال زوجي: يرحمه الله، الشجاعة والبسالة عنوان شباب الكويت آنذاك.

قلت: أليس هناك أي تقرير حول استشهاده؟

قالت عمتي: طلقة في الرأس.

هذا ما يُفسر الندبة التي رأيتها في رأسه، بعد هذه الإجابة لزمت الصمت فلم أقو على الكلام مطلقاً بعد الذي رأيته أمس وأسمعه الآن، كنت أفكر ملياً بكل شيء، أسأل نفسي عدة أسأله كفيلة أن تحطم كل شيء.

خرجنا من منزل عماتي، وركبنا السيارة وأنا لا أصدق ما حدث لي، كيف لي أن أصدق ظهور شاب ميت يتجاذب معي أطراف الحديث ولم يظهر لأحد سواي؟ أحمد الله أن عقلي ما زال يستوعب ما حدث، ولا أعرف ما سبب ذلك!

في غمرة هذه التساؤلات، قال لي زوجي: صورة عمك عبد اللطيف هو نفسه الشاب الذي كان معك يوم أمس، هل أنتِ جادة؟

قلت: إنه هو لا يمكن أن أتوه عنه، لقد دققت في كل تفاصيله كان هو معي في نفس السيارة وتبادلنا أطراف الحديث!

لم يستوعب زوجي، ولم يصدق!

ثم قال: زوجتي العزيزة، الأمر الذي لا يمكن أن يقبل القسمة على اثنين هو أنك لا تكذبين، أنا أصدقك، لكن كيف لم تتمكنين من ربط الشاب بذاكرتك!

قلت: لا أعلم، فأنا أعرف بأن لي عم شهيد اسمه عبد اللطيف فقط، لا أعرف شيء عن حياته ولا عن ظروف أسره، لم يعد يذكره أحد أمامي ولذلك حين

ظهر أمامي يوم أمس لم أشك بشيء حتَّى لو كان ذلك فأنا لن أتقبله فهو ميت منذ سنوات طويلة، وجوده أمامي كان مختلفاً فقد كان يتحرك أما الصورة فهي جامدة ثابتة، لكن الذي رأيته هو وصوته الذي لم أسمعه من قبل كيف لي أن أربط!

قال: أصدقك لكن، ليس كل ما يعرف يقال فلا تقولي هذا الحدث لأحد ولا تفكري فيه أبداً. أبي حفظه الله كان يرى بعض الأحيان رجلاً ملثمين في بر كاظمة شمال البلاد وذلك حين كان يبيت في مخيم جدي رحمه الله، حتَّى إنه أسر لي قبل أيام بسر أنه يسمع منادي يناديه باسمه لكن لا ير أحداً، حتَّى إنه يسأل أمي هل ناديتني للتو، تُنكر. ولذلك حين قلتي له ما حدث لكِ لم يستغرب، وطلب منك كشف متابعة الأمر.

عندها قررنا الذهاب إلى بيت عمي.

وجدته جالساً على كرسيه واستقبلني بابتسامته المعهودة وقال لي مرحباً: أهلاً بنتي.

قلت: أهلاً بك عمي الغالي.

قال: اجلسي وأخبريني ما جرى في بيت الفيحاء!

ابتسمت وقلت له ما حدث لي بالتفصيل من البداية حتَّى النهاية رغم علمه بها، هنا ابتسم عمي: صحيح، لقد كشفت الأمر منذ البداية إذ كيف لرجل أن يكون عالقاً بأحداث الغزو العراقي وهو شاب لم يصل إلى الثلاثين!

فجأة شعرت بدمعة تسقط على وجنتي من دون أن أشعر، وسكت لفترة لم أحسب ثوانيها ودقائقها، فقررت النهوض للصعود إلى الطابق العلوي

حينها قال لي عمي: لا تخبري أحداً بما حدث لك، السر بيننا نحن الثلاثة أنت وأنا وأبو سليمان.

(٩)

«عمارة الحضارة»

عبد الرحمن العليان

Ab_ol24

تدور أحداث هذه القصة في عمارة الحضارة تحديداً الشقة رقم ٥ من الدور الثالث في مدينة الرياض.

تنبيه: أنا غير مسؤول في حال انتقلت لك اللعنة عبر الزمن وخرجت لك من صفحات الكتاب إلى الواقع لتعيشها بعينيك لا أن تقرأها فقط.

أنا احذرك وقد أعذر من أنذر.

في يوم الخميس الهادئ كالعادة ذهب الحارس يعقوب أو الملقب بين سكان العمارة بـــ«أبو أحمد» وأخذ ينظف العمارة كعادته في نفس الوقت المتأخر من الليل كل يوم قبل أن يكافئ نفسه بوجبة عشاء يحضرها في غرفته المتواضعة.

وتفاجأ بعائلة قادمة يملأ وجوههم التعب والإرهاق وسألهم بلطف

«أين تذهبون؟»

أجابوه وهم يحملون أغراضهم للسلالم بحكم عطل ذاك المصعد العتيق الذي يوضح بأن لا أحد يستخدمه منذ سنوات، بإجابة جعلته صدمته بل حتَّى لم يساعدهم في حمل الأغراض. «نحن السكان الجدد للشقة رقم ٥.»

وتمتم بهدوء وهو يرحل «أهلًا بكم»

وبعد أن انتهى أبو أحمد وذهب إلى غرفته غرق بالتفكير حتَّى أنه نسي الوجبة التي كان يخطط لطبخها اليوم على العشاء، الذي كان يشغل تفكيره هو وكيف بعد كل هذه السنوات وكل هذه السمعة المرعبة عن الشقة رقم ٥ التي يعرفها الجميع أن تأتي هذه العائلة وتسكن بها؟ تساءل هل يخبرهم بسره هذه الشقة؟

ولا أتقيد بتعليمات صاحب العمارة البغيض الذي هدد أي أحد بإخبار أي ساكن جديد فيها

وبحكم صعوبة حالة أبو أحمد المادية قرر التكتم عليها وعدم إخبارهم بأي شيء.

بعد مضي أسبوع بدأت الأحداث الغامضة تحدث مع العائلة المكونة من أم وأب وشاب مراهق يدعى رمزي.

رمزي الشاب الفضولي الذي تدفعه مراهقته للقيام بالأعمال الخطرة رغم معاملة والده السيئة له، ورغم سوء والده الذي تغير فجأة إلى رجل مثالي يفهم مشاكله، يقدره، يحترمه، ويعرف من أي ركن يحتويه بكامله لكيلا يدعه للغرباء ليستغلوه، بدأ يشعر بالغرابة تارة يشعر بأحد يوقظه من نومه وتارة أخرى يشعر بأن هناك أشخاص يتبعونه، وفي يوم من الأيام أراد أن يقطع الشك باليقين بعدما استيقظ في منتصف الليل على شخص يجول في غرفته واستقر بالزاوية، أخذ يتبعه بكل فضول.

توقف ذلك المخلوق وقال له رمزي من أنت؟ وما الذي أتى بك إلى بيتنا؟ ما الذي تريده؟ كان رمزي يشعر بأنه الأسد وعليه حماية عرينه الذي يسكنه والديه وفي لحظة من غير سابق إنذار أجابه المخلوق بكلمات غريبة وقال «أنت في غير المكان وزمان غير الزمان والأرض ستبتلعك بين الأركان» وعندما شعر رمزي فجأة بأن أطراف جسمه أصبحت باردة وتقشعر بدنه لدرجة بأن الشعر الخفيف فوق شفتيه تصلب مكانه، كان فقط نور القمر هو الذي ينير شيئًا بسيطًا من بين الستائر، ومن ثُمّ استجمع رمزي قواه وتذكر بأنه الأسد وعليه حماية عرينه وأخذ أحد نعليه وقذفه عليه ثُمّ اختفى، وعاد رمزي إلى سريره وهو يشعر بالانتصار التام ولكنه لم يكن يدري بأنه فتح بوابة ملعونة، أو أنه انتقل عبر الزمن من دون أن

يشعر، بسبب تواصله مع مخلوق غريب لا يدري حتَّى إن كان من الجن أم مخلوق آخر، وبالفعل نام رمزي دون أن يخبر أحداً سره، ونام وهو يملؤه شعور القوة والفخر بأنه أبعد الخطر حتَّى عن عرينه.

وفي اليوم التالي استيقظ على نقاش تعلوه أصوات أمه وأبيه يحلفان بأنني لم أكن الفاعل.

كان المطبخ متسخا لدرجة أن الرائحة النتنة كانت منتشرة في البيت. استيقظ رمزي ثُمّ قالت أمه:

ها هو الأستاذ أتى ولم يبرر لنا فعلته حتَّى.

ذهل رمزي من كلامهما وأخذ يقسم لهما بأنه لم يأكل ليلاً، كما أنه قام بتنظيف الصحون وبقايا الأكل على الطاولة، مر الموضوع وكانت أمه تريد التحقق من الأمر بحكم خوفها على عائلتها ولكن كانت تتجاهل كل شيء بسبب قلة التكلفة لإيجار الشقة.

استعد رمزي لمقابلة اصدقائه وكان في الساعة العاشرة مساءً على أتم الاستعداد وعندما خرج ذهب بال سلالم لعطل المصعد القديم، أخذ ينزل الدرج وشعر بأنه نزل عشر طوابق ولم يصل إلى النهاية وأخذ ينزل ويصعد بشكل هستيري وكلما نزل كأنه يصل إلى مكان لا نهاية له وحاول الرجوع إلى البيت ولكن لم تكن هنالك نهاية لهذه السلالم، وعندما وجد أن لا نهاية ولا بداية لهذه السلالم الغريبة استسلم لدقائق ومن هول ما رأى فقد وعيه.

استيقظ بعد فترة وهو في مكان مظلم ورأى طفلا يمشي باتجاهه ولكنه دخل في نوبة هلع بعدما رأى نصف ذاك الطفل عظام لا يكسوها أي طبقة من الجلد، انتظره الطفل وكانت ملامح الغضب تملأ وجهه، وقال له الطفل

بصوت جهوري غريب «إن أمي تخبرك بأنك قتلت أخي وأيقظتني من النوم فأنت الآن ابنها ولن تخرج من هنا أبداً».

بعد مرور يوم بدا القلق يسكن قلوب والديه وما إن أشرقت شمس اليوم التالي ذهبوا مسرعين إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن فقدانه وبعد انتظار ٢٤ ساعة وتعميم البلاغ على مراهق مفقود متوسط القامة قصير الشعر يرتدي النظارات الطبية، أخذت الشرطة تبحث عنه هنا وهناك وبكل المستشفيات أيضاً ولكن للأسف كان المحقق «نضال» الذي استلم القضية يعمل عليها ليلا ونهارًا حتَّى تلقى رسالة في ظرف على مكتبه كانت مكتوبة بخطٍّ بالكاد يفهم، كان محتواها سطر واحد كُتب بلا أي شيء آخر: «ابتعد عنا وإلا ستهلك» توقع أنها رسالة من عصابة وأخذ يبحث ويتحقق من مصدر الرسالة ولكنه لم يسطع الوصول إلى أي معلومة أبداً، لم يكترث لها وأكمل التحقيق جاعلاً تلك الرسالة الدافع للإمساك بالعصابة التي باعتقاده هي وراء اختفاء رمزي، وبعد مرور شهر كامل على استلام القضية وجدوا المحقق نضال ملقى به مقتولاً خلف عمارة رمزي، وفُسر مقتله بأحداث غامضة لا أحد يعرفها.

تسلم القضية من بعده القاضي سالم الذي كان الشغف يدفعه لأنها أول قضية له وكان يتميز بالذكاء التحليلي لأي حدث، أخذ ينبش هنا وهناك عن ماضي الشقة ووجد بأنها مهجورة منذ سنين عدة، وفي عام ١٩٨١ حدثت بها جريمة قتل شنيعة حيث قتل شخص غريب لا أحد يعرفه فتاة وأمها كانتا تسكنان بالشقة لوحدهما، وتم تقطيع لحمهما وطهيه. والعجيب بالأمر أن اللحم تم تركه في صحون على مائدة الطعام بشكل مرتب وكأنه تم إعداده لأحد الضيوف، وبحسب ما ذكر التحقيق أنه في حال وصولهم كان اللحم قد بدأ يتعفن وأيضاً تم إقفال ملف القضية إلى يومنا هذا، أشعل المحقق سالم سيجارته وأخذ يدخن ويفكر بالدخان الذي يخرجه وكأنه يحاول فك أحجية

أو لغز ما، بعد مرور شهر تحديدا تلقى ذات الرسالة التي تلقاها المحقق نضال ولكن لوهلة أدرك سالم أن القضية قد تحتوي على مخلوقات أخرى وكان في أ أسفل زاوية الرسالة حروف غريبة لا تكون جملة مفيدة.

"ع ع ر ر ع ع هـ هـ"

اتجه بعدها سالم إلى منزل رمزي واستأذن اهله بالدخول إلى غرفته لتفتيشها فقط وحالما فتح الدولاب وجد ذات الأحرف بالرسالة بذات الخط نفسه، هنا أدرك أنه ضمن لعنة صعبة ولن يخرج منها، وبعد يومين فقط وجدوا المحقق سالم خلف العمارة مقتولاً ولكن هذه المرة كانت طريقة قتله بشعة جداً، فقد كانت يداه مكسورتان للخارج وفك وجهه مكسور وعيناه تم قلعهما وكتب بدمه على جبهته بخط كبير وعريض وواضح حرف الهاء «هـ». بعد كل تلك الأحداث قرر حارس العمارة أبو أحمد إخبار أهل رمزي بدافع إنساني جعله ينسى جميع العقوبات التي قد تحل به من صاحب العمارة أو حتَّى قد تحل به ممن سكنوا الشقة وأخذو رمزي.

اتجه أبو احمد إلى الأم وأخبرها بتاريخ الشقة الملعونة التي حدثت بها جريمة قتل كانت بشعة جدّاً لشخص كان يسكن الشقة، هذه واحدة حدثت منذ سنوات، ولا أحد يعلم سبب قتله إلى هذه اللحظة رغم أنه كان رجلا صالحا، وعندما وجدوا جثته كان ذلك في بداية العام، ووجدوا وصايا نُحتت بالجروح على يده وكان من ضمنها جملة غريبة يذكرها السكان وبعض الناس. كانت هذه الجملة «أهلاً، وجدتموه هنا ولكنكم لن تجدوا من وراء هذه الجريمة ولن تجدوه وحتَّى هذا اليوم لن يعلم أحد سبب القتل أو حتَّى الفاعل» وأخبرها أيضاً أن الذي خطف رمزي هو ليس من فعل الإنس وهنا زادت المصيبة على الأم كالصاعقة عليها وأخذت تذهب إلى الروحانيين للاستعانة بهم والتخلص من هذه اللعنة. كل روحاني يأتي البيت

يخرج منه بطريقة مرعبة دون إخبارهم بشيء حتَّى خرجوا جميعهم قبل أن يأخذوا أجورهم ولكن توقف الموضوع عند الروحاني الذي يدعى عمر، وأخذ بتفحص البيت شبراً شبراً. وبعد أكثر من ساعتين من الفحص الدقيق وتسجيل الملاحظات أخبر الأم أن هذه الشقة مسكونة وسكنتم بها لأن من يسكنها تعاونوا مع إحدى قبائل الجن ليأخذوا ثأراً قديمًا منكم، استغربت الأم من الكلام ولم تصدقه، لكن مرت الأيام على اختفاء رمزي وحزن الأب والأم عليه، وقالت الأم ما قاله لها الروحاني عمر، وعندما سمع الأب هذا الكلام اعتلت وجهه ملامح الخوف والصدمة معا ثُمّ قال: «كيف يمكن ذلك؟ ولماذا نحن؟ ما الذي يريدونه منا؟ قالها والغضب يخفي ملامح الخوف التي في وجهه.

وفي يوم رأى حارس العمارة رمزي وركض خلفه حتَّى أوصله إلى السلالم والتفت عليه رمزي وقال له أمي تقول لك بأنك ضيفنا اليوم. لم يستوعب ما حدث إلا وهو يسقط بعد أن تلقى ضربة من خلفه واختفى. استيقظ بعد فترة لا يعرف كم مدتها، ولكنه يعلم أنها كانت طويلة جداً، ثُمّ وجد رمزي معلقا على أحد جدران المكان الذي كان فيه، كان في مكان أرضيته أشبه بالطين الممزوج بمادة أثقل من الدم، رائحتها لا تطاق.

وظهرت له فجأة عجوز شمطاء تغزوا ملامحها المرعبة وجهها وقالت: «لماذا أخبرت أمه بذاك السر الذي بقي مخبئا لفترة طويلة؟ أنتم البشر المقرفون يملؤكم الفضول! ألا تعلم بأنك لن تخرج من هنا؟ بأنك ستصلب حتَّى يتدرب عليك صغارنا كيفية التشكل وكيف يتلبسون بشريا؟

أهلا بك في عالمنا! لن أعدك بأننا لن ندعك تموت هكذا ولكن ستموت بكل ألم لأن من يتطفل على تاريخنا سيدفع الثمن في حياته، ولكن سيدفعه ببطء على مدى السنين لم ينطق أبو أحمد بكلمة واحدة واكتفى فقط بمواساة نفسه

بأنه فعل الشيء الصحيح بإخبار أم رمزي حتَّى لو رحل عن الحياة، فلن يزعجه ضميره على أي شيء.

بعد شهر من معاناة الأم والأب أصبحت الأم تشعر بأشياء غريبة بالبيت وكأن هناك من يوقظها من نومها أو من يحدق بها من إحدى زوايا البيت المظلمة، لم تهتم واعتقدت بأنها تتوهم ولكن كل شيء كان وهم إلا هذه الأفكار، لاحظت الأم صوت المصعد بين الحين والآخر وبحثت عن الحارس أبو أحمد ولم تجده ولكن أكد ذلك أحد الجيران أنه في يوم الخميس تحديدا في منتصف الليل شاهد المصعد يتحرك للدور الثالث الذي لا يوجد به إلى شقة رقم ٣. بسرعة ومن ثُمّ يعود مكانه الأصلي

وفي ذات ليلة أبلغ أحد سكان العمارة يشتكي من صراخ امرأة من الشقة رقم ٣، فاعتقدوا بأن زوجها كان يضربها بسبب سمعته السيئة وأفعاله الشنيعة بالماضي.

أبلغوا الشرطة، وعندما ذهبت الشرطة إلى هناك واقتحمت الشقة عنوة وجدوا الأم مصلبة في غرفة رمزي ومكتوب أسفلهم بالدماء:

«لا تقترب وإلا سوف تهلك»

ولاحظوا جثة الأب في غرفة رمزي، ووجدوا رسالة غريبة كُتب فيها:

إن أردتني اقرأ المكتوب بصوت عال»

«زيرق دُك الأرض وأسرع وابرع وسهرع»

وما أن قرأها الضابط إلا وتشكل له الأب أمامه وقال: «أنا «هقرع» كنت كبير قبيلة الجن القرمزية.

ولم أكن بشريا، فقد كنت أتشكل على هيئة الأب الذي قتلته لأنني أحببت أم رمزي حبا جعلني أكسر دستور القبيلة لأتزوجها رغم جميع أنوفهم الطويلة المقززة وما إن ذبحت الأب عشت حياة سعيدة جدّاً معها ولكن كل شيء تغير منذ وصولي إلى هذه الشقة الملعونة التي لم أكن أعلم أن قبيلة الجن «هع» تسكنها وأن قبيلتي تواطأوا معهم لكي يجعلونني أندم وأخذوا مني رمزي الذي أحببته مثل ابني وأكثر من ابني الخائن، وهاهم يأخذون حبي الذي دفعني لأقتل زوجها القديم ذاك الرجل الكريه الذي لم يكن يقدر بأنه يمتلك أجمل امرأة ظاهرًا وباطنا، حاربت بجثتي كبشري ولكنني لم أستطع إيقافهم حتَّى قاموا بإلقاء تعويذة علي جعلتني أبدو على شكلي الحقيقي ومن ثُمّ هربت وها أنا أقولها لك وأعلم أنهم يتهافتون بالجدران لأن يجهزوا علي ويقتلونني حرقًا ونحرًا وتعذيباً، ولكن قلت لك القصة لتكتبها في ملف القضية ويصل حبي للناس ويكون الحب قاتلا.. حتَّى الأشياء الجميلة. وما إن انتهى من كلماته الأخيرة سمعوا الضباط ضباحا اقوى من ضباح الخيل وكأن جيش عظيم يتقرب نحوهم. تم قتل الأب، أما الذي دلهم على ذلك فهو صوت سفك الدماء، الذي كان غريبا أن للدم صوت ولكن لأنه ظهر لهم بهيئة لا تهمهم كثيراً، وتم قتله بلا رحمة لكي ينقذوا عاداتهم وتقاليدهم، وأغلقت ملفات هذه القضايا بتدخل الجن ولم تفتح ملفاتها حتَّى اليوم خوفاً من أي لعنة تصيب من يفتحها.

وكُتب على جدار الشقة المقابل للباب:

أنا لست كتابا لتقرأني وتنتهي مني ثُمّ تضعني على الرف أو تعويذة لتلقيني وتنسى حفظ أحرفها الغريبة.

أنا أدخل إلى عقلك الباطن، إلى أفكارك، كلماتك، وحتَّى أنني أحتل ذكرياتك وأخترق عقلك لتصبح ملكي أيها البشري الضعيف، ومن يحاول الدخول

إلينا سندخله لكنه لن يخرج، أنا لست بتلك السهولة التي تجعلك تفعل الحيل لتتخلص مني أو تستعين ببعض الروحانيين لتنهي ما بدأته، إذا بدأت معنا فلن تنتهي أعدك بذلك.

أنا لست بهذه السهولة، فقسمًا سأخرج لك من خيالك بوسط النور وأقلب حياتك رأسًا على عقب.

أنا لست بهذه السهولة..

أنا لعنة ممتزجة ومخلدة من عصورٍ عدة.. كل من يتقرب منا سيهلك.

النهاية

وأقفل ملف هذه الشقة الملعونة ولم يتجرأ أحد على فتحها خوفاً مما ذكر بالملف من المحققين وخوفًا من ذلك المكتوب أمام جدار تلك الشقة، سكنها الجن والإنس وبقي الجن ورحلوا الناس، وكأنها بوابة عتيقة ملعونة تنقلك من عالم البشر إلى عالم الخوف والجن عالم لا يوجد به إلا الظلام ويتبعه الهلاك، ومخلوقات أخرى.. فمن يدري؟

وبوصولك هنا عزيزي القارئ أهنئك لأنك فتحت ملف الشقة الملعونة بلعنات من عصور مختلفة

وقرأت تاريخهم بحذافيره من البداية وحتَّى نهاية القصة والحكاية، وقد تكون أنت المقصود بذلك النص على جدار الشقة.

وقد ترى أحداث هذه القصة أمام عينيك واقعاً تعيشه وليس مجرد أحرف تقرؤها، وها أنت أصبحت ممن تطفل على تاريخ الشقة، ولا تنسَ كلام العجوز للحارس المسكين أبو أحمد..

نبهتك في بداية القصة لكنك قلبت الصفحة ولم تهتم فأنا غير مسؤول الآن عما سيحدث لك.

(١٠)

«من حكايا الزيتون - لن ننسى جولز»

هند النوبي

carmeritta

لطالما قالت جدتي أن كل البشر قد يبدون طبيعيين تماماً، ولكن ما يميزنا عن بعضنا هو ما نحمله في دواخلنا، قصصنا التي شكلتنا ولا نزال مرتبطين بها، كمخاوف أثقالها معلقة في أقدامنا لتهوي بنا إلى القاع، أو أجنحة تطير بنا لغيوم السماء.

حياتنا ليست سوى فصول قصص مليئة بشتى المشاعر والأحداث، ويجب أن نختار بعناية الصفحات التي سنسمح للآخرين بقراءتها عنا..

ولكن الأريكتين الفرديتين قرب المدفئة التي يحترق بداخلها الخشب تحويان نوعاً ما من السحر يفقد المرء السيطرة على كتاب حياته ويجعله يقرأ دون وعي صفحاته التي لا يزال دخان احتراقها يلوث بقية فصوله، تجلس جدتي على إحدى الأريكتين دوماً، ومن يسوقه قدره ليجلس على الأخرى فلن ينتهي اليوم إلا وقد أصبحت إحدى أسراره قصة في كتابنا السري...

يترك الضيوف قصصهم معنا.. ويرحلون...

وها أنا أنظر للقادمين الجدد.. ستة أشخاص.. من منهم سيجلس في تلك البقعة السحرية؟.. من منهم سيرغمه سحر المكان على البوح... وبماذا سيفضي لكتاب حكايا الزيتون؟..

- «أنت بالكاد تتحرك يا مارينو».

- «.. وأنت تركض ركضاً يا حضرة المفتش..».

نجح مارينو بأسلوبه البارد في جعل نشاط فابيان يبدو أمراً محرجاً، فالتفت موبخاً: «لا داعي للكسل والتقاعس مهما كان السبب!»

- «ألسنا هنا لنحظى بإجازة لنسترخي؟»

- من لا يأخذ وقت راحته بجدية، فلن يستفيد منه شيئاً، الإجازة لا تعني الكسل البتة! إن كنت تنوي الكسل.. فالأفضل لنا أن نعاود العمل لأنه مفيد أكثر!»

تنهد مارينو وأسرع بخطاه خلف فابيان، حيث كانا يسيران في طريق ترابي محاط بالأشجار المتفرقة، وكلاهما يحمل حقيبة متوسطة، ويلحقان بالآنسة ماركس التي سبقتهما ووقفت تنتظرهما عند بوابة مزرعة كتب أعلاها (مزرعة أوليف)

قالت أبيجايل: يبدو المكان أفضل مما توقعت!

- إنها مزرعة صديقة قديمة لي، تستقبل فيها الضيوف وتقدم لهم تجربة فريدة، يمكننا هنا فعل الكثير! مثل حلب الأبقار وبناء الأسوجة المتضررة والاعتناء بالأحصنة والدجاج ومساعدتها في العناية بالمزرعة.

سمع كلاهما صوت سقوط الحقائب من يد مارينو خلفهما وهو يصيح بصدمة: أي نوع من العُطل هذه؟؟!!! أكانت هذه خطتك منذ البداية؟؟!!!

بينما تلألأت عينا ماركس وقالت وهي تضم يديها معاً: «إنها تبدو كعطلة رائعة! أنا متحمسة للتجربة! إنها أمور نحن سكان المدينة غير معتادين عليها، كما أننا سنساعد السيدة أوليف، إنها عطلة ذات هدف نبيل وسام!

أومآ فابيان برأسه بحماس وقال: « يجب أن يعطي الشخص معنى اعمق لوجوده ويبقي أثراً طيباً حتَّى لو كان في وقت استراحته، نحن محظوظون بأن تتسنى لنا الفرصة.

قلب مارينو عينيه بلا حيلة وهو يقول محدثا نفسه:

كان يجب أن أتوقع أمراً كهذا من مدمني العمل هذين!

لم يكن هنالك سبيل للهرب لأي مكان الآن، إنهم في أرض زراعية والباص الوحيد الذي ينقل الركاب هو الذي أنزلهم في بداية الطريق الترابي وعاد، ولن يعود سوى الأسبوع القادم. سحب مارينو نفسه خلف الاثنين بائساً، وعندما كاد يعبر بوابة المزرعة، التفت يمينه قطة ظريفة برتقالية اللون، لها عينان زرقاوتان، ظل يحدق بها حتَّى ناداه فابيان ليلحق بهما.

نابيان: أكنت تتمنى أن تكون قطة حتَّى تعيش لا مبالياً دون عمل ومسؤوليات؟ أكنت تحسد القطة على كونها قطة؟.

لم يرد عليه مارينو، فنظر له فابيان وقال بنبرة شماتة: « يا إلهي هذا مثير للشفقة! ».

قهقهت ماركس بينما تمتم مارينو بعبارات حرج غير مفهومة، وصلوا باب النزل ودخلوه حيث كان في طابقه الأرضي منفتحاً على بعضه ولا توجد به سوى غرف منفصلة معدودة، وهناك سلم يقود للأسفل حيث القبو، وآخر يقود للطابق العلوي حيث غرف النوم، كانت أعمدة الخشب الموزعة تضفي عليه طابعاً ريفياً مريحاً، دعم ذلك وجود مدخنة يحترق داخلها الخشب، تتوزع أمامها بضعه أرائك في غرفة المعيشة، اثنتان مفردتان، وأخريان ثلاثيتان، هناك وسادات أرضية بما مجموعه عشرة مقاعد. وفي زاوية المطبخ طاولة متوسطة الحجم حولها عدد فردي من الكراسي، ستة منها متشابهة، والسابع الأخير له لون وشكل مختلفان قليلاً. لم تمض بضع لحظات على دخولهم إلا وقد نزلت فتاة مراهقة من الطابق العلوي تغطي شعرها بشال أبيض ولها عينان بنيتان ووجه متجهم، حملقت في وجه الآنسة ماركس بحدة واضحة لثوان، رحب بها فابيان وهو يتقدم نحوها فاتحاً ذراعيه: « مايسي! لقد أصبحت شابة جميلة»

ولكن مايسي تجاهلته واتجهت نحو المطبخ وهي تنادي: «جدتي لقد وصل فابيان والآخران».

عدل فابيان وضعيته: « حسناً لا ألومك، لقد كنت صغيرة في آخر مرة تقابلنا، تصرفك سليم، لا تسمحي لأي شخص لا تعرفينه باحتضانك»

و لكنها كانت قد اختفت خلف باب المطبخ.

- «.. لقد تذكرت هويتك دون أية مشاكل علق مارينو بهدوء رد فابيان بحرج: لم لا تركز على حقيقة أنها نسيتك؟»..

عادت الفتاة بوجهها المتجهم وهي تتبع جدتها ودودة المحيا ذات البنية الصحية، والتي جاءت لتنقذ فابيان من حرج الموقف، حيث كان يتجنب نظرات مارينو المستفزة وهو يشرح للآنسة ماركس باختصار الظروف القديمة التي جمعته بمعرفة مايسي وجدتها أوليف، رحبت الجدة بوجودهم وهي تفرد ذراعيها: « لا أظن أنه يمكنك أن تختصر القصة التي تجمعنا معا في كلمات بسيطة يا حضرة المفتش! سيكون ذلك إجحافاً في حق الجهد الكبير الذي بذلته في لم شملي مع حفيدتي، وفي مساعدتي للحصول على حقوقي وبدء هذا المشروع!»

احتضنها فابيان بقوة، عانقت مارينو بعدها وتبادلت معه الترحيب، ثُمّ حولت نظرها نحو ماركس « أهلاً وسهلاً بك، لقد أخبرني المفتش أنك الإضافة الجديدة لفريقه! »

- وقد أخبرني الكثير عنك أيضاً سيدة أوليف، تعود معرفتكما ببعض إلى حدود العشر سنوات؟

- أوه عزيزتي، نادني الجدة أوليف، هل مضى كل هذا الوقت على معرفتنا؟ سألت فابيان بحنين يفيض من عينيها دون انتظار إجابة وأردفت: « وصدقيني، أنوي أن أرد له جميل صنعه لعشر سنوات أخرى لو استطعت، لم لا نترك الأحاديث لوقت آخر وتستريحوا الآن من رحلتكم الطويلة؟ كما أخبرتكم على الهاتف، تتوفر غرفتان لكم، ولكن علي أن أعتذر من الآنسة ماركس، فهي ستنام في غرفة حفيدتي مايسي لليلة واحدة فقط! أرجو أن لا تقلقي فقد نظفت حفيدتي الغرفة بحرص».

تململت المراهقة مايسي في وقفتها وتمتمت: « لست قذرة من الأساس » عاتبتها جدتها على أسلوبها الفظ، بدا وكأنها كسرت اتفاقاً سرياً بينهما، فأشاحت ببصرها وشرحت الجدة باعتذار في صوتها: «لقد جاءنا ضيف غير متوقع، سيد كبير في السن يتنقل عبر المنطقة، لقد تأخر الوقت لكي يجد أي مكان آخر الليلة، فأعطيته واحدة من الغرف التي كنت قد جهزتها لكم، أنا أعتذر جدّاً على ذلك»

ردت ماركس: « أنا لا أمانع، بل يكفيني امتناناً أنك تسمحين لنا بالمكوث مجاناً».

أكمل فابيان بشهامة: « لن نكون سبباً في تعطيل عملك وإقلاق راحة زبائنك، ستنام مايسي في غرفتها وستنام الآنسة ماركس في غرفتنا وسنفترش أنا ومارينو غرفة المعيشة»

نظر له مارينو وتساءل بصدمة: « ماذا؟» تهلل وجه مايسي أخيراً، لكن الجدة رفضت بشكل قاطع وسحبت ماركس من يدها بعفوية.

صعد الجميع للطابق الثاني، ووجهت الجدة الرجلين لإحدى الغرف، وطلبت من حفيدتها مايسي أن تأخذ ماركس لغرفتها بعد أن قرصتها في أذنها بسرعة بعيداً عن أنظارهم، ونزلت من جديد لتنهي إعداد الطعام.

تبعت ماركس المراهقة المتجهمة، وحينما دخلت الغرفة، قالت مايسي بحدة: « أرجو أن تستمتعي بالإطلالة! مرحباً بك في مزرعة أوليف»

وغادرت مغلقة الباب وراءها بغضب واضح. كانت ماركس تدرك السبب وراء ترحيب مايسي الساخر، لذا سارت نحو النافذة مبتسمة رغماً عنها دون أن تترك تصرفات المراهقة تفسد مزاجها، فتحتها بسعادة وأطلت برأسها للخارج لتستنشق الهواء العليل فقط لتختنق بالمنظر المروع الذي رأته أمامها!

تطير الغربان لتكشف وقوفها على شواهد قبور مبعثرة! طرفت ماركس بعينيها لا تصدق أنها ستبيت في مزرعة تقبع بجانب مقبرة ممتلئة! ووسط دهشتها، انتبهت لشخص يرتدي السواد يقف في أبعد نقطة يمكن لها أن تراه فيها، وقد كان يرفع يده ويلوح لها، وببردة فعل لا واعية رفعت يدها قليلاً ولوحت له أيضاً.. ثُمّ أدركت غرابة فعلها، فأسدلت الستائر على النافذة المفتوحة وذلك الغريب، وهمت بتجاوز الصدمة وتبديل ملابسها استعداداً للعشاء وقضاء أول يوم من عطلتهم..

طلبت الجدة من الجميع أن يتناولوا العشاء معاً، ليعرفوا بأنفسهم ويتشاطروا القصص.

كانت الأحاديث عفوية سريعة ولطيفة، شرح فيها الجميع أسباب تواجدهم هنا، حيث أن العجوز عبر عن أسفه لإفساد حجوزاتهم لاضطراره البقاء لهذه الليلة، ولكنه طمأنهم أنه سيغادر غداً باكراً، بينما الزوجان الشابان

ناكانيشي يبحثان عن طبيب شعبي المعالجة مرض تعانيه الزوجة في عينيها، بينما حكى الثلاثة أنهم جاؤوا إلى هنا للاسترخاء بعد انتهائهم من قضية معقدة وغريبة مع السراب الذهبي في مدينة آمون منذ عدة أيام..

جهزت الجدة أوليف مشروبات ساخنة بعدها، ووقفت هي وحفيدتها تنتظران من الضيوف أن يتوزعوا بين الأماكن العشرة في غرفة المعيشة تثبتت عيناهما على مارينو الذي جلس على الأريكة اليمنى الوحيدة.. والذي شعر بشيء غريب يزداد في داخله جعله ينظر نحو الاثنتين فجأة، فرأى نظرة يصعب تفسيرها على وجهيهما قبل أن تباشرا في لحظة واحدة التحرك لأعمالهما، فهز رأسه وقال: «أظن أنني سوف أشرب مشروبي في الخارج» أمسكه فابيان من ذراعه وأرغمه على الجلوس إلى جانبه: « كفاك.. قليل من الاختلاط لن يقتلك..»

عندما جلس مارينو بجانبه، زالت كل الأحاسيس الغريبة التي شعر بها منذ ثوانٍ، مما أصابه بالحيرة وتأكد أن الأمر لابد وأن يكون مجرد عرض جانبي من القضية الماضية، جلس العجوز في مكانه السابق على الأريكة اليمنى، وجلست على الأريكة الوحيدة الأخرى بجانبه الجدة أوليف مبتسمة، وتوزع البقية على الأرائك الأخرى..

بدأ فابيان يقول: «وكما كنت أحكي لكم عن قضيتنا الأخيرة، دعيني أجيب على السؤال الذي طرحتيه أيتها الجدة أوليف..»

ولكن الجدة لم تنتبه له، بل ظلت تسترق النظر نحو العجوز الذي يجلس بجانبها..

نادى فابيان مجدداً: «جدة أوليف؟».

عندها فقط طلبت منه إكمال كلامه إلا أن صوتها حمل عدم اهتمام واضح معاكساً لحالها المرحة وقت العشاء، ثُمّ قالت بعد أن انتهى فابيان: «إني أريد أن أعرف المزيد عنكم يا أعزائي.. سيدي، هل أنت متزوج؟ ».

وجهت حديثها للرجل العجوز، فأجاب من فوره: «أوه كلا.. ليس بعد».

«- ألم تجد المرأة المناسبة بعد؟ أتقول أنّ كل نساء العالم لم يرقين لتوقعاتك ويرضين ذوقك النادر؟»

شرب مارينو وماركس من كوبيهما في وقت واحد باهتمام وهما يراقبان العجوزين، يتساءلان إن كانا سيشهدان تصرف كبيري السن هذين كعصفوري حب يزقزقان؟

أضاف السيد ناكانيشي مشجعاً: «هيا لا تتواضع، لابد أن هناك امرأة ما لا يمكنك نسيانها قط، حتَّى وإن لم ينته بكما المطاف معاً..»

وافقوه جميعاً مشجعين بمرح، وعندما هدأت الجلسة قال العجوز:

«على ذكر النسيان، تذكرت الآن قصة كنت... سمعتها في رحلتي.. هل... هل تحبون أن تصبح جزءاً من ذاكرتكم؟».

أكدت الجدة أوليف وهي تميل بجسدها باهتمام: «مؤكد، أرجوك هيا لا تتردد».

و كأنها ردت عن الكل، اتسعت ابتسامة الرجل بامتنان وكأنهم يتفضلون عليه باختيار سماع قصته، وبدأ يسرد: «ماذا إن كان النسيان اختيارياً؟.. كأن ينسى الإنسان ماضياً مؤلماً، أو ذكرى تمنعه من المضي قدماً، وإن كان كذلك، فلمن نعطي سلطته؟.. للمجرمين؟.. كحق يحصلون عليه بعد قضائهم مدة عقابهم فينسى الناس جرائمهم ونعطيهم حق الانخراط في

المجتمع ببداية جديدة؟ هل سيستطيع الإنسان يوماً اختيار ما يريد أن ينساه أو يتناساه البشر عنه؟ ووفق أية معايير يمكننا أن نعطيه هذا الحق؟ بمجرد أن يطلبها؟ أو يجب أن ينهار ويصبح عالة على المجتمع فنختار له نعمة النسيان؟ وإن كان النسيان اختيارياً، ألن يمنع هذا التطور البشري بكل جوانبه؟ ألا يقوى الإنسان بتذكر الماضي والتعايش مع كل ما يؤلمه؟.»

- «أستحكي قصةً أم ستلقي علينا محاضرة في الفلسفة؟» تساءل فابيان، فرمقته أوليف بنظرات عتاب، تنحنح وطلب منه أن يكمل.

- «أعتذر لمقدمتي الطويلة ولكنها ضرورية، فأنا لم أنفك أسأل نفسي هذه الأسئلة منذ.. أن سمعت بتلك القصة.... فربما تكون الإجابات هي المغزى من معاناتها..»

صمت وكأنه يستجلب ذكرى من أعماق النسيان بحد ذاته، ثُمّ اكتفى بالتبسم، وبدأ أخيراً: «عاشت جولز أول سبعة أعوام من حياتها في قرية تغطيها الثلوج وتجمدها الرياح بشكل دائم، لكنها في أول يوم لها في عامها الثامن كانت نائمة في سرير لا تألفه، في غرفة لم تميزها، حولها أشخاص قلقون تراهم للمرة الأولى في حياتها، ساعدتها امرأة عطوف على تناول القليل من صحن طعام ساخن، وأخرى تحرص أن تغطي كل إنش من جسدها ببطانيات دافئة.

سألوها عن اسمها، عن عمرها، وأين تسكن، وما أسماء والديها وجيرانها، يأملون أن يعيدوا إليهم هذه الفتاة المسكينة التي سقطت في النهر البارد وأنقذوها.. فهي ليست من قريتهم، ولابد أن أهلها وأحبابها يكادون يموتون خوفاً عليها.. وقد كانت جولز تعلم كل الإجابات لأسئلتهم، ولكنها أخذت تحاول تحديد نقطة البداية لكابوسها.. ولسوء حظها... فإنها كانت تذكر كل شيء... وهي لن تنسى أي شيء أبداً..

تتذكر في ذلك المساء فطائر جدتها اللذيذة، واجتماع عائلتها وسكان القرية أجمع في مزرعة العم زيك، وأنها كانت مطيعة كما وعدت والدتها، فلقد أصبحت فتاة كبيرة، ولكنها نسيت وعدها عندما لمحت مجموعة أصدقائها المقربين، وركضت نحوهم بحماس جعل الدماء تتدفق لوجهها فيتورد أكثر، لا تتذكر إن كانت والدتها نادت عليها أم لا، كل ما تذكره أنها لعبت في حرب كرات الثلج حتَّى تعبت وبردت، ولم تعد تريد شيئاً سوى دفء المنزل..

تتذكر جولز أنه مع وقت انتهاء الاجتماع، انضم كل طفل إلى والديه، ولا يمكنها أن تنسى ما حصل بعدها، ذلك لأن والدتها عاقبتها لإخلافها بوعدها، وأرسلتها للفراش محرومة من مشروبها الدافئ المفضل، ولكنها تتذكر تسلل والدها بهدوء إلى غرفتها وهو يمد لها كوبه مبتسماً، ويقربها من حضنه بذراعه، وهو يهمس لها بأن لا تخبر والدتها عن فعلته ضحكا وتصافحا بشهامة، وتتذكر شعورها الغامر بالأمان والحب والشبع، لتغط في النوم ملتصقة بوالدها بسلام وسكينة.. تتذكر جولز أن الأيام التالية كانت مليئة بالاستعدادات لأوج فصل الشتاء، تتذكر تبادلها ألعابها مع أصدقائها استعداداً لأيام الجليد، تتذكر الحضن الطويل والقوي الذي تبادلته مع جديها وهما يوصيانها بأن تبقى متدفئة، وأن تأكل كل ما ستضعه والدتها في طبقها دون تذمر!

تتذكر أن والدها أصرّ على مرافقتهما لمنزلهما، وأنها راقبت النافذة وهي تردد أعداداً في ذهنها ببطء، حتَّى ظهر أخيراً عند العدد ١٦٧، فوقفت مستعدة لتغلق الباب، علقت والدتها ملابس زوجها الثقيلة، بينما حملها والدها وقبّل جبينها وهو يقول مطمئناً: «ستنتهي العاصفة الثلجية بعد عدة أيام، ثُمّ سنخرج من جديد، ثُمّ عندما تأتي العاصفة التالية، سنعود للاختباء

لقد فعلتها من قبل يا جولز، وستكونين مطيعة ولن تخرجي من المنزل الآمن والدافئ لأي سبب، هل نحن متفقون؟».

ردت مازحة: «حاضر سيدي» مما جعل الملامح الصارمة لوالدها تتبدد أمام تمثيلها المفاجئ، فيشرع بالضحك ويطلب منها أن تكرر ما فعلته لوالدتها، لتمتلئ تلك الليلة الباردة بدفء الضحكات والمحبة...

تتذكر جولز أنهم ظلوا حبيسي منزلهم السعيد لثلاثة أيام حتَّى هدأت الرياح الباردة، ثُمّ بدأت القرية تعيد فتح أبواب منازلها المغلقة ليبادروا إلى أعمالهم، ويطمئنوا على بعضهم ومواشيهم.

تتذكر أن والدتها بدأت بحياكة شال أخضر اللون لها، وقد أخبرتها: «الأخضر يتماشى مع لون عينيك يا تفاحتي الخضراء»، لم تفكر بلون عينيها مرتين من قبل ولكنها ابتسمت خجلاً..

تتذكر جولز أنها تلهفت لارتدائه حينها، ولكن الآن وهي تعود بذاكرتها لما حصل، فإنها لن تنسى أبداً، أنّ الإشارات بدأت تظهر يومها.

تتذكر أن أولى تلك الإشارات كانت نسيان والدتها إعطاءها كوباً من المشروب الدافئ الذي أعدته، تتذكر أنها جلست تراقبها وهي تتحرك في أرجاء المنزل، تتشوق للحظة التي ستضحك فيها والدتها لها وتعطيها الكثير من القبلات بعد أن مثلت تجاهلها، ولكن والدتها استمرت منشغلة في الأعمال، حتَّى تجمعت الدموع في عيني جولز وشارفت على الانفجار بكاءً: «..ماما؟»، لتتوقف والدتها عن الحركة فجأة وتنظر لها بتفاجؤ، مما تسبب في وقوع صحن من يدها فتكسر.. تتذكر جولز نظرات الحيرة على وجه والدتها، قبل أن تسرع نحوها بحذر وتضمها، ثُمّ تنظر لوجهها وكأنها تحفظ ملامحه من جديد، وهي تردد: «جولز حبيبتي، أنا آسفة... لا أدري

كيف نسيتك!!» خرج والدها من إحدى الغرف وأسرع نحوهما وهو يتساءل بقلق إن كانتا أصيبتا بمكروه، وفوراً مد يده ليلتقط جولز من والدتها، تتذكر جولز أنها لم تفلت جسد والدتها بسهولة وأنها لم تعد تبالي بأي شيء، بل كل ما كانت تفكر فيه هو أن لا تتجاهلها والدتها هكذا مرة أخرى قط، لذا بدءاً من اليوم التالي حرصت على تنظيف غرفتها، وتبديل ملابسها، ولم توسخ الطاولة بفتات الخبز وأنها يومها حصدت كمية كبيرة من المديح من والديها كليهما، وقطعت جولز وعداً لنفسها بأن تظل مطيعة لهما للأبد..

في اليوم التالي، تتذكر جولز أن والدتها فتحت الباب ليدلف جارهم العم زيك إلى منزلهم، يرتدي ملابساً ثقيلة شبيهة بملابس والدها لتقيهما البرد القارس، وخرج الاثنان معاً بعدها بدقائق من بطن الدفء إلى وجه الرياح، يؤديان الدور الموكل إليهما في تفقد الماشية وسكان القرية للتأكد أن لا أحد منهم يحتاج لأي مساعدة طارئة..

تتذكر أن والدها قال لها: «حافظي على المنزل لحين عودتي أراك مساء! ».

وتتذكر جولز نظرها لوالدتها بعد مغادرته، لتشاهد تلاشي الابتسامة الرحبة عن محياها، لتحل محلها نظرة باردة فارغة، وتسير لتستلقي في سريرها دون أن تنطق بكلمة، لم يكن من الغريب أن تخلد والدتها لراحة إضافية في بعض الأيام، لكن الغريب أنها لم تقل أي شيء لجولز بخصوص الطعام أو واجبات المنزل، تتذكر جولز وقوفها عند عتبة باب الغرفة تناديها، دون أن تجيبها أو تلتفت نحوها.. تتذكر جولز شعورها بالتردد والقلق من كونها قد أغضبتها دون أن تدرك، وأنها تعاقبها بتجاهلها، فالتزمت الصمت ولم تحدثها لعدة ساعات قضتها والدتها نائمة، وعندما استيقظت، اعتذرت لها

عن أمر لا تعرفه: «ماما.. أنا آسفة» على أمل أن ترضى والدتها.. ولكنها نظرت لها وكأنها لا تفهم من تكون أو ماذا يجري أمامها..

تتذكر جولز أنها شعرت بالحيرة والخوف والضيق، وأن أمها أخذت تسير في المنزل ببطء مترنحة، لم تيأس من مواصلة الاعتذار، وتتذكر أنها تشبثت بذراعها بقوة وأخذت تهزها وتصيح وتبكي، لتقول والدتها بتساؤل: «جولز...؟».

انفجرت تبكي: «كفي عن تجاهلي!! أنا لم أفعل شيئاً!! أنا آسفة يا ماما!!».

لا تذكر جولز متى كفت عن البكاء ليلتها، ومتى عاد والدها إلى المنزل، فقط تتذكر أنها استيقظت في اليوم التالي نائمة في حضن والديها..

تتذكر أنها ظلت تنظر لوجه والدتها النائم بعينين منتفختين، ووالدتها تمسك بيدها، فدفنت نفسها في حضنها، وتنبهت والدتها من نومها بدرجة كافية لتحيطها بذراعها وتخبرها: «أنت عالمي كله يا تفاحتي الخضراء.. أحبك».

تتذكر جولز أنه في نفس اليوم الذي نطقت فيه والدتها بتلك الكلمات صباحاً، فإنها نسيت أن تضع لها صحن العشاء مساءً، انهمرت دموعها فوراً، وشعرت بنفسها تنكمش على كرسيها، وكأن هناك دوامة سوداء توشك على ابتلاعها، تتذكر أنها شعرت بأطرافها تتجمد وبصدرها يحترق.. وتتذكر كلمات والدها جيداً: « عزيزتي.. لقد نسيت صحن جولز..»

تتذكر جولز أن والدتها نظرت لها وكأنها لا تصدق بوجودها برغم جلوسها إلى جانبها، تتذكر أن والدتها ظلت تحملق في عينيها الخضراوين مطولاً قبل أن تألفها: «.. جولز!.. أنت محق! لقد نسيت».

نهضت والدتها لتجهز صحنها، بينما يواسيها والدها ضاحكاً: «حبيبتي.. هيا استعدي!.. سوف تشربين مشروبك المفضل بعد العشاء!».

جاءت والدتها ووضعت طبقها لها وهي تحاول تهدئتها بدورها، تتذكر جولز أنها بالكاد أكلت شيئاً يومها، وأنها أصرت على النوم مع والديها، فالسكينة الوحيدة التي شعرت بها كانت عندما تستنشق رائحتهما، ظلت والدتها تهمس لها تطمئنها: «أحبك يا تفاحتي الخضراء، لن أذهب إلى أي مكان» حتَّى غطت جولز في النوم مغمورة بحنانها وأمانها..

تتذكر أنه عندما انتهت موجة البرد الكريهة وقبل أن تحل التالية فإنها حرصت أن تطيع والدتها في كل شيء لترضى عنها دائماً ولا تتجاهلها من جديد..

تتذكر أنها لم تنضم لأصدقائها في اللعب سوى عندما سمحت لها والدتها بذلك، وأنهم لعبوا الغميضة في إحدى المرات فاختبأت هي بحذر خلف عجلة المياه الدوارة، وعندما طال انتظارها وسئمت، قررت العودة نحو نقطة التجمع، وتتذكر الحيرة العارمة التي هبطت عليها عندما شهدت كل أصدقائها منخرطين في لعبة أخرى لسبب ما: «ماذا تفعلون؟ لم يكشف مكاني أي أحد حتَّى الآن! هل غيرتم اللعبة؟»

تتذكر جولز نظراتهم نحوها، تتذكر الصمت الذي حل عليهم، تتذكر سؤال أحد الفتيان لها: «... هل أنتِ... جولز؟..».

أجابته: « أتمزح؟ هل نسيتني؟».

«أجل» تتذكر أنها صدمت من تلك الكلمة «لقد.. تذكرتك الآن فقط... أنا آسف...». دور تتذكر جولز كمية الدهشة الرهيبة التي ظهرت عليهم، وسرعان ما توالت اعتذاراتهم، راقبتهم وسمعتهم يتبادلون المعلومات عنها

ويذكرون بعضهم بمواقف جولز القديمة معهم، لا تذكر أو تفهم كيف جرى الأمر بالضبط، ولكن في اللحظة التالية كانت تلعب دور الملكة عليهم، وهم ينفذون أوامرها بسرعة، كطريقة للاعتذار منها، لم تعرف جولز كيف تتعامل مع حقيقة أنهم نسوها، لكن سرعان ما طغى ضحك اللعب على أية مشاعر لم تعرف لها اسماً في تلك اللحظة، مشاعر ظلت رفيقة لها في الأيام التالية... مشاعر الخوف والحيرة والضياع!..

تتذكر أنه في الوقت الذي حلت فيه موجة البرد التالية، كانت قد أصبحت تخشى باب منزلهم المغلق، وأصبحت لصيقة لوالديها طوال الوقت، وأنها أخذت تنادي عليهما بشكل عشوائي ومفاجئ، فقط لكي تتأكد أنهما.. لم يغضبا عليها.. لن يتجاهلها.. لم ينسياها..

تتذكر جولز أنها لمحت شالها الأخضر ملقى أرضاً بعد أن توقفت والدتها عن إكمال حياكته، لمحه والدها وقال: «ستزداد الأيام القادمة برودة.. من الأفضل أن تسرعي في حياكة شال جولز»

تتذكر أن والدتها نظرت له بصدمة ثُمّ للشال الذي تمسكه جولز بين يديها، ثُمّ صاحت: «توقف عن هذه المزحة! ».

ظلت جولز تقلب نظراتها بين والديها بقلق، وتتذكر كلمات والدتها التي لا معنى لها: «لا وجود لجولز!! هلا تتقبل الأمر وتكف عن هذا العذاب؟؟!!» أشار والدها نحوها: «أنظري لها تقف هنا أمامك!!».

تتذكر جولز كيف نظرت لها والدتها مطولاً، ثُمّ أسرعت نحوها بسرعة لتحيط وجهها الباكي بكفيها وتقول بغير تصديق وسعادة: «جولز حبيبتي! ... أنا... أنا آسفة! ... لقد نسيتك!».

تتذكر أنه لم يغمض لها جفن ولم تتوقف دموعها عن الانهمار برغم بقاء والديها إلى جانبها طوال الليل، وأنها عندما فتحت عينيها المرهقتين ولم تجد أحداً منهما إلى جانبها صباحاً، قفزت برعب لتجد والديها يجلسان متقابلين يتناولان طعام الإفطار ببطء..

تتذكر جولز أنها نادتهما، ولم يردا عليها! تتذكر أنها تشبثت بوالدها باكية حتَّى سقط من الكرسي ونظر لها، تتذكر أنها لم تهدأ أبداً ذلك اليوم ولأيام تالية.. حتَّى عندما يتذكرها والداها ويحتضنانها... تتذكر أنه كان هناك أمر غريب في عينيهما وفيهما...

الرعب الذي يجتاحها في تلك اللحظات كان طاغياً يكاد يفجر قلبها الصغير، تشعر ببرد شديد ينتشر داخلها لدرجة أن أسنانها تصطك معاً، يغمرها الضعف التام والتعب، لا تتذكر كيف كانت تنام أو إن كانت أكلت أو شربت شيئاً طوال تلك الأيام... كل ما تتذكره هو استيقاظها بهلع لتبدأ بتذكير أهم شخصين في حياتها بوجودها، تتذكر نظراتهما المتفاجئة والمصدومة نحوها في كل مرة..

وتتذكر أن تلاشيها أخذ يتباطأ مع مرور الأيام..

تتذكر أنها شعرت بجسدها يشتعل حرارة، وقد أنهكها الإعياء، وأنها تمنت من كل قلبها أن ينتهي ما يجري مع والديها فحسب.. تتذكر أنها ستبلغ الثامنة من العمر بعد عدة أيام، ولكنها لم تعد تريد أي شيء في هذه الحياة سوى أن يتذكرها والداها في داخل هذا المنزل البارد المغلق..

تتذكر أنها نادتهما بضعف.. وأنهما فتحا باب الغرفة ليقفا عند عتبته، وأنها برغم ألمها وتعبها وجوعها رسمت على وجهها ابتسامة فرحة بحضورهما، فقد كانت في أمس الحاجة لهما..

تتذكر أن والدها قال وعيناه تسيل دمعاً: «... جولز.. ابنتنا....»

لترد عليه والدتها بحزن وانكسار: «.. عليك أن تستيقظ للحقيقة... نحن لم نرزق بابنة قط...»

ليحاول والدها بحيرة: «.. ولكن... جولز... إنها..»

لتكمل والدتها جملته بحزم وألم: «... لم يكن لها وجود قط...»

تذكر نظراتهما نحوها، ينظران لها ولا يريانها.. تتذكر اختناقها بدموعها وخوفها، تتذكر كيف غادرا وتركاها..

لا تتذكر كم يوماً ظلت في سريرها، ولكنها تتذكر أنها لم تشعر بالتعب عندما نهضت وعبرت منزلها الخالي إلى الخارج، وهي ترتدي الشال الأخضر الذي لم تكمل والدتها حياكته لها سارت بضعف الأموات بين سكان القرية وبيوتها، تتذكر أن لا أحد نظر ها.. ولا أحد نادى باسمها.. لا مخلوق رآها...

تتذكر أنها طرقت باب منزل جديها... لا مجيب.. فذهبت لمجموعة اصدقائها، وقفت أمامهم وغرزت نظراتها الخضراء في عيونهم بكل رجاء أن ينطقوا باسمها..

احدهم سألها: «... من أنت؟...»

أجابت: «.. جولز.. »

سألوا بعضهم: «.. من جولز؟»

تذكر لحظتها أنها استدارت، لتخطو خطوات ثقيلة مبتعدة عن مجموعة الأصدقاء الذين استكملوا لعبهم بلا مبالاة، لتقصد نهر القرية القريب..

تتذكر البرد يلسع جسدها ويبتلعه، لتنتهي معركتها وهي قد بلغت الثامنة من العمر لتوها..

لكنها تتذكر بعد ذلك استيقاظها في منزل أشخاص لم ترهم من قبل في حياتها.. أشخاص حرصوا على تدفئتها وإعطائها الأدوية والعناية بها..

أشخاص سألوها: «صغيرتي.. ما اسمك؟ لقد وجدناك واقعة في النهر البارد! إنها لمعجزة انك لا زلت حية! صغيرتي.. لابد أن أهلك قلقون عليك جداً... لقد سألنا الجميع وعرفنا أنك لست من قريتنا.. من أي قرية أنتِ؟.. وما اسم والديك؟.. أخبرينا! ».

تتذكر جولز أنها بكت كثيراً...

جولز تتذكر كل شيء وهي لم تنسَ أبداً حياتها بين والديها وأهلها في القرية

لكن كل من أحبته يوماً.... نسيها.

ومع ذلك.. فإن جولز لن تنسى أبداً... وستستمر في تذكير الناس أنها عاشت بينهم يوماً...

- أنا آسفة جداً: « قالت الجدة أوليف تلك الكلمات وهي تمسح دموعها المنهمرة

حملق لها الجميع بتفاجؤ ونهضت ماركس لتناولها منديلاً ثُمّ وضعت يدها على كتفها، قالت أوليف وهي تربت على يد ماركس ثُمّ تمدها لتقبض على ذراع العجوز: « أشكرك على مشاركة القصة معنا وإنني أعدك، أنني لن أنسى قصة جولز ما حييت».

رد الرجل العجوز متأثراً: « الإنسان دون ذكرى وأثر له بين البشر.. يصبح بلا وجود.. ولو كان يصرخ بأعلى صوته أنه موجود بينهم.. أخبرتني جولز أنها لا تفهم ما حصل لها، لهذا تتشارك قصتها مع الآخرين، علهم يبحثون معها عن إجابات، فقد تكون قصتها مرتبطة بحقيقة هذا الكون، وربما.. لا يوجد معنى لها...»

قالت السيدة ناكانيشي: لسنا نحن من استمع إليك فحسب.. »

فتوجهت أنظار البقية حيث أشارت، فوجدوا القطة البرتقالية السمينة تجلس مسترخية على حافة النافذة تموء لهم، فانشرح وجه العجوز، أشكركم لأنكم سمحتم لجولز بأن تصبح جزءاً من ذاكرتكم، وسامحوني لقد أطلت عليكم.. أتمنى لكم ليلة سعيدة».

نهضوا عن الكراسي مكتفين لهذه الليلة بدورهم، وفي نفس الوقت اعتدلت مايسي في جلستها حيث كانت تتنصت من فتحة في الجدار، طقطق ظهرها بألم وهي تركض بخفة خارجة من غرفتها الخاصة إلى غرفة جدتها، بعد وقت دخلت جدتها الغرفة وأغلقت الباب، قالت: « جدتي! هل جولز هي فتاة حقيقية فعلا؟ أيعقل أن ما سرده قد حصل له فعلاً! ».

جلست أوليف إلى جانبها على السرير: «بالضبط! أكان أحد سيصدقه إن قال أن تلك القصة الغريبة حدثت له هو؟.. نحن الوحيدتان اللتان تعرفان أن الجالس على تلك الأريكة السحرية سينطق بالحقيقة!».

- «لا أفهم!، إن كان يريد للناس أن تتذكره، فلم لا يقولها بصراحة وحسب! ».

- «لابد أن له أسبابه، فحياة الإنسان بها فصول عديدة لن تنتهي سوى بموته، كل ما في الأمر أنه باح لنا بعدد من صفحاتها، والبقية ربما لن نعلمه يوماً، وعلينا تقبل ذلك والرضى به.. ».

- «أو أن تلك الأريكة السحرية قد أصبحت مهترئة وفقدت قوتها».

- «بل إنها مليئة بالحياة والطاقة!، أتريدينني أن أربطك بها لتعترفي بهوية الفتى الذي بدأ يثير اهتمامك في المدرسة؟»

احمرت وجنتا مايسي وعاتبت: «جدتي!! لا تفكري بالأمر حتَّى! أقسم أنني سأهجرك طوال عمري!!»

- «إذن لا تشككي بقوى الأريكة السحرية بعد الآن ».

- «سياتي يوم ونلقى حتفنا على يد قاتل اعترف بجريمته بسبب سحرها!».

- «أنا لا أعرف من أين لك بتشاؤم كهذا وأنت حفيدتي! عليك أن تؤمني أن وجود الخير أكثر بكثير من وجود الشر ولو كان صوته أعلى».

- «هل فكرتِ بعنوان مناسب؟».

فكرت أوليف قليلاً: « ابدئي الكتابة يا مايسي، سيكون العنوان (لن ننسى جولز)».

جلست مايسي إلى آلة الطباعة القديمة لتخط عنوان القصة، ثُمّ تبدأ بأول سطر عاشت جولز أول سبعة أعوام من حياتها في قرية تغطيها الثلوج وتجمدها الرياح بشكل دائم...

(١١)

«الغريب»

فوز علي

F0oz9

بيده قلمه وأمامه دفتره يحدق به دون أن يكتب كلمة واحدة وكأن عقله توقف عن ضخّ الأفكار فجأة لولا أنه عقد العزم على أن يكتب.

وبعد الكثير من المحاولات الفاشلة خطرت بذهنه فكرة غريبة، فشعر لوهلة أن تلك الفكرة لم تنبع من داخل عقله

بل بدت وكأن شخصا همس له بها.

أمسك قلمه فوراً وشرع في الكتابة

...

بعد منتصف الليل، حين كان نديم منشغلا بمذاكرة دروسه طُرق باب شقته التي لا يعرف بها أي جيران.

فتعجب! من يزوره في هذا الوقت المتأخر من الليل وما سبب الزيارة؟

وقف بتردّد وفتح الباب فوجد رجلا عجوزاً بشعر أشعث وثياب رثة وقبل أن يبادر بسؤاله عما يريد تحدث العجوز بصوت خشن ولهجة غريبة لا تشبه لهجة سُكان تلك المنطقة

- هل يمكنني المبيت عندك هذه الليلة؟

كان سيجيب بالرفض لولا أن العجوز دفع الباب ودخل يتجول في أرجاء المنزل

كما لو كان يبحث عن شيءٍ ما

حتَّى وقف أمام السرير وتحوّلت عيناه للّون الأحمر، وبدا صوته كفحيح الأفعى وهو يقول غاضباً

- هُنا قبري وهنا دُفنت وهنا تماماً سآخذ حقي

ظن نديم أنه مجنون، فأمسك بيده محاولا إخراجه، إلا أنه سحب يده بقوة لا يمكن أن تصدر من رجلٍ مسنّ بحجمه وضعف هيئته.

فتحدث نديم:

- هل يمكنك الخروج يا عمي؟ أنا وحدي في هذه الشقة ولا أحب أن يشاركني أحدهم السكن

ليجبيه الرجل الغريب غاضبا وكأنه قرأ ما يدور بذهنه

- لن تتخلّص مني

فكر نديم في الاتصال بالشرطة، ولم يكمل التفكير في ذلك حتَّى ضحك العجوز ساخرا

- حتَّى الشرطة لن تستطيع ايقافي

هل يقرأ ذلك الغريب أفكاره فعلاً؟

أم أن كل ما يقوله مجرد مصادفة!

بقي نديم واقفا في مكانه يتصبب عرقا

يفكر في طريقة يتخلص بها من هذا الغريب

ولم يجد حلّاً سوى أن يهرب هو ويغادر هذه الشقة والمنطقة بأكملها.

قطع حبل أفكاره صوت العجوز الذي أفسد كل مخططاته عندما قال:

- لن تستطيع، لقد علقت معي للأبد بمجرد أن فتحت لي باب منزلك.

شعر نديم بضربات قلبه تزداد وبحرارة جسده ترتفع

لقد علق مع هذا العجوز الذي لا ينفكّ يتطفّل على أفكاره ويجيبه دون أن يتحدث.

وجد حلّاً وحيداً مؤقتاً لحالته

وهو أن يبدأ العدّ في عقله ليمنع العجوز من قراءة أفكاره

فإن حاول قراءتها مجدداً لن يجد سوى الأرقام.

وهذا بالفعل ما فعله، بدأ يعدّ حتَّى هدأت أفكاره واستعاد اتزانه واستجمع شجاعته ثُمّ تحدث

- من أنت وماذا تريد مني؟

...

توقف عن الكتابة، ألقى بقلمه متنهداً من سوء قصته

رفع أنظاره للساعة ليجدها تجاوزت الثانية عشرة بعد منتصف الليل.

ما كانت إلا ثوانٍ حتَّى طُرق باب شقته

وقف متردداً وفتح الباب

فوجد رجلا عجوزاً بشعرٍ أشعث وثياب رثة، يتحدث بلهجة غريبة لا تشبه لهجة سكان هذه المنطقة

- هل يمكنني المبيت عندك هذه الليلة؟

(١٢)
«هل تجيب النداء؟»

مبارك العريفان
mubarak_reader

قبل خمس سنوات.... ينظر (خالد) إلى ساعة معصمه ويخبر أحمد بانزعاج: لماذا تأخر إبراهيم؟ كان الاتفاق أن يكون في الديوان عند الساعة الحادية عشر ليلاً، سوف نتأخر عن موعدنا.

بعد لحظات وإذ بالباب يفتح ويظهر (إبراهيم) وعلى ملامحه الحماس: متى الانطلاق؟ يأخذ خالد حقيبة صغيرة بيده ويدعو الجميع لركوب السيارة استعدادا للانطلاق.

بعد انقضاء ما يقارب الساعة وصلوا إلى باحة كبيرة يتوسطها أشجار مهملة ذات أغصان متيبّسة، غادرتها أوراقها منذ دهر، وبين الأشجار ممر يوصلك إلى منزل أزرق كبير، ظلامه يدخل الرهبة إلى القلب.

ركن خالد السيارة بالقرب منه ونزل الجميع وبأيديهم مصابيح يدوية، مشى الأصحاب في الممر المؤدي إلى الباب الخلفي للمنزل، وعند الوصول أشعلوا المصابيح اليدوية ودخلوا إليه..

قبل عدة شهور من الوقت الحالي....

أقبل محامي أحد التجار إلى القاضي وقدم بين يديه صحيفة الدعوى التي فحواها طلب استرداد قيمة المنزل، وتعويض من البائع بسبب خداعه بمنزل لا يمكن هدمه لأسباب عدة.

أخذ (القاضي) صحيفة الدعوى، لبس نظارة القراءة وقرأها، وبعد دقائق معدودة وضع الصحيفة على المنضدة ورمى فوقها نظارته بتجهم وقال: أنت هنا لتضيع وقت المحكمة بهذه الدعابات الساذجة؟

(المحامي): بل هو ما قرأت يا حضرت القاضي، لا يمكن هدم المنزل حيث إن شركة المقاولات والبناء سعت بكل الطرق لهدمه، ولكن «ساكنيه»

رفضوا الهدم.. نعم المقصود هنا «الجن». عندما همت الشركة لهدم المنزل أول مرة وأحضروا العمالة والمعدات اللازمة وجدوا أبواب المنزل وشبابيكه مقفلة بالكامل فحاولوا أن يكسروا الأبواب بالجرافات فلم تعمل المعدات، فهمَّ العمال أن يكسروا الشبابيك لدخول المنزل فظهر لهم أطفال بشكل مفاجئ بكل شباك من الدور الأرضي بوجوه متحنطة وبمحاجر سوداء خاوية من العيون مما دب الرعب بقلوبهم وغادروا الموقع هاربين. بعد هذا الحدث قررت الشركة الرحيل لعدم وجود عمالة تنفذ أمر الهدم. ومن بعد أسبوع حضر مدير الشركة مع العمال وشيخ له صيت في التعامل مع ظواهر ما وراء الطبيعة، وصلوا إلى باحة المنزل وهموا بالنزول من عرباتهم ونظروا للشيخ وإذ به نائم، حاولوا إيقاظه بصبّ الماء على وجهه، لكنه لم يستفِق، فقرروا أن يأخذوه للمستشفى، وبعد أن ابتعدوا عن المنزل أفاق (الشيخ) صارخا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا المنزل ملعون، ساكنو هذا المنزل سيحاربون من يؤذيهم، وصرخ: أوقفوا العربة في الحال! ونزل راكضا إلى أن اختفى من الوجود.

سكت المحامي لدقائق، ثُمّ أردف حكايته: هنا استعان مالك المنزل الجديد بساحر على أن ينتهي من هذا الأمر ويهدم المنزل، حضر الساحر برفقة مدير شركة المقاولة للمنزل في الساعة العاشرة مساءً حسب طلب الساحر وذلك لمعاينة المنزل إذا كان به أرواح شريرة من عدمه، وعند الوصول للمنزل في الوقت الذي تم ذكره، توجه الساحر إلى المنزل، ووجد الباب مفتوحاً فدخل بكل جلد وبعد أن انقضت ساعة بدأ صبر (مدير الشركة) ينفد وأخذ ينادي الساحر، ولكن دون إجابة. فقرر الاتصال بالشرطة.. فحدث للشرطة ما حدث لعمال المقاولة أول مرة.

فغادر الجميع هذا المنزل على أن يكملوا التحريات وينظروا في هذا الموضوع في الصباح.. عند الصباح حضر لباحة المنزل مدير الشركة والمالك والشرطة وهنا اندهش الجميع.

وجدوا جثة الساحر مصلوبة في الدور الثاني، فتم الاستعانة برافعة لكي يتم انتشال الجثة، ويتم تحويلها للطب الشرعي، والتقرير بين أيديكم يا حضرة القاضي.

قلّب القاضي الصفحات المرفقة بصحيفة الدعوى، وقرأ تقرير الطبيب الشرعي ثُمّ نظر للمحامي يتعجب!

(المحامي): نعم يا حضرت القاضي وجدوا الساحر بمحاجر خاوية، منحور الرقبة، مثقوب اليدين والقدمين من آثار الصلب، وتم تقدير وقت الوفاة في الساعة العاشرة وخمسة عشر دقيقة مساءً.

عندما انتهى المحامي عبد الوهاب من سرد محتوى صحيفة الدعوى، طلب القاضي أن ترفع الجلسة ليتم الاطلاع على محتويات الصحيفة. اختلى القاضي في غرفته الخاصة وأخذ يقلب والمستندات المرفقة ويتفكر بأغرب قضية مرت عليه منذ ثلاثين عاماً في ممارسة القضاء.

خرج (القاضي) من مكتبه بعد انقضاء ساعة من الزمن واجتمع بالمحامي قائلاً: تحفظ القضية على أن يتم تزويد المحكمة بأدلة من الجهات الرسمية.

جلس (المحامي) في مكتبه الفاخر الذي يستقبل فيه موكليه، ثُمّ رفع سماعة الهاتف واتصل على مالك المنزل وأبلغه بما حدث مما أثار غضب (المالك) وأخذ يسب ويلعن اليوم الذي فكر أن يشتري هذا المنزل الملعون. طلب (عبد الوهاب) من المالك بأن يمهله بعض الوقت لكي يبحث أكثر، على أمل أن يجد ما يعينه على تقديم صحيفة دعوى مدعومة بأدلة رسمية. وبعد

هذه المكالمة طلب (المحامي) المحققين الشخصيين الذي يعملون معه بالسر ولا يستدعيهم إلا لمهام خاصة.

قبل خمس سنوات....

في عطلة نهاية الأسبوع جلس خالد وصديقاه أحمد وإبراهيم في الديوان لمشاهدة مباراة كرة قدم التي كانت نهايتها بفوز فريقهم. أغلق (إبراهيم) التلفاز: ماذا الآن؟

(خالد): نجلس بالديوان ونتسامر.

(أحمد): ما رأيكم أن نذهب لشراء وجبة العشاء ونأكلها مقابل البحر؟

استحسن الجميع الفكرة وهموا بالخروج.

توقفوا عند أحد المطاعم وطلبوا وجباتهم وهموا بالذهاب إلى البحر، وهم في الطريق العام مروا بمنزل منقطع عن جيرانه متوسطا باحة كبيرة.

قال (خالد) ممازحا: من يتحداني بدخول هذا المنزل؟

فتفاجأ برد (إبراهيم): أنا.

فشارك (أحمد): وأنا.

هنا جاءت فكرة دخول المنزل الأزرق الذي هجره سكانه وأصبح معلما من معالم الرعب والغموض. فصاح (أحمد): الخميس القادم الساعة الثانية عشرا بعد منتصف الليل.. وتم الاتفاق على اللقاء في الديوان قبل هذا الوقت بساعة.

قبل عدة شهور من الوقت الحالي....

بدأ المحققون بجمع المعلومات حول المنزل الأزرق، وكانت نقطة الانطلاق عبر المالك الجديد، وتم تحديد موعد المقابلة في شركته عند الساعة العاشرة صباحا.

حضر المحقق (حسام) إلى شركة لبيع الأدوية الطبية وطلب مقابلة السيد عمار مدير الشركة حسب الموعد المتفق، مشى حسام خلف السكرتير ودخلوا غرفة الاجتماعات، ومن بعد الجلوس والانتظار لمدة نصف الساعة، دخل عليهم السيد (عمار) مالك الشركة والمنزل الأزرق: أهلا وسهلا بك.. تفضل

(حسام): شكراً على الاستضافة، أريد أن أعرف كيف تم شراء المنزل؟ يرجى أن تكون الإجابة مفصلة!

(عمار): زارني بيوم من الأيام مستشاري العقاري ومدير عقاراتي، وأبلغني بأن المنزل الأزرق قد تم عرضه للبيع من قبل الورثة، على أن نبني مكانه فندقًا؛ حيث إن موقع المنزل ممتاز وعلى الطريق العام، والمنزل مبني على ربع الأرض فقط مما يبين مساحته الشاسعة، والذي حرك كل غرائزي أن سعر البيع أدنى من سعر السوق بفرق كبير.

وبذلك أبلغت المستشار العقاري بالموافقة على الشراء بأسرع وقت ممكن قبل أن يتدخل أحد تجار العقار ويفسد الصفقة.. وبالفعل اجتمع المستشار بالورثة وأنهى الدورة المستندية الرسمية وتم تحويل المنزل إلى ممتلكاتي.

(حسام): ومتى قررت أن تبدأ بهدم المنزل؟

(عمار): من بعد استلام وثيقة الملكية بسنة، وذلك للنظر إلى المخطط الخاص في الفندق والتكلفة التقديرية لبنائه ودراسة الجدوى المتوقعة للمبيعات.

(حسام): شكراً لك، أرجو أن تسمح لي بمقابلة المستشار العقاري.

رفع عمار سماعة الهاتف وأبلغ السكرتير أن يطلب المستشار عثمان ليقابل المحقق الآن.

خرج عمار وبعد دقائق دخل (عثمان): أهلاً وسهلاً بك يا سيد حسام تفضل.

(حسام): أهلاً بك.. كيف علمت بنية الورثة لبيع المنزل الأزرق؟ وهل تعلم أن المنزل به أي مشكلة تذكر؟

(عثمان): علمت بنية البيع من صديق، ودبر لي لقاء مع أحد الورثة ليؤكد لي الخبر، وكل المدينة تعلم أن هذا المنزل تدور حوله قصص وخرافات مرعبة عن الأشباح، ولكن كوني مستشارًا عقاريًا فإن هذا الأمر معروف في الوسط.. هذه الأقاويل تكون لكي نبعد المتطفلين عن العقار دون أن نضطر لوضع حارس مما يكلفنا مبالغاً إضافية من رواتب وغيره..

شكر حسام المستشار عثمان وخرج من الشركة.

قبل عشرة سنوات...

في الطابق الثاني لأحد المنازل المظلمة بدأ الساحر نواس طقوسه، الساحر الذي ذاع صيته «بساحر الأثرياء» كان معظم زواره من الطبقة الغنية وذلك طلباً لزيادة ثرائهم أو الحصول على زوج أو زوجة هذا، أو طلب الاقتصاص من ذاك، والكثير من طلبات الانتقام التي يقوم بها الساحر ومساعده.

جهز الساحر نواس منضدة فخمة ووضع عليها المفرش الأحمر الذي امتلأ بالنجوم الخماسية المذهبة، والشمعدان المثبت على رؤوسها ثلاثة شموع سوداء، ووزع في الغرفة شموعاً حمراء وكأسين من الفضة، وملأها بالدماء إلى أطرافها، وداخل كل كأس تسبح عين وحيدة.

أغمض عينيه وسحب الهواء بقوة إلى أن امتلأت رئتاه وأغلق فمه. بعد دقائق نفث الهواء يمنةً ويسرة، وهو يتمتم بكلمات وطلاسم مع لف رأسه يميناً ويساراً بتكرار لمدة ساعتين متواصلتين.

وضعت يدها على كتفه الأيسر وقالت: زوجي وسيدي ومولاي كبير سحرة الأنس وقاهرهم، نواس صديق الخناس معذب الناس. لبيك وسعديك فأنا منك وإليك.. قالتها الشيطانة السفلية (ثج)، أخذ يدها ثُمّ قبلها.

(نواس): فاض بي الشوق، وكلما زاد اشتياقي ليوم التلاقي، ادنوا من هلاكي لولا وجودك يا مهجة قلبي وملاكي.

جلست الشيطانة على الكرسي المقابل للساحر وأخذ ينظر إلى تفاصيلها، كانت في شدة الجمال، وجه أبيض ناعم وعينان واسعتان حمراء، وأنف طويل وفم صغير مائل للحمرة وخدود حمراء موردة وخصر ضيق وعلى جسدها ثوب أحر شفاف لا يغطي مفاتنها غير شعرها الطويل الأسود المسدول على صدرها وظهرها.

(شج): أنت تعلم أنك تستطيع أن تقابلني كل يوم وأن ألبي جميع طلبات زبائنك، ولكن أنت الذي يصعب اللقاء يا بعلي.

(نواس): الصعب هو ثمنك يا شيطانتي، هل لك أن تطلبي طلباً آخر فألبيه فإن ثمن لقائك يشق علي وبدأت الأعين تبحث وممكن أن يفضح سري.

(ثج): ثمن حضوري ليس أنا من يقدره، بل هذا طلب سيدي عزازيل وعلينا السمع والطاعة، والآن دعني أشبع من عينيك وبعدها أعطني طلباتك لألبيها بصدر رحب، أسقني ثمني يا زوجي العزيز، فمسك نواس كأس الدم والعين تسبح بداخله وسقا معشوقته التي ارتوت بعد عطش مرير، وسال جزء من الدم بجانب شفتيها فأخرجت لسانها على عجل والتقطت الدم المسال لكيلا يضيع منه قطرة.

قبل عدة شهور من الوقت الحالي....

اجتمع المحامي مع المحققين في مكتبه.. بدأ (حسام) بالمعلومات التي حصل عليها من مالك المنزل والمستشار العقاري، فنظر الجميع إلى المحقق يوسف.

(يوسف): بدأت بحثي في الانترنت الأخذ فكرة عن المنزل، ولا يوجد زيادة عما ذكره زميلي ما عدا: أن هذا المنزل ينادي زائريه، حسب أقوال الكثير، ونقطة الانطلاق الثانية من بعد البحث في شبكة الانترنت هي قوة الشرطة.

في صباح اليوم التالي، طُرق الباب فقال (الضابط): تفضل. دخل المحقق (يوسف) ونظر بوجه الضابط وقال: ما أجملك في البدلة الرسمية.

تبسم (الضابط): لولا وقوفك بجانبي من بعد الله لما صرت بهذا المكان يا أخي. جلس (يوسف) وقال ممازحا: أأخاطبك بحضرة الضابط أم مشعل؟

(الضابط): مشعل تكفي يا أخي، بماذا أساعدك؟ أم هي مجرد زيارة!

(يوسف): بل طلب مساعدة.. أريد معرفة جميع البلاغات التي تم استلامها عن المنزل الأزرق الموجود في نطاق منطقتك.(مشعل) متفاجئا: هذا

المنزل بالذات لا أريدك أن تقترب منه يا أخي، أرجوك، فإنه يحمل بداخله العجب.

(يوسف): اطمئن لن أذهب إلى المنزل، هي قضية جاري التحقيق فيها ومطلوب جمع كل المعلومات والأدلة الممكنة عنها، ولن يُذكر اسمك بهذا التحقيق أبداً.

غادر (مشعل) لدقائق فعاد ومعه اثنا عشر ملف، وقال: كل هذه بلاغات بخصوص المنزل الأزرق، تفضل بالجلوس في الغرفة المجاورة واطلع عليها.

جلس يوسف وشمر عن ذراعيه، وأخذ يتفحص الملفات الواحد تلو الآخر، وفي كل ملف يجد العجب، وبدأ يدون بدفتره كل المعلومات التي ممكن أن تكون ذات قيمة للقضية، ثُمّ لفت انتباهه بلاغ مقدم قبل عدة سنوات وحاز هذا الملف على أكثر تدويناته. بعد انقضاء ساعات رجع إلى أخيه الضابط مشعل وشكره الشكر الجزيل ثُمّ توجه إلى المنزل ليرتاح من أعمال هذا اليوم المرهق.

في الصباح الباكر اتصل (يوسف) على المحامي وطلب عقد اجتماع، وتم الاتفاق على أن يكون الاجتماع بعد الغد في تمام الساعة خامسة مساءً، وأوضح يوسف أن هذا الاجتماع سيكون الاجتماع الأطول فيرجى عدم الارتباط بمواعيد أخرى.

في غرفة المحامي والجميع ينظر للمحقق يوسف بترقب..(عبد الوهاب): هات ما عندك، كلنا آذان صاغية.

استجمع (يوسف) أفكاره وقال: تم تدوين جميع البلاغات في منطقة المنزل الأزرق وتم أخذ بعض التفاصيل التي ممكن أن تساعد في جوانب القضية

وها هي الآن بين أيديكم.. لكن هناك حدث لفت انتباهي، قبل خمسة سنوات، جاء بلاغ بوجود ثلاثة شبان في المنزل الأزرق وكان أحدهم بحالة يرثى لها، فتم إبلاغ دوريات النجدة القريبة للتوجه إلى الموقع.

تقرير (شرطي) النجدة: كان هناك ثلاث شبان بالعقد الثاني من العمر، اثنان منهم رسم على محياهم الهلع، كانوا بصحة جيدة، أما ثالثهم المدعو إبراهيم فقد كان بحالة صدمة ووجه شاحب وجسد متيبس كأنه جثة هامدة، حاولت أن أسعفه، لكن دون جدوى إلى أن وصلت سيارة الإسعاف وأخذت الشاب إبراهيم وأصحابه إلى المشفى.

(يوسف): بالأمس ذهبت إلى المستشفى للاطلاع على مجريات البلاغ، والتي تفيد بأن إبراهيم كان في حالة يرثى لها وتم تحويله إلى مستشفى الطب النفسي.

(عبد الوهاب): مهمة مستشفى الطب النفسي لي.. رفع هاتفه واتصل بصديق الغربة الدكتور خليل لتحديد موعد في الغد.

في صباح اليوم التالي توجه المحامي إلى مستشفى الطب النفسي، عبد الوهاب منتظر في غرفة الدكتور خليل لحين الانتهاء من الزيارات السريرية للمرضى.. دخل غرفته وفرح بزيارة صديقه المحامي، شرح (المحامي) الموضوع لصديقه وأردف متسائلاً: هل من الممكن أن أطلع على ملف المريض إبراهيم؟ وهل هو موجود في المستشفى الآن؟

(الدكتور): نعم هو موجود في العنبر رقم تسعة هل تريد أن تزوره؟

(المحامي): نعم بالتأكيد.

(الدكتور) يتصل على قسم الأرشيف: يرجى إرسال ملف المريض إبراهيم، عنبر رقم تسعة.

وصل المحامي والدكتور إلى عنبر رقم تسعة وإذ برجل كث الشعر واللحية، شاحب الوجه، كأنه هيكل عظمي، ويوجد على ذراعه محلول وريدي.

(الدكتور) هذا إبراهيم.. فهو على هذه الحال منذ خمس سنوات لا ينطق ولا يتكلم وينظر للخواء طوال اليوم.

بعد الرجوع إلى غرفة الدكتور، أخذ المحامي ملف إبراهيم ليتفحصه على أمل أن يجد أي تقرير رسمي ممكن أن يفيد القضية، ولكن لا شيء جديد على تقرير الشرطة.. إن إبراهيم دخل المنزل الأزرق وتحول إلى هذا الشكل من بعد أمر غامض حدث في الداخل.

ولكن لفت انتباه المحامي ختم «الدكتور عمر» على جميع التقارير.

(المحامي): هل هذا هو المشرف على المريض؟

(الدكتور) نعم.

(المحامي): هل من الممكن أن يفيدنا بأمر آخر غير المكتوب بهذا الملف؟

سكت (الدكتور) مفكرا وذقنه مستند على قبضته: نعم أعتقد، الدكتور عمر كان يريد أن يعمل دراسة لأبحاثه وكانت حالة إبراهيم ضمن الدراسة، فأخذ موافقة الجهات الرسمية على ذلك.

(المحامي): هل أستطيع مقابلة الدكتور عمر؟

(الدكتور): الدكتور الآن في كندا لإكمال أبحاثه، ولكن أستطيع أن أرسل لك رقم هاتفه.

في المساء هاتف عبد الوهاب الدكتور عمر، ورد عليه الدكتور برحابة بعد أن عرف أنه صديق الدكتور خليل، وعندما سأل المحامي الدكتور عمر عن حالة المريض إبراهيم، سكت عمر وكأن المكالمة الدولية قد فصلت.

(المحامي): دكتور! أنت معي على الخط؟

(عمر): نعم أستاذ عبد الوهاب، حالة إبراهيم مستعصية وقد تكون... تكون خارج نطاق كل ما تعلمناه، حيث إنها متصلة بعالم لا نستطيع الولوج إليه!

(عبد الوهاب): هل تقصد عالم الجن؟

(عمر) مع العلم بأن الإجابة تنافي كل ما تعلمناه في الطب.. لكن نعم، ويوجد لدي بعض التقارير وفيديو أحب أن تطلع عليها بنفسك.

أخذ الحماس عبد الوهاب وقرر الرحيل في أقرب طائرة متجه إلى كندا لمقابلة الدكتور عمر، أبلغ المحققين برحيله لجمع معلومات أكثر حول القضية، وتوجه للمطار استعدادا للسفر إلى كندا.

هبطت الطائرة في مطار تورونتو بيرسون الدولي وبعد أن انتهى من إجراءات الجوازات وإذ به يلمح لافتة تحمل اسمه، تقدم لها وقال: أهلاً دكتور عمر، رحب به الدكتور (عمر) ورحلوا إلى المنزل، فأحسن ضيافته وطلب منه أن يستريح من عناء السفر على أن يتناقشوا الموضوع في اليوم التالي.

استيقظ عبد الوهاب من النوم وخرج للدكتور الذي يعيش وحده في منزله المتواضع، ووجد الدكتور قد أعد القهوة والإفطار.

(عمر): استأذن منك الآن للذهاب إلى العمل، وسلم عبد الوهاب صندوقاً به مجموعة كبيرة من المستندات والملفات، وأردف: بعد أن تطلع عليها، لدي مفاجأة أخرى في المساء.

تصفح عبد الوهاب المستند تلو الآخر فوجد الكثير من المصطلحات العلمية الطبية غير المفهومة، ولكن لفت انتباهه مستند كتب عليه الآتي:

(ملاحظات المريض إبراهيم: عنبر رقم تسعة)

- الساعة ١٠ مساءً: هل تجيب النداء يا إبراهيم؟

- الساعة ١١ مساءً: تكرر نفس السؤال.

- الساعة ١٢ صباحا: لا تتركنا وحدنا يا إبراهيم فإننا نخاف الظلام.

- الساعة ٣ صباحا: إبراهيم لماذا لا نراك، أين ذهبت أعيننا.

- الساعة ٥ صباحا: تكرر السؤال الأول.

عندما تصفح عبد الوهاب هذا المستند وجد أن المكتوب فيه متكرر في كل يوم وبنفس التوقيت. حل المساء وحضر (الدكتور) إلى المنزل ومن بعد الراحة، ذهب لعبد الوهاب وقال: أرجو أن تكون قد وجدت ضالتك.

(المحامي): أولاً أنا متشوق للمفاجأة التي لمحت إليها، وثانياً ما المقصود بهذا المستند والتواريخ والأوقات المصحوبة بجمل «هل تجيب النداء؟».

(الدكتور): كلاهما واحد، فأخرج شريحة الذاكرة المتنقلة ووضعها في الحاسب الآلي، وشغل التسجيل الأول: إبراهيم مستلقٍ على الفراش وهو في سبات عميق وكأنه في كابوس، ويردد هذه العبارات «هل تجيب النداء يا إبراهيم؟»

فهم عبد الوهاب أن المستندات وما ذكر بها هي حديث إبراهيم أثناء نومه بهذه الكلمات الغريبة،(الدكتور): مارست جميع الحلول الطبية لحالة إبراهيم، ولكن الغريب أن إبراهيم استمر في تكرار ما ترى على مدى خمس سنوات بكل ليلة.. الآن أستطيع أن أتحدث وأنا خارج المستشفيات وإلا سوف يعتبرونني مجنونا، نعم إبراهيم متصل مع عالم غير عالمنا هذا.

قبل عشر سنوات....

جلس رجل الأعمال مع الساحر نواس واتفق معه على جعل فائدة مشتركة مدى الحياة، الاتفاق كالتالي: رجل الأعمال لديه طلبات من الساحر مثل إرساء بعض الصفقات التجارية لصالحه، وكان طلب الساحر هو تزويده بدواء يجعل الإنسان شبه ميت، أي أن إذا شربه الإنسان يظهر للفاحصين أن قلبه توقف.

اتفق الاثنان على المطلوب، وغادر رجل الأعمال بعد تسليم الساحر ورقة تحتوي على الصفقات المطلوبة.. اتصل رجل الأعمال بكبير أخصائي المختبرات وطلب حضوره للمنزل.

دخل كبير الأخصائيين المنزل، وجلس في مجلس رجل الأعمال المنهمك في قراءة ملفاته، التفت (رجل الأعمال) على كبير الأخصائيين وقال: أهلاً وسهلاً بك دكتور حامد، سوف أدلف في الموضوع مباشرة، بالنسبة لتقرير قديم تم تقديمه لي عن دواء التخدير الخاص بنقل الحيوانات المفترسة.

الدكتور (حامد): نعم أذكر التقرير الذي تم تقديمه قبل ستة شهور وتم رفض الفكرة؛ لأنها غير مُدِرّة للشركة.

(رجل الأعمال) أريد أن يتم طلب هذه الأدوية، ولكن بالسر ويتم تخزينها في قبو منزلي مباشرة!

الدكتور (حامد) متعجبا: لكن يا سيد... قاطعه (رجل الأعمال): لا نقاش في الموضوع. بعد أيام من الاتصالات والمراسلات تم طلب أول شحنة وخلال شهر تم تخزينها في قبو منزل رجل الأعمال سرا.

رجل الأعمال منتظر في منزل الساحر.. دخل (الساحر) إلى بهو الاستقبال وقال: هل أحضرت المطلوب؟

(رجل الأعمال): نعم وهو في الصندوق الذي أمامك.

(الساحر): إذن طلباتك مجابة، على أن يتم تسليمي هذا الصندوق في كل سنة مرة، مرفق معها قائمة بالصفقات المطلوبة.

اتفق الساحر مع موظف دار الايتام - الذي كان أحد زبائنه - على أن يطعم أحد الأولاد في الدار هذا الدواء وبالمقابل يزوجه من أجمل الجنيات، وبالفعل كان موظف دار الأيتام يضع الدواء في شراب أحد الأيتام قبل النوم، وفي الصباح يتم الاتصال في الإسعاف لاستلام اليتيم وتحويله للمستشفى، فسائق الإسعاف هو الساحر بعينه، وهذه وظيفته الأساسية. بعد إرسال اليتيم إلى المستشفى وفحصه وإعلان الوفاة يتم إرساله مع الساحر إلى المقابر للدفن.. هنا يتوجه الساحر لأقرب الأماكن إلى منزله وهو المنزل الأزرق المهجور، يدخل الساحر وهو يتمتم بطلاسمه التي تحميه من الجن ملتحفاً السفلي عباءته السوداء، ثُمّ ينزل الشوال من ظهره، فيخرج منه طفل بعمر السادسة، يضع على أنفه خرقة بها كحول ليفيق الطفل ومن غير أن يرف له جفن ينحر عنقه ويصفي دمه الطازج في سطل ومن ثُمّ يقتلع عينيه من محاجرهم.

ينزل الساحر نواس إلى قبو المنزل يزيح الصناديق المملوءة بالأعشاب (اللافندر والزعتر البري) والذي يبدلها بين الفينة والأخرى ليعتم رائحة

الموت، فيفتح الباب الأرضي الموجود تحت الصناديق والذي يؤدي إلى حفرة في وسطها، يرمي جثة الطفل بجانب أقرانه من الجثث المتعفنة.

في الوقت الحالي....

فتح باب المطار وخرج عبد الوهاب وانطلق إلى منزله ثُمّ استدعى المحققين على أن يأتوه في الحال، دخل المحققون وجلسوا مقابل المحامي.
«حمدا لله على سلامتك، هات ما عندك.»

أدلى عبد الوهاب بكل المعلومات التي تتعلق بحالة إبراهيم، وبعد ساعات وساعات من النظر إلى التقارير والعصف الذهني كان الاستنتاج واحداً.
أن المنزل يريد أن نجيب النداء!

(الجميع): نداء ماذا؟

ذهب الجميع إلى منازلهم وآووا إلى أسرهم بعد يوم مرهق.. وبعد سويعات، أخذت الهواتف تصدع من كل حدب، فخرج الجميع وتجمعوا في منزل المحامي.

إذن المنزل يريد أن نجيب النداء!، حيث إننا جميعنا شاهدنا الحلم ذاته.

الحلم...

يستيقظ من نوم جميل ويغتسل بماء دافئ، جلس ليرتشف قهوته ويقرأ أخبار اليوم، وكان التاريخ في الصحيفة هو الثالث عشر من الشهر وفي لمح البصر تتغير السماء من النور الساطع إلى الظلام الدامس، فينظر إلى الساعة وإذ بها تشير إلى العاشرة مساءً فيتوجه إلى باب المنزل ويفتحه وإذ بالمنزل الأزرق في المقابل، يطل من شبابيك المنزل في جميع الأدوار أطفال يلوحون له من بعيد، يخرج من منزله ويمشي إلى المنزل الأزرق

فينظر للأطفال ذوي المحاجر الخاوية، وعند الاقتراب أكثر سمعهم يقولون بترنيمة موحدة: أجب النداء.. أجب النداء، يفتح باب المنزل الأزرق ويقول: سمعت النداء.

فيجد رجل يصفي دم طفل منحور، وصوت أطفال يصرخون بصوت واحد «هل تجيب النداء؟» قادم من قبو المنزل.

في مجلس المحامي...

(عبد الوهاب): أريد أن أجيب النداء، من سيأتي معي؟

(حسام): كلنا معك، لكن يجب أن نلتفت إلى جميع الرسائل في الحلم، الساعة العاشرة مساءً من اليوم الثالث عشر من الشهر، أي أن العملية سوف تتم غداً.

(يوسف): سوف أذهب إلى أخي الضابط مشعل ليكون معنا أثناء الدخول وذلك لتقديم تقريره على أنه بلاغ قبل الدخول.

وفي الثالث عشر من الشهر وفي تمام الساعة التاسعة والنصف مساءً.. كل من عبد الوهاب وحسام ويوسف ومشعل بجانب المنزل الأزرق، والدقائق تمر كأنها أعوام على الحاضرين والعرق يتصبب كأنها سيول من على الجبين.

أقدم عبد الوهاب في الانطلاق بمجرد أن لدغ عقرب الساعة رقم عشرة، وتوجهوا إلى المنزل الأزرق بخطى حذرة، وهم يرددون «سمعنا النداء وأجبنا» وضع عبد الوهاب يده على مقبض الباب الخلفي للمنزل وفتحه ببطء.

أول شيء وقعت أعينهم عليه هو رجل بعباءة سوداء وسكّينه على رقبة طفل، أخرج (مشعل) مسدسه وقال: لا تفكر أن تفعلها، ستكون رصاصتي بين عينيك. نزل (الرجل) على ركبتيه ووضع يده فوق رأسه وقال: أستسلم لا تقتلني. هم عبد الوهاب والمحققين بالذهاب إلى قبو المنزل وإذ بالباب المؤدي للقبو مقفل، كسروا الباب ونزلوا، فإذا برائحة مخلوطة بين عفنٍ وأعشاب.

من بعد بحث طويل أزاحوا الصناديق واكتشفوا مكان الباب الأرضي، مسك يوسف مقبض الباب وفتحه فهبت على أنوفهم رائحة بشعة، فأغلقوا أنوفهم وخروا على ركبهم باكين من هول المنظر.

تم التواصل مع الشرطة والأدلة الجنائية من قبل الضابط (مشعل) وتمت إحاطة المكان، وذلك لتجمع الناس الكثيف حول المنزل.

خرج الضابط (مشعل) ومن أمامه الساحر نواس مربوط اليدين، ومن خلفهم الكثير من الأبرياء الذين لا ذنب لهم غير أنهم ثمن لقاء شيطان الأنس بشيطانة الجن.

في هذه الأثناء يصرخ (مريض) في مستشفى الطب النفسي: أين انا؟ يا خالد يا أحمد أين أنتم؟ يفتح الدكتور غرفة المريض وتفاجأ بأن إبراهيم رجع إلى عقله بعد جنونه لخمس سنوات متواصلة، وبعد أسبوعين من الإفاقة خرج إبراهيم من المشفى وكان بانتظاره في منزله كلٌّ من: صديقيه خالد وأحمد، والمحامي، والمحققين بمجرد أن وقعت عينا (إبراهيم) على المحامي احتضنه ونزلت دموعه الحارة على خديه، وقال: شكراً لك فلولاك من بعد الله لما خرجت مما أنا فيه.

حكى لهم (إبراهيم) حكايته مع المنزل الأزرق قائلاً: بعد دخولنا للمنزل ذهبتم تبحثون بغرف الطابق الأرضي وذهبت للطابق العلوي.. دخلت إحدى الغرف فأغلق الباب من ورائي وظهر لي (ثلاثة أطفال) جميعهم بلا عيون وقالوا: أجئت لتلبي النداء؟ فتملكني الرعب ولم أنطق، كرروا السؤال بشكل سريع أكثر من عشر مرات ولم أرد، ثُمّ مدوا أيديهم إلى رقبتي...، فكان هذا آخر شيء رأيته ومن بعدها أفقت وأنا بعمر ليس عمري وفي مكان غير المنزل الأزرق.

في الختام...

يخرج المحامي من قاعة المحكمة بعد التنازل عن تقديم الدفاع في قضية المنزل الأزرق من هول ما عاشه، وبالمقابل يأمر القاضي في التحفظ على المنزل إلى أن يتم الانتهاء من التحقيقات في مقتل الأيتام وإكمال التحقيقات مع الساحر وموظف دار الأيتام.

***

رجل الأعمال (عمار) غارقٌ في منامه.. وإذ بولد جاثم على صدره وعند النظر إلى وجهه فزع وتملكه الرعب لعدم وجود عينين في محاجرة الخاوية (الولد): هل تجيب النداء؟... ففتح (عمار) عينيه وهو يتصبب عرقاً وقال: إلى متى سأعيش هذا الكابوس اللعين!

(١٣)
المهرج الأحمر

موج العتيبي
Writermooj

المكسيك الساعة العاشرة صباحاً في الثلاثين من أكتوبر ١٩٧٩ في منزلٍ لم يعتد يوماً على لحظات الفراق وخيبات الأمل، إنه يوم ساعي البريد الذي يحمل في حقيبته الكثير من الرسائل محملة بكل المشاعر من فرح وخيبة ومعاناة تستمر إلى أن يؤمن شخص ما أنه ليس كل من كان في مصحة عقلية مجنوناً.

بصوت يطغى عليه الفرح قالت بينما تتصفح البريد «بريدٌ من إدوارد!» كان يحتوي على رسالة شعرت من خلالها بالغموض على غرار العادة «غداً هو الهالوين، لقد أخبرتُ باولا أن تأتي الى ذلك المنزل الذي اعتدنا الذهاب إليه، سوف أصل مساء هذا اليوم إلى المكسيك. دعينا نلتقي غداً من إدوارد«

همست بتعجب: «إنه لمن الواضح أنه يحاول اختصار حديثه» لم تحاول التفكير ملياً وحالما همَّت بالذهاب إلى منزل صديقتها باولا كان الجميع بمن فيهم هي يملك مهاما عدة لإنجازها، رفعت كتفاها بلا مبالاة «لا بأس سنلتقي غدًا وأخبرها«

في اليوم التالي الخامسة عصرا التقت ديانا وقالت بتذمر: «حقا باولا؟ كنت دائما تحبين مغامرات عيد الهالوين ما الذي جرى الآن؟» قالت باولا بهمس مُريب: «لا تروق لي تلك الرسالة ولم يخبرني أحد، أيضاً إدوارد قال أنه لن يعود هذا العام لننسى أمر هذه الدعوة ديانا«

قالت ديانا بتأكيد: «سوف أتصل به» همَّت بأخذ هاتفها وماهي إلا دقائق معدودة وأجاب إدوارد بهدوءٍ على غرار العادة.. سألتهُ ديانا عن تلك الدعوة وكانت إجابته هي الاجابة المُنتظرة لديانا. نظرت إلى باولا وقالت: «ما رأيك الآن؟ هل نذهب؟«

قالت محاولةً ثني ديانا عن رأيها: «ألا تشعرين أن هناك أمرا مريبا؟ لماذا يرسل رسالة بالبريد وهو يستطيع الاتصال بنا؟ «

قالت ديانا: «لربما هذه محاولة منه لخلق أجواء من الغموض والرعب لنا؟ لا تفكري بالأمر كثيراً ما الذي سيحدث؟ «

شعور الخوف لايزال يداهم قلب باولا على الرغم من كلمات ديانا المطمئنة، إنها عبثاً تحاول أن تفرّ بحياتيهما خوفاً من مصيرٍ مجهول.. إنها العاشرة مساءاً، الآن جميع محاولات ديانا قد فشلت في أن تجعل باولا تتجاهل حدسها وتأتي معها المغامرة عيد الهالوين المثيرة. ذهبت ديانا لوحدها إلى ذلك المنزل من أجل دعابات مرعبة وحكايا مُختلقة لسكان القرية كالعادة. رفعت هاتفها ببؤس «لم لا أستطيع الاتصال به! «

قررت الدخول أخيرا لكن هذا المنزل كان به شيءٌ جديد، إنه مليء بالمهرجين. ابتسمت ساخرة «لابد أنها دعابة جديدة من إدوارد» أمعنت النظر ووجدت بإحدى الزوايا مهرجاً أحمر مختلفاً عن البقية نظرت إلى الأعلى عندما سمعت صوت إدوارد أكملت طريقها إلى الأعلى وذهبت إلى مصدر الصوت «الغرفة الخامسة .«

عندما وصلت إلى هناك أدرك إدوارد أنه ميت لا محالة، صرخ بقوة: «اهربي ديانا».. لا أحد يُنكر أنّ الرعب قد دب بأرجاء المنزل القديم، والذي زادهُ صدى صرخات إدوارد رعباً. لكن ديانا تلك الفتاة التي لم تعتد قط على الهرب حدثت نفسها أنه هذه المرة لن ينطلي مُزاح إدوارد عليها، فتحت الباب بقوة وكانت تستعد لقول دعابة قديمة الطراز يا صديقي«

لكنّ منظراً مهيباً أجبرها على التمنّي أن تكون فعلا « دعابة .«

دماء تغطي جسد إدوارد بالكامل وجه شاحب وخالٍ من الطمأنينة، وعيناه كادت تخرجان من محجريهما، لابد أنه مات مرعوبا.. هل يفيد الهرب الآن؟ لا أعتقد لا يوجد عقل واع يستطيع تدارك الخطر مع صدمة فقدان شخص عزيز في آن واحد.

افتريت ببطء إلى إدوارد لقد انتزعت روحه بألم، أفاقت على صرير الباب الذي تم إغلاقه بإحكام، نظرت إلى أرجاء الغرفة بعينين جاحظتين وجسد مرتعش حتَّى استقرت عيناها على مكان وقوف ذاك المهرج المُرعب يبتسم حاملا بيديه فأسا مليئاً بالدماء المتساقطة على الأرض هي بالطبع دماء إدوارد المسكين. خوف شديد دفع الأدرينالين إلى الضخ بجسدها، تمكنت أخيرا من تحريك قدميها والاندفاع إلى الوراء على الرغم من استقرار عيناها على ذاك المنظر المخيف حتَّى اصطدمت بـ رفوف المكتبة الخالية. نظرت وراءها برعب.. لم تكن هذه المكتبة موجودة هنا السنة الماضية. لكن هذا الوقت ليس مناسباً للتفكير فيما قد كان موجودا. توقفت للحظة، لقد سمعت همسا لكنها لم تفهم منه شيئاً تراجعت إلى الوراء وتشبثت بيدين مرتعشتين في المكتبة وفجأة بصريرٍ مزعج انقسمت المكتبة إلى نصفين وظهر بابٌ مخفي وراءها!

الخوف عدو الإنسان.. قد منعها من التفكير واقتادها للهرب داخل هذا المكان المجهول المجهول مُخيف أكثر من واقع مرعب، هذا ما لا يفهمه الكثيرون.

وجدت نفسها فجأة في قبو مُظلم وكما هو. معتاد مليء بالمهرجين اقتربت بتهور إلى أحدهم وقامت بلمسه «إنه دُمية!» والآخر «إنه كذلك» حتَّى تنفست الصعداء، نظرت في تلك الزاوية أمامها إنه ذاك المهرج! يرتدي زيا أحمر اللون وابتسامته؟ إنها مختلفة إنه مختلف تماماً. شعرت أنّ هالةً

من الحزن تُحيط به.. التفت إلى الوراء وسارعت باستكشاف المكان لإيجاد وسيلة للهرب. تلك الطاولة يجلس عليها مهرج، لم تُبال، لكن لوهلة فقط حيث استرجعت ذلك المشهد ونظرت وراءها برعب ولم تجده، لم تجرؤ على التفكير أنها قد وقعت بفخّه. اضطراب مفاجئ بالتنفس ليس وقت نوبات الهلع لتداهمها، تكاد تشعر كما لو أن قلبها سينفجر. شعرت بتعرقٍ شديد ووقفت كما الدمية لا تستطيع الالتفات، حاولت إنهاء خوفها بعبارات مشجعة لم تلاحظي ذلك جيدًا.. هو بالتأكيد كان منذ البداية على الطاولة للأسف تلك كانت محاولة لتكذيب الواقع.

أخيرًا قررت الالتفات، ذلك المهرج لم يكن عند الطاولة كان واقفا أمامها لا يفرق بينهما شبر، أقسم أنه كان شعورا لديه، أن يكون الضحية خائفاً بشدة، أن يُفرز الأدرينالين لينقذ القلب المرتعب... ويمنعه من الموت بطريقة عادية الصراخ؟ لا فائدة بابتسامة مخيفة قرّر أن يودعها. قبل ذلك نقلت نظراتها إلي أملك ابتسامة حزينة على وجهي ليت باستطاعتي الاعتذار إلى صديقتي العزيزة على تركها تواجه هذا القاتل لوحدها.. لكن لربما فهمت أن هذا المهرج الأحمر لم يكن إلا باولا صديقتها المُقربة، أتمنى أن هذا قد ساعدها بتخفيف رعبها، كان منظراً محزناً مؤلماً وقاتلاً.

كان هذا القناع يظهر ابتسامة عكس ما في داخلي، لقد كان منظر دمية المهرج فقط، لكنني كنت أعمق من ذلك صراعات وحزن وصراخ مكتوم. لم أرغب في رؤيته ينزع القناع أردت أن يبقى مشكوكا به فقط. بزغ الفجر وانتهى الاحتفال وانتهت المأساة، بعد مرور يومين استسلمت عائلة ديانا وإدوارد وتوقفا عن البحث عنهما حيث ظن الجميع أنهم هربوا معا بينما بقيت أقسم لهم أن «أبي» قد قتلهم وأخفى جثثهم.

لم يصدقني أحد، ظنوا أنني قد جننت القوا بي في مصحة عقلية ولم يلقوا لي بالا. ها أنا ذا بعد مرور العديد من الأعوام أكتب آخر أحداث هذه المأساة بالنسبة لي والتي ستختم بي أنا «باولا» هو كان هكذا دوما لا يريد أن يموت الشخص بسلام.. يريد أن يراه يعاني أن يبقى خائفا ومرتابا طوال حياته ومن ثُمّ يجعله يموت ميتة شنيعة. إني أراه الآن مستلق تحت السرير بفأس يحمل دماء قد جفت.. بابتسامة مرعبة اعتدت أن أراها طوال العشرين عاما الماضية في كل عيد هالوين يمر.. لا يقتلني بل يستمتع برؤيتي أعيد المأساة وأرتعد خوفًا.. لم أعد خائفة بعد الآن أريد أن أودعكم الوداع الأخير، سأخيب أمله وأنهي أنا حياتي، ولا أعلم إن كان هذا سيعيد حق ديانا وإدوارد والكثير من الضحايا أم لا، لكن بظنّي أن المعاناة ستستمر إلى أن يؤمن شخص ما أنه ليس كلُّ مَن كان في مصحة عقلية «مجنوناً»

باولا لويس - ابنةُ قاتل-

عيد الهالوين بعد مرور عشرين عاماً على مجزرة صامتة.

٣١-١٠-١٩٩٩م

(١٤)
«أشباح حارتنا»

عماد منذر
emad_monther98

في حارتنا ثمّة بيت مسكون لا يدخله أحد، ولكن في كل يوم كانت تنبعث منه أصوات غريبة ؛ صراخات بكلام غير مفهوم ضحكات عالية وصداها يتردد دون توقف لون أحمر يشع من داخل غرف البيت وقت الغروب. ولكن كان الأغرب ليلة البارحة، قال الجيران الذين كانوا متواجدين هناك أنّ امرأةً شعثاء عارية ظهرت على الشرفة العلوية من المنزل المسكون، وقذفت بنفسها حتَّى هوت أرضا وحمد صوت صراخها. فزع الناس وفروا من المكان، وما هي إلا لحظات حتَّى علت أصوات الضحكات من جديد في المنزل، أصوات لا تنبعث إلا من أشباح حارتنا...

عصر اليوم، كان نصف سكان الحي قد غادرو المنطقة بأمر من الحكومة تمهيدا لنسفها وتخليصها من سكان ذلك البيت المرعب..

كان والدي قد جهز نفسه للمغادرة، وخرجنا من الحارة بالفعل. كان تدافع الناس في الشوارع العامة كبير، وضعنا الخوف جميعا في بلعومه، وظل السير مضطربا حتَّى وصلنا أطراف المدينة الأخرى..

وهناك، بين الحشود اللاهثة أبصرت عن يميني امرأة تبكي وتجري خائفة، دققت في وجهها، كانت تلك المرأة التي رمت نفسها من الشرفة، ولكنها لم تكن عارية..

(١٥)

سحرتني غجرية»

خلود البوعينين

Kholood_uae_artsit

سحرتني بجمالها..

فوجهها كالبدر..

وشفتاها كحبات الكرز الداكن..

وشعرها أسود تماماً كقهوتي التي كنت أرتشفها في أحد المقاهي المطلة على شوارع إحدى المدن الأوروبية الشهيرة، والتي ضجت فيها أصوات المركبات وآلات الموسيقى وشتى أنواع البشر.

وبالرغم من كل ذلك الضجيج إلا أن عقلي سُلب عندما جاءت تلك الغجرية مع فرقتها الصغيرة وبدأت بالرقص على نغم دقات الطبلة التي كانت بين يدي الولد وكان من ضمن أعضاء فرقتها وكلما تمايلت ذاب جزءٌ من قلبي وشعرت بأنني لابد وأن أنهض من مكاني لأتحدث معها.

وقتها لم أكن أشعر بنفسي وكأنني كنت قد سلبت الإرادة والتركيز ولم أكن على طبيعتي بتاتاً فلست من الأشخاص الذين يقومون بملاحقة الفتيات في الشارع، وخاصةً في ظل تلك الظروف التي كنت أمر بها، فقد كنت قد انفصلت للتو عن زوجتي مريم التي قضيت معها عشر سنوات من عمري بعد أن دخل وسواس الشيطان بيننا، ووقتها كنت أنتظر بأن تضع مولودها لأتم إجراءات الطلاق.

ولكن تلك الغجرية الشابة التي كانت ترقص في زاوية الشارع هناك، لم تكن ذات جمال عادي، وكأنها شخصية أميرة خيالية تجسدت وخرجت من إحدى الروايات.

كان من المفترض بأن ينضم إليّ زميلي عدنان لتناول القهوة، ولكنّه تأخر فاستغللت الفرصة بأن أذهب إلى تلك الفتاة والتحدث إليها. تركت طاولتي

وتقدمت نحوها بخطوات خشعت أمام جمالها إلى أن وصلت إليها ولحسن حظي لم يكن الناس يحتشدون حولها، ثُمّ أومأت برأسي لإلقاء التحية عليها بعدما التقت عيوننا ببعضهما، وكانت قد انتهت للتو من رقصتها وأمسكت منديلاً لتجفف عرقها من فوق جبينها.

الغجرية: مرحباً بك يا سيدي، تفضل فلدينا العديد من الفعاليات هذه الليلة.

محمد: حقاً لا ظننت بأن رقصك هو الحدث الرئيسي هنا.

بعدها اقتربت مني الغجرية ما رقصي إلا بداية المشوار يا سيدي. ثُمّ ابتسمت وأشارت لي بأن أجلس على كرسي وطاولة بجانب مكان العرض، فوافقت بكل سرور.

بعد أن جلست قامت السيدة العجوز التي كانت ترافق الغجرية بالجلوس على الجهة المقابلة من الطاولة، ثُمّ أخرجت من حقيبتها ترمس (إناء يحفظ الحرارة) وسكبت لي كوباً من القهوة السوداء، وأشارت لي بأن أشرب منه.

في البداية ترددت قليلاً فلم تكن العجوز ذات مظهر يوحي بالسماحة، فوجهها المجعد والذي تملأه الوشوم غير مطمئن أبدًا. أصرت العجوز عليّ أن أشربَ ولو القليل من تلك القهوة لتتمكن من قراءة فألي على حد زعمها ولست من الذين يؤمنون بتلك الخرافات، ولكنني أخذت رشفة من قهوتها لتتوقف عن الإلحاح.

عندها قلبت فنجاني على الصحن وأخذت تلفه عدة مرات ثُمّ رفعته وألقت نظرة فاحصة عليه.

العجوز: أنت مسحور.

محمد: عفواً!

العجوز: سبب عدم إنجابك هو السحر الأسود.

ذهلت من دقتها في الكشف عن تلك المعلومة، فبالفعل أنا أعاني من خلل في الإنجاب وقد أكدت لي ذلك الفحوصات العديدة التي أجريتها منذ بداية زواجي بمريم. ولكن كيف لفنجان صغير كهذا أن يكشف سراً كبيراً عن حياتي؟! انتابني الفضول بأن أسألها السؤال الذي دمّر سنوات زواجي بمريم.

محمد: هل يمكنك أن تكشفي لي اسم الرجل الذي حملت منه طليقتي مريم؟

العجوز: إنه أنت.

محمد: مستحيل، فقد قلتي للتو بأنني لا أستطيع الإنجاب.

العجوز: قلت بأن سبب عدم إنجابك هو السحر الأسود، ولكن ذلك السحر قد فك على يد زوجتك، وهي. حامل بولدك.

محمد: ولد!! لم تنسبي لي ابن الزنا ذلك فحسب، وإنما حددت أيضاً أنه ولد!

لم أكن أعلم بالتحديد لماذا استشطت غضباً على العجوز! لربما كان جزء مني لا يريد بأن يكون كلامها صحيحاً، لأنني كنت سأندم أشد الندم على ما فعلته بزوجتي مريم.

ففي الليلة التي أخبرتني بحملها، كانت قد أعدت وليمة العشاء واستقبلت أهلي وأكرمتهم بالضيافة، لتكشف عن الخبر الذي كان الجميع يحلم بأن يتحقق. ولكنني دمرت تلك الليلة باتهامها بالفجور والزنا وأن الذي ببطنها

ليس بابني لتأكدي القطعي بأن الإنجاب ليس من نصيبي. ولم أكتف بذلك فبعد اتهاماتي لها وإهانتها أمام أفراد عائلتي دفعتها إلى خارج المنزل ولم أكلف حتَّى السائق لإيصالها لبيت أهلها، إنما أخذت سيارة الأجرة وهي تجر حسراتها وكرامتها معها. في ذلك الوقت كنت أشعر بأن ما فعلته كان صحيحاً فليس هناك رجل يقبل بأن تخدعه زوجته بنسبه لولد ليس بولده. أعادت لي جلستي مع تلك العجوز ذكريات مؤلمة فلم يمر على تلك الحادثة سوى ثلاثة أشهر ولم يكن للجرح أن يبرأ ولكن سفر العمل لتلك المدينة الأوروبية لحضور المؤتمر العالمي كان له الأثر في التخفيف من الأزمة التي مررت بها. وبمجرد ذكر العجوز لتلك الاحداث أعاد لي فتح الجروح.

نهضت من مكاني بغضب وأدرت ظهري للعجوز ورحلت تاركاً الراقصة الغجرية من دون أن ألتفت إليها فنفسيتي لم تكن تسمح بأن أبدي لها أي إعجاب بعد الذي حدث مع العجوز.

مشيت بين حشود البشر وقطعت الطريق إلى أن وصلت الفندق الذي كنت أسكُن به. ولم أشعر بنفسي إلى أن دخلت إلى غرفتي وأنا أجر قوافل الذكريات والحسرات التي ما لبثت أن تناسيتها حتَّى استحضرتها تلك العجوز في جلسة الفنجان المشؤومة. ولم يكن لي ملاذ وقتها إلا النوم لعلني أنسى ما أحزنني.

ويا ليتني لم أخلد إلى النوم في تلك الليلة لأن ما حدث بعدها قد غيّر حياتي.

استيقظت اليوم التالي بطريقة عجيبة. فقد شعرت بقرصات على جسدي وما أن أفقتُ حتَّى اكتشفت بأنني كنت مستلق على تربة رطبة بجانب مستنقع وحلي يملأه البعوض.

أخذتُ عدة ثواني لأستوعب ما كان قد حدث لي، فآخر ما كنت أتذكره كانت عودتي إلى الفندق ليلة البارحة وخلودي إلى النوم. وانتابني الشك بأنني كنت أحلم بكابوس.

ولكن عندما رأيت وميض هاتفي قطع الشك باليقين وأدركت واقعية الأمر فلا يمكن لحلم أن يكون بذلك الوضوح وعندما حاولت النهوض من مكاني أوجعتني الخدوش التي ملأت جسدي، وعندما أمعنت النظر إليها وجدت بأنها اتخذت أشكالاً مختلفة وفي أماكن متفرقة من أنحاء جسدي وكأنني كنت قد تعرضت لهجوم من حيوانات شرسة ولكن لماذا لم أتذكر شيئاً؟! استمر هاتفي بالوميض إلى أن توقف بسبب نفاد بطاريته، وما إن وصلت إليه وحاولت فتحه من جديد حتَّى أدركت بأنه لم يكن ذلك هاتفي وإنما كان هاتف زميلي عدنان الذي رافقني إلى رحلة أوروبا لحضور المؤتمر.

بعدها تلفت من حولي بهستيرية علّني أجد عدنان بالقرب مني فقد يعلم هو ما لم أكن أعلمه، ومن المستحيل بأن يكون هاتفه بالقرب مني بدون تواجده هو أيضاً في تلك الغابة الغامضة.

يا الله! كيف وصلت إلى هنا!

وعندما لم أجده أخذت أمشي بحذر حتَّى قطعت مسافة بعيدة وتمكن مني التعب فجلست بجانب جذع شجرة إلى أن هدأت دقات قلبي وانتظم سريان الدم في عروقي، وبدأ تركيزي بالعودة إلى عقلي لتسري منه عدة لقطات من ذاكرتي.

لمعت في عقلي ذكرى بأنني كنت أقف وسط حشد من الناس الذين رسمت على وجوههم أشكالاً متعددة من الوشوم الغريبة وهم يقومون بقرع

الطبول، بعدها لمعت لقطة أخرى كان فيها رجلاً غائباً عن الوعي مقيداً بالحبال وعلى رأسه جرح بالغ يسيل دماً.

انتابني الرعب وقتها، هل حدث كل ذلك حقاً أم إن خيالي أخض يلعب بعض الحيل بسبب ضعف جسدي؟!

ولكن هاتف عدنان الذي بجيبي يثبت بانخراطه معي في تلك الأزمة المبهمة. ولو كان ما أتذكره حقيقياً فمعنى ذلك أن عدنان في خطر لأنه مكبل في مكان ما ويحتاج المساعدة.

كان يجب علي التصرف بسرعة وإيجاد أقرب مركز شرطة للإبلاغ عن اختفاء عدنان وعن الأحداث الغريبة التي حدثت لي منذ ليلة البارحة لأتمكن من فهم القصة كاملةً.

نهضت لأكمل طريقي في تلك الغابة التي أوشك الظلام أن يكبس عليها، وخلال سيري راودتني عدة شكوك وراء السبب الذي وضعني في تلك الأزمة فأخذت أحاول التذكر إن حدثت لي أي مواقف غريبة بالأمس، واسترجعت ذكريات اليوم بأكمله منذ بدايته إلى أن تذكرت تلك الغجرية التي كانت ترقص في زاوية الطريق.

انتابتني القشعريرة عندما تذكرتها والغريب في الأمر أنني ما إن تذكرتها حتَّى شعرت بأن هناك من كان يمشي خلفي في الغابة فقمت أتلفّتُ خلفي كالمجنون وأسرع في خطواتي فقد حل الظلام ولم أكن أعلم بأي اتجاه كنت أسير إلى أن وصلت لسهل مستو تملؤه الحشائش الطويلة والذي كان يجب عليّ أن أعبره لأصل إلى الشارع العام. شققت طريقي وكلما توغلت بين الحشائش كلما زاد شعوري بأن هناك من كان يقترب مني أكثر فأكثر، حتَّى بدأت بسماع همسات مرعبة بلغة غريبة تخترق سمعي وتزداد غضباً

في حديثها المبهم. عندها توقفت عن المشي من شدة الألم الذي جمد عروق رأسي فأخذتُ أصرخ بصوت عال حتَّى فقدت وعيي.

استيقظت لأجد نفسي في على سرير المستشفى في غرفة غلب عليها اللون الأزرق الفاتح، تحسست جسدي علني أجد ما يقنعني بأن ما أراه حقيقي عندها شعرت بالألم الخفيف كلما لمست ضمادة من الضمادات التي كانت تملأ جسدي.

وقتها دخلت علي ممرضة والقت عليّ التحية وأخذت تفحص مؤشرات الجهاز الذي كان موصولاً بجسدي، وعندما سألتها عما حدث لي أخبرتني بأن مجموعة من الشباب كانوا يخيمون بالقرب من الغابة وجدوني فاقداً الوعي واستدعوا الإسعاف ليحضروني إلى المستشفى.

محمد: وهل وجدتم صديقي عدنان؟

الممرضة: لا يا سيدي، لم يكن هناك أحد آخر، ولكن أحد ضباط الشرطة في الخارج يود الدخول للتحدث إليك، فهل انت مستعد لاستقباله؟

محمد: نعم بالطبع دعيه يدخل لو سمحتي. الحمد لله على حضور الشرطي فقد كنت في حاجة شديدة إلى المساعدة علني أجد عنده تفسيراً لأزمتي.

دخل رجل طويل القامة، تغلب الجدية على ملامحه وألقى علي التحية ثُمّ جلس على كرسي بجانب سرير المستشفى الذي كنت مستلقٍ عليه.

الضابط: أنا المحقق روبرت وأود أن طرح عليك بعض الأسئلة؟

محمد: تفضل يا سيدي فقد كنت أنوي الذهاب إلى مركز الشرطة للإبلاغ عما كان يحدث لي.

المحقق روبرت: وما الذي حدث لك بالتحديد؟

كانت نظرات المحقق غريبة فقد كان يتحدث إلي وكأنني متّهم وطريقة تركيزه على حركات جسدي كانت توحي بأنه كان يريد أن يستشعر بأي إشارة تدل على كذبي، لذلك أخذت الحذر في صياغة قصتي وجمعت التركيز على ألا أفوت أية تفاصيل مررت بها في اليومين السابقين.

محمد: أنا هنا في بلدكم لحضور المؤتمر العالمي المقام الشركات البترول وقد تم تكليفي أنا وزميلي عدنان لحضوره، فقد تكفلت الشركة التي أعمل لحسابها بحجز تذاكر السفر والفندق والمواصلات.

المحقق يقاطع: أعلم بذلك، ولكنني أريج معرفة ما حدث معك بتاريخ ١٨ مايو الذي كان منذ أسبوعين بالتحديد.

محمد: أس.. أسبوعين؟!!! لا يا سيدي لم أكن هنا منذ أسبوعين فمدة المؤتمر هي خمسة أيام فقط وبالأمس حضرنا أنا وعدنان زميلي اليوم الثالث من المؤتمر بمعنى أننا من المفترض أن نعود إلى بلدنا غداً.

المحقق باستنكار: هل تعلم ما هو تاريخ اليوم؟ إنه الثاني من يونيو وقد مضى أسبوعان على اختفائك أنت وهو الأمر الذي دفع الشركة التي تعمل بها لإبلاغ السفارة عنه، أما عن زميلك عدنان فقد وجدناه مقتولاً في غرفته التي بالفندق ووقت وفاته كان متزامناً مع اختفائك، وعندما تم إحضارك إلى المستشفى كان هاتف عدنان في جيبك وذلك يضعك في محل الاتهام الأول لتلك الجريمة.

صعقت عند سماعي لتلك الكلمات فليس هناك ما هو أعظم من أن تتهم بجريمة لم تقترفها يداك تسمرت في مكاني وقد ضاعت الكلمات، فقد كان الأمر مبهماً وقاسياً للغاية.

المحقق: أما الآن أريد منك إخباري كيف نفذت الجريمة وما هي الأسباب التي دفعتك لفعلها.

أخذت أحاول عبثاً بإبعاد التهمة عني وذكرت للمحقق بأنني بعد أن عدت من المؤتمر توجهت إلى المستشفى وأجريت فحص الإنجاب وعدت ذلك المساء وكان من المفترض أن التقي بعدنان لتناول القهوة، ولكنه لم يجب على اتصالي فظننته قد خلد إلى النوم فلم أشأ بأن أزعجه.

المحقق: وما تفسير وجود هاتفه النقال في جيبك؟ تذكرت وقتها شيئاً لم يخطر في بالي أبداً إلا عندما سألني المحقق بذلك السؤال، وهو أنه عندما كنا في المؤتمر، وقبل أن تنتهي الجلسة بدقائق استأذنني عدنان ليذهب إلى دورة المياه وترك هاتفه النقال على الطاولة، وكان هاتفه يرن عدة مرات، وذلك سبب الإزعاج لمن حولي فقمت بوضعه على الصامت. وعندما انتهت الجلسة وأردت الخروج من القاعة أخذت هاتف عدنان ووضعته في جيبي لأعطيه إياه في الخارج. ولكنني نسيت، وظل الهاتف في جيبي طوال تلك المدة.

أخبرت المحقق بتلك التفاصيل، ولكنه لم يبدي لي أي اقتناع بما حدث وإنما سألني سؤالاً غريباً نوعاً ما.

المحقق: هل انضممت لأي طائفة مؤخراً؟

محمد: بالطبع لا! لماذا؟

المحقق: هناك ارتياب بأن لك علاقة بمثل تلك الأمور.

رمقني المحقق بنظرات الريبة والشك وبعدها أخبرني بأن هناك شهود رأوني أنزل من الفندق مساءً ذلك اليوم وأنا أترنّح برفقة سيدة بيضاء ذات

شعر أسود طويل وترتدي الملابس الغجرية، وأننا ركبنا سيارة الأجرة معاً، وللأسف فلم تكن كاميرات المراقبة في الفندق تعمل في ذلك اليوم.

وبعد التحقيق مع سائق الأجرة أخبرهم بأنه أوصلنا إلى مكان ناء عند ضواحي المدينة، وأنَّ الغجرية التي كانت برفقتي دفعت له ثمن الرحلة من النقود التي في محفظتي.

بعدما ذهبوا ليحققوا في ذلك الموقع وجدوا بأنه خالٍ فيما عدا بقايا فتائل محترقة ورماد الكثير من الحطب الذي تم استخدامه لإقامة شعائر وطقوس من نوع ما، والكثير من بقايا المسكرات والمشروبات الكحولية، وبعدها ذكر بأن تلك المناطق اشتهرت بتلك العصابات التي تقوم بذلك النوع من الجرائم وأنها تتصيد السياح بشكل خاص عن طريق تخديرهم واختطافهم وأخذ أعضائهم تحت مراسم شيطانية، ولكنه شك في تورطي معهم. فلو كنت ضحية كما كنت أزعم فكان من المفترض أكون أن أكون في عداد الأموات وقتها.

أخبرت المحقق بأنني لا أي أذكرُ أي شيء عن تلك الليلة. وأن ما يحضر في ذاكرتي هو القليل من اللقطات المشوشة التي تستحضر بعض الأحداث كدق الطبول والرجل المقيد ذي الإصابة البالغة في رأسه، والذي كنت أعتقد بأنه عدنان وتبين لي فيما بعد بأنه لم يكن هو، وأقسمت له بأنني لم أذهب إلى ذلك المكان بإرادتي، ولا أعلم كيف نفذت بجلدي.

وقبل أن يغادر المحقق طلب مني بألا أغادر المستشفى بأي شكل من الأشكال لأنني على ذمة التحقيق وأنهم أبلغوا سفارتي بمكان تواجدي وطلبوا منهم توكيل محامي للدفاع عني والقيام بالإجراءات القانونية. ثُمّ أخبرني بأن هناك ضابط يقف على مدار الساعة أما باب غرفتي في

المستشفى وأنهم سوف يأخذونني للحجز في مركز الشرطة بعد أن أتعافى بعدها خرج المحقق وأغلق خلفه الباب.

راودتني العديد من المخاوف والشكوك، وأخذت أحلل الأمر مراراً وتكراراً في رأسي وكنت على وشك الجنون. فبالأمس كنت أجلس في المقهى وأحتسي القهوة بسلام واضعاً همي خلف ظهري، واليوم يتم اتهامي بجريمة شنيعة راح ضحيتها زميلي البريء، وشعرت بالندم على محاولتي التقرب إلى تلك الفجرية فمن المؤكد وكما ذكر المحقق بأنهم ينتمون إلى عصابة من عصابات المجرمين وقد تم تخديري عن طريق القهوة التي قدمتها لي تلك العجوز اللعينة لتتبعني بعدها الغجرية إلى الفندق وتتسلل إلى غرفتي وتنفذ خطتها، فبعد قطعي للمسافة بين المقهى والفندق كان المخدر قد بدأ بالتأثير علي مما سهل عليها إتمام المهمة.

أما بالنسبة لعدنان فليس هناك أي علاقة لي بقتله وكل ما يمكنني تفسيره أنه تعرض للسرقة من لصوص وقاموا بقتله في غرفته وكان ذلك بعد عودته من المؤتمر مباشرة وبالتحديد في الوقت الذي كنت فيه أجري فحوصاتي الطبية في المستشفى.

تساءلت كثيراً عما إذا كان ما حدث لي ما هو إلا عقاب على اتهامي لمريم ظلماً فقد كنت أشعر بالظلم الكبير وقتها ومن المؤكد أنها مرت بتلك المشاعر المؤلمة وحدّها من دون أن أعطيها الفرصة لتثبت لي براءتها، فلو كان كلام تلك العجوز اللعينة حقيقياً في أن مريم قد سعت لفك سحر ربطني من الإنجاب لتنقذ زواجنا حينها ستكون مريم من أعظم النساء وأغلاهم قدراً، فهي عملت ذلك سراً لأنها تعلم بأنني لن أوافق للذهاب لشيخ دين لحل مشاكلنا، وقتها انتابتني الحسرة والألم، ولو كتب لي الله أن أخرج

من هنا وأعود إلى بلدي بسلام فسأجلس مع مريم وأعطيها الفرصة لتبرير ما حدث.

مضت دقائق طويلة جداً، سرحت بها إلى أحلك الاحتمالات وأصعبها.

بعدها قطع سرحاني الضابط الذي كان يقف عند باب غرفة المستشفى عندما دخل وأحضر لي هاتفي النقال وأخبرني بأن المحامي المكلف لي من السفارة في طريقه إلى المستشفى لمقابلتي. وبينما كنت في انتظار المحامي فتحت هاتفي ووجدت ما يلي:

مكالمات كثيرة فائتة ورسائل من مديري وأخي الكبير جاسم وطليقتي مريم.

رسائل من مديري في العمل:- (محمد أحاول الاتصال بك وبعدنان ولكنكم لا تجيبون لقد فاتكم موعد رحلتكم في العودة، هل لديكم تبرير لذلك؟)

- (محمد ما الذي حدث، وردني اتصال من السفارة بأن عدنان ليس بخير ولم يزودوني بأي تفاصيل)

- (يرجى العلم بأنه تم إنهاء خدماتك وفصلك من الشركة لتورطك بشبهات إجرامية)

رسائل من أخي الكبير جاسم:

- (محمد هل أنت بخير؟ هاتفك مغلق منذ أسبوع والوالدة قلقة عليك، أرجوك اتصل بنا للاطمئنان عليك)

- (وصلني للتو من السفارة بأنهم وجدوك، لا تقلق أنا قادم فقد حجزت تذكرة وسأكون عندك بعد سبع ساعات)

رسائل من طليقتي مريم:

- (كسرت قلبي، ولكنني لا الومك فقد ينتابني الشك لو كنت بمكانك ولكنك كنت قاسياً جدّاً عليّ، وأقسم لك بأن الذي ببطني هو ابنك ولم أخُنك أبدًا)

- (أنا سامحتك، أرجوك دعنا نعود معاً)

- (عدت من المستشفى للتو وبشرتني الدكتورة بأنه ولد)

- (محمد وصلني خبر اختفائك، هل ذلك صحيح؟ ارجوك رد عليّ أرجوك فالكل يبحث عنك)

رسالة من المستشفى التخصصي:

- (نتيجة فحص الإنجاب الخاص بالسيد /محمد يوسف. هي إيجابية حيث إنك سليم ويمكنك الإنجاب)

(١٦)
«لحظة إدراك»

زايد المرزوقي
zayed_almarzooqi97

"هيا يا بني، أخبرني ما هذا الشيء الذي يشغلك منذ أن دخلت المنزل؟"

ظلَّ يوسف على صمته قليلاً قبل أن يفتح فمه ويقول: "لا أعلم إن كنت تود أن تعرف بالأمر يا أبي، ففي أحيان كثيرة يكون الجهل أفضل من المعرفة."

قال والده: "هذا صحيح، لكني والدك وإني أرى تلك النظرة التي تخفي ورائها الخوف منذ أن أتيت من منزل جدتك. تلك المقولة التي قلتها للتو لا تنطبق على الآباء، حينما تكون المعرفة تخص الاطمئنان على صحة أبنائهم."

أخذ يوسف نفساً عميقاً وقال لأبيه: "أمي... زوجتك تُبلغك السلام، وتخبرك بأننا سنجتمع سوياً، وعلينا الانتظار قليلاً."

اتسعت مقلتيه وقال متعجباً: "لقد ماتت زوجتي التي هي أمك بعد أن قدمت أنت إلى الحياة... ما الذي تقوله يا يوسف؟"

قال يوسف: "سوف أخبرك بكل شيء يا أبي... كما تعلم كنت في بيت جدتي والدة أمي أتناول معها طعام الغداء، وبعد أن انتهينا دخلت لغرفتها لتنال قسطاً من الراحة وبقيت جالساً قليلاً قبل أن أقوم لأجلس في الخارج على البئر الذي في فناء منزلها بصحبة الشاي الأحمر والنعناع في هذا الجو البارد. جلست على حواف البئر وأنا أتمعن بالسماء وكيف أن الشمس لا قوة لها علينا في هذا الشهر، وفجأة يا أبي تغير كل شيء في تلك اللحظة."
قال الأب: "كيف ذلك؟"

قال يوسف وجسده بدأ بالارتعاش كأن ما سوف يقوله يعيشه الآن: "هل تعرف ما هو أكثر خوفاً من ليلةٍ معتمة لا قمر فيها والسحب تغطي سمائها وتمنع حتَّى أضواء النجوم؟ هو نهاراً انقلب في لحظةٍ واحدة إلى عتمة سوداء أكثر قتامة من تلك الليلة، لا شيء تستطيع رؤيته حتَّى تشعر أنك

فقدت بصرك فجأة دون سابق إنذار. شيئاً ما يا أبي سحبني بداخل البئر وسقطت فيه، بعد ذلك الغيهب الذي كنت فيه بدأت النيران تخرج لا أعلم من أين وتنير المكان، شعرت بأن قلبي قد سقط من موضعه من هول المكان الذي كنت فيه لا أستطيع أن أصف لك ذلك العالم وتلك المخلوقات التي كنت ألمحها على مسافة بعيدة مني، علمت بأني وقعت في بقعة من الأرض لا يسكنها بني جنسنا، وقد كانت تلك المشاعر صحيحة يا أبي هناك في ذلك المكان لقد دخلت إلى عالم الجن. التقيت بامرأة هيئتها مريبة وتبث الرعب في قلب من يشاهدها، كأنها ظل وفي الوقت ذاته جسد، لك أن تتخيل تلك الأشكال المرعبة، أغلقت عيني بعد أن انتصب شعر جسدي. كله."

قالت لي: "افتح عينيك يا يوسف، لا تقلق؟"

سقطت في مكاني بسبب الخوف ولم يعد باستطاعة رجلاي أن تحملاني، قلت لها دون أن أعي كيف تحدثت: "أين أنا؟"

أجابت: "لا تقلق يا يوسف أنا والدتك ولن أدع مكروها يصيبك. أنت في عالمنا نحن الجن."

فتحت عيني بسبب الصدمة وإذا بها قريبة مني لم استطع أن أنبسّ ببنت شفّه.

قالت: "أنا جنية يا يوسف وأنا والدتك... زوجة أبيك."

قلت لها: "أمي قد غادرت هذه الحياة."

قالت لي: "ليس لدي الكثير من الوقت وسوف أخبرك بكل شيء والتفاصيل في وقت لاحق يا ابني العزيز أدعى شرار. عليك أن تعرف تاريخ عائلتك، جدتك التي هي والدتي لقد عشقت جنياً وتزوجته وكنت أنا ثمرة ذلك الزواج

أحبها والدي من كل قلبه وهرب معها بعيداً عن عالمنا في ليلة ما أتوا قبيلتنا وقتلوا والدي وسرقوني من والدتي وبقيت هنا في هذا العالم معهم وهي لا تعلم أبداً ما حلّ بي عندما كبرت عشقت أنا إنسيا الذي هو والدك وتزوجته وأنجبناك والفرق بيني وبينك هو أني أنا جنية مثل أبي وأنت إنسي مثل أبيك."

قلت لها بذهول: "هذا يعني أنك لم تموتي، ولكنك غادرتنا." قالت بحزن: "أنت لا تدرك معنى أن تكون متمرداً بين قبيلتك من الجن لا تعرف مشاعر الخوف التي لم تكن تعلم بأنك تمتلكها يوماً. لم أرغب بأن أكون عبرة لغيري، بل أردت أن أكون مرعبة لغيري.

قلت لها: "كيف ذلك يا شرار؟"

أجابت: "الأغلب من بني جنسنا ان لم يكن الجميع يهرب مع زوجه الانسي او زوجته الانسية بعيداً عن عالمنا دون عودة إليه، ليس هروباً بدافع الحب دائماً وانما هروباً من الموت على يد القبيلة التي سوف تجعلنا عبرة لغيرنا من الجن. قلة ونادرون فقط يا ابني العزيز من يقرر البقاء رغم التهديدات الكثيرة والمواجهة الشرسة، أنا قررت أن أضع حداً مع تلك التهديدات التي كانت تتطاول بأن تصل لقتلكم، لهذا بقيت هنا ضاربة بكل ما قيل عني ولي عرض الحائط، وبذلك رأى الكل بأني تلك الجنية التي بقت هنا مواجهة قبيلتها تاركة زوجها وابنها الانسيان لينعما بحياتيهما بعيداً عن ضوضاء العالم السفلي هذا."

سألتها: "وهل بالفعل قاتلت لأجل البقاء؟"

قالت: "بعد ان تلقيت التهديد بقتلكم ان لم أبق هنا في عالمنا من قبل كبير قبيلتنا، قررت في تلك الثانية أن أبقى لأنني أم رغم كل شيء وأعلمته بذلك،

صفح عني وزوجني بآخر من قبيلتنا وإذا بالجميع ظن أني واجهت كبيرنا وانتصرت عليه ولذا أنا هنا لا أزال أحيا بينهم يهابون مني بدلاً من أكون عبرة لهم، كما أردت تماماً"

قلت بتعجب: "أين هو زوجك؟"

أجابت وهي تبعد وجهها عني: "قتلته أثناء نومه وجعلت الأمر كأنه حادثاً، لا رجلاً أحبه قلبي من بعد والدك إلا أنت، لن يكون هناك متسعاً لقلبي بأن يحمل قلب رَجُلٍ ثالث."

قلت لها: "الآن لا تستطيعين العودة إلينا، هل هذا صحيح؟"

قالت: "في الوقت الحالي يا يوسف لا أستطيع، لكن سوف التقي بكما قريباً وسوف نعيش سوياً، أبلغ والدك تحياتي وأرسل له سلامي. علي أن أنتقم من كبيرنا وأتخلص منه وبعد ذلك لن يكون هناك حدا يفصل بيننا."

بقيتُ في مكاني لا أستطيع أن أقول شيء، لم يستطع عقلي تقبّل هذا الكمّ الهائل من الأخبار دفعةً واحدة، أخذت نفساً عميقاً وقلت لها: "سوف نكون بانتظارك يا أمي."

ابتسمت لي ووضعت كفة يدها على خدي وقالت: "إلى لقاءٍ قريبٍ يا ابني العزيز..."

قاطعها صوت انفجار قريب استدارت لترى موقع الانفجار ومن ثُمّ عادت نظرها إلي وقالت سريعاً: "انتبه على نفسك، وعليك أن تعرف بأنك ابني وهذا يعني أن لك قوى لا يمتلكها الإنس في عالمك، وربما في يومٍ قريبٍ سوف أحتاج إليك لتُساندني فعليك أن تتدرب على قدراتك وتكتشفها... هيا الآن اذهب، عد إلى أبيك وانتظر اشارتي فهو سوف يُساعدك."

قلت لها سريعاً: "أي اشارة يا.... قال والده والدموع تملأ عيناه: "ماذا حدث بعد ذلك."

أجابه يوسف: "فجأةً وجدت نفسي أتسلق البئر خارجاً منه دون أي أثرٍ لذلك العالم الذي كنت فيه للتّو."

مسح الأب دموعه التي تسللت على وجنتيه ثُمّ قال: "لا تقلق يا بني هذه مجرد أفكار وأوهام تخيلية لا أساس لها، وعندما كنت في عمرك كانت تراودني مثل هذه التخيلات".

نظر يوسف لأبيه نظرة يكسوها الانكسار ثُمّ قال: "ولكني يا أبي؟ كنت أسمعك تهذي باسمها في كل ليلة.. شرار.. شرار".

(١٧)

«دعوة غريبة»

محمد الدبوس

dabbous.books

دعوةٌ غريبةٌ... شغلتْ لُبّي وتفكيري لأسابيع عدة، فقد وصلتني دعوة إلى منطقة نائية من عالم آثارٍ على ما يبدو. فقد صرّح بوجود تابوت غريب في إحدى المقابر التي تبعد مئات الكيلومترات عن مدينتنا، فأنا مولعٌ بالآثار والأحافير وكلّ أسرار الأقوام السابقة. بالمناسبة اسمي (رائد) وأدرس علم الآثار والمتاحف في إحدى الجامعات العريقة في المدينة، ويبدو أن أحد المهتمين بالآثار وجد معلوماتي التي وضعتها في جل مواقع الآثار الإلكترونية العربية منها والأجنبية. ترددتُ في تلبية الدعوة في بداية الأمر فأنا أجبن من (صافر)[١] كما يقولون، ولكنني قررتُ في النهاية أن أكون شجاعاً ولو لمرة واحدة في حياتي المخيفُ في الأمر أن الوقت المدوّن في البطاقة كان الثانية بعد منتصف الليل! ازدرت لعابي وركبت سيارتي المهترئة فنوافذها، معطلة، وجهاز تكييفها لا يعمل البتة عدا نقله للغبار والحرارة والرطوبة. كنت أسلي نفسي بالاستماع إلى أغان قديمة لا يعرفها سوى والدي (سليم)، فهذا ما ورثته منه على ما يبدو، وكما يقول دائماً «شنشنة أعرفها من أخزم». كانت إضاءة السيارة خافتة هي الأخرى، فلو قرر بعير أن يعبر الطريق الذي أسلكه لأصبحت أحفورة تحت أحافيره شديدة الصلابة. بعد مدة تناهز الساعة والنصف، وصلت إلى المكان وكانت المفاجأة الأولى في انتظاري؛ فقد كان الموقع يشير إلى مقبرةٍ مهجورة تتناثر فيها القبور بصورة عشوائية، كأنما دُفن أصحابها قسراً! طرقت باب المقبرة الحديدي بطرقاتٍ مترددةٍ وبصوت مرتجفٍ

قلت وأنا أصارعُ أنفاسي:

- «هل من أحدٍ هنا؟»

---

[١]- الصافر هو كل ما يصفر من الطير، ويدل على الجبن والخوف.

وجاء الصوتُ مدوياً، وما كان إلا صدى صوتي المبحوح. دفعتُ الباب بقدمي فقد كان مواربا تعمّد أحدهم تركه بهذه الطريقة.

قرأت (الفاتحة) ودعوت للموتى بالغفران بكلماتٍ مقتضبةٍ مهزوزة.

توجهت إلى شاهد قبرٍ مُنير كما ينير القمر دياجير السماء وكان ذلك النور منتشراً بصورة أفقية غريبة. قرأت شاهد القبر فهالني ما كتب عليه ورحت أضرب أخماساً لأسداس، وأصفق يداً بأخرى؛ فقد كُتب على شاهد القبر بخط كوفي واضح:

«انبش هذا القبر فصاحبه بانتظارك».

لا أعلم كيف بدأت بالبحث عن معوّل لأبدأ في نبش ذلك القبر. وجدتُ مِعوّلاً وُضع بطريقةٍ ملفتةٍ عند باب المقبرة وكأنما أعد لي من دعاني كل الطرق التي ستودي بحياتي إلى الهلاك. وكما في أفلام الكرتون)، نشب المعول في شيء صلب فبدأت الحفر بيدي حتَّى ظهر تابوتا نقش من الذهب والفضة ورُصِّعَ بالأحجار الكريمة كأنه صُنع بالأمس. فتحت التابوت بيد مرتجفة فصفعتني المفاجأة الثانية في وجهي بعدما رأيت جثة لشاب وسيم لا يبعد أن يكون أحد أمراء الأقوام السابقة، لكن الغريب في الأمر هو أن الجثة كانت طرية وكأن ذلك الشاب كان نائماً ليس إلا، وهذا ما يتعارض مع تاريخ الوفاة الذي دون على شاهد القبر:

«يوليو، ١٧٣٨ ميلادية.» حاولت إيقاظه لعله يستيقظ ولكنه كان جامداً. والأكثر غرابة أن لون الجثة كان صافياً كالعسل، ونقيّاً كالنهر، احترت في الذي سأفعله بعد ذلك، ولكنني قررت أن أحمل التابوت إلى مؤخرة سيارتي بغية أن أكشف سر تلك الجثة الغريبة. حاولت طوي المقاعد الخلفية حتَّى يتسنّى لي وضع التابوت بطريقة تليق بصاحبه وليتني لم أفعل، فما إن

تحركت بتلك الجثة خفيفة الوزن حتَّى سمعت أنيناً يشيب له الولدان، أوقفت السيارة جانباً ورحت أتفحص الجثة ولكن لا شيء، أكملت طريقي إلى المنزل لأدفن الجثة في الفناء الخلفي كي أتفحصها لاحقاً وأنا أخشى أن أوقظ أحداً لاسيما والدي والذي كان سيدفنني بجانب جثة الأمير بلا شك. انتهيت من مراسم الدفن وتوجهت لغرفتي لأتخلص من الخوف والارتباك عن طريق حمامٍ دافئ يُرجع الحياة لخلايا دماغي الرمادية. استلقيت كالموتى على سريري وأغمضت عيني لدقائق معدودة حتَّى أيقظتني وأهلي صرخة كادت تصعد إلى أقصى عنان السماء، لم أبرح سريري البتة وحاولت أن أخفي صوت أنفاسي تحت لحافي البالي وكأنني لا أعلم ما يحدث!

في الصباح التالي كان الجميع فزعاً من تلك الصرخة المدوية حتَّى تعجب الجميع من استغراقي في النوم من دون أن يرف لي جفن، فتعذرت باستيقاظي لوقت متأخر الأستكمل. صرحت بذلك وأنا أجبر نفسي على تناول طعام الفطور. فالامتناع عن أكل الطعام سيضعني في موضع ريبة بلا شك فأنا أكثر من يأكل في ذلك المنزل كخرتيت بري أو هو أكثر من ذلك!

بعد تلك الليلة المشؤومة، ما فتئت تلك الأمور الغريبة في التوالي حادثة بعد أخرى، أصوات مخيفة، أثاث يتحرك من دون أن يلمسه أحد. انقطاع التيار الكهربائي فجأة عن منزلنا فقط! قررت أن أخبر صديقي وجاري (كريم) عما حدث، فجحظت عيناه وكان متحمساً لرؤية ذلك التابوت الملعون، فنال مراده في تلك الليلة بعدما تأكدت بأن الجميع يغط في سبات عميق. قال وهو يقلب الجثّة:

- كيف لجثّة قد ماتت قبل مئات السنين أن تحافظ على شكلها وبريقها وكأنّها دُفنت الآن؟ اسمع يا (رائد)، يجب عليك أن تعيد هذا التابوت إلى لحده قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه!

وافقته في الحال، ورافقني للمقبرة لنعيد دفن تلك الجثة الملعونة.

حاولت إيجاد ذلك القبر مرة أخرى، ولكن الظلام كان يسدل أستاره كخيمة غطت المقبرة بأكملها، فاقترح كريم أن ندفن الجثة في مكان آخر ونرجع قبل أن تمج الشمس ريقها. عملنا على ذلك وقد كادت قلوبنا أن تخرج من أقفاصها الصدرية، أتممنا المهمة بسرعة ثُمّ رجعنا أدراجنا إلى منزلي. كان الوجوم والسكون يحيطان بنا طوال الليل ونحن نفكر في أمر تلك الجثة الغريبة، وبينما نحن كذلك إذ ظهر ظل يتراقص في زاوية الغرفة، وما إن اقترب (كريم) بتردد منه حتَّى اختفى كسراب بقعة يحسبها الظمآن ماء!

في الليلة التالية، وصلت لعنات تلك الجثة إلى منزل صديقي (كريم)، على ما يبدو فقد نشب حريق في إحدى الغرف في الطابق العلوي، ولحسن الحظ سيطر رجال الإطفاء على الحريق بكل سهولة.

- لقد ورطتني بتلك الجثة يا (رائد)، اللعنة... لقد احترق منزلي فماذا عساها أن تفعل الآن؟ أخشى أن تقتلنا جميعاً!

حاولت أن أهدّئ من روعه لكنني كنت أكثر خوفاً منه. هدأت الأمور أخيراً لفترة قصيرة، حتَّى احترق منزلنا هو الآخر وقتل كل من فيه عداي؛ لأنني كنت مع أصدقائي في الخارج. عشت أصعب لحظات حياتي فقد فقدت والدي وإخوتي في وقت واحد، وكنت أنا السبب في ذلك. يا لي من غبي، قررت أن أبيع ذلك المنزل المشؤوم بثمن بخس وأنتقل للعيش في قرية مجاورة، ولكن ذلك اللعين لم يدعني في شأني، فبعد أن سكنت إحدى الغرف

المهترئة في القرية قرر أن يقتل جميع قاطنيها بتسميم البئر التي تستقي منه أهالي تلك القرية المنكوبة فكرت في الانتحار، ولكن أأستبدل عذاب الدنيا بعذاب الآخرة؟ كلا. حكّمت عقلي ووكّلت أمري إلى الله..

عمّ الهدوء حياتي أخيراً، حتَّى عكّر صفوها دعوة أخرى إلى نفس المكان ضربت رأسي بجدار الغرفة المتهالك حتَّى شُجّ رأسي وسالت الدماء كمياه الميزاب. بعدها صرت أسمع أصوات حيوانات مرعبة؛ كالأسود والضباع رغم أن تلك الحيوانات لا تعيش في ذلك المكان البتة قررت التخلص من ذلك الكابوس وتوجهت كالأبله إلى المقبرة مرة أخرى. كان الباب موارباً، وصوت صرصار الليل يدوي في المكان مما أضاف له كينونة من الرعب، فضلا عن الظلال التي تتخلل القبور بسرعة البرق. قرأت جميع آيات القرآن الكريم التي أعرفها بصوت مرتفع، وبينما كنت أتجول في ذلك المكان المخيف رأيت ضوءاً يسطع من أحد القبور كما في المرة الأولى كان أكثر خفوتاً من سالفه وقفت على ذلك القبر أتأمله... فوجدته مفتوحاً، وما تسبب في جمود الدماء في عروقي هو الاسم الذي دون على شاهد القبر. «رائد بن سليم» وكان تاريخ الوفاة يشير إلى تاريخ اليوم. «١ يونيو، ١٩٩٧ ميلادي». حاولت الهروب من ذلك المكان ولكنّ فأساً كان أسرع في مباغتتي وضربي على أمّ رأسي حتَّى أغمي عليّ ولم أفق إلا وأحدهم كان قد بدأ في دفني وتكفيني كانت الرؤية مشوشة بعض الشيء بادئ الأمر، ولكنني فوجئت بظل ذلك الرجل الذي أعرفه جيداً ظننته ذلك الأمير الوغد ولكنني فوجئت بصديقي كريم وقد بدأ بمراسم دفني بابتسامة صفراء علت محياه، فمن مأمنه يؤتي الحذر. حاولت الاستفسار عما يقوم به فاكتفى بالسكوت حتَّى بدأ بهيل التراب على وجهي وجسدي. ولحسن حظي وصل رجال المباحث في الوقت المناسب بعد أن توصلوا إلى المجرم الحقيقي الذي قتل أهلي كافة. نعم (كريم) قال ببرود للمحقق:

- كنتُ أكره ذلك الأبله المسمى (رائد) أظهرت الود له الأصل إلى مبتغاي، وأستطيع الانتقام منه بعدما قتل والدي بغبائه. فقد كان يتدرب على القيادة أمام منزله، وكان والدي المسكين يحمل الحقائب استعداداً للإجازة الصيفية كعادته، ولم يكن منه إلا أن اصطدم بوالدي بعد توهمه بأنه كان يضغط على المكابح. توفي والدي في الحال، وحانت الفرصة بعدما أخبرني بموضوع جثة كان قد وجدها في إحدى المقابر، ولكن... ولكن يا سيدي لم أكن أنا من أرسل الدعوة الأولى اقسم لك، بل فعلتُ في الثانية!

- وماذا عن الحوادث الخارقة التي حدثت في تلك الآونة؟ قال المحقق بحزم!

- لقد كنتُ المسؤول عن الحريقين في المنزلين يا سيدي. فقد افتعلتُ حريقًا بسيطاً في منزلي لأبعد الشبهات عني، كما أعترف بإضافة السم لبئر القرية حتَّى يتوهم (رائد) بملاحقة تلك الجثة له أينما حل. ولكن يا سيدي اقسم بأن الظلال والأصوات كانت من فعل الجثة على ما يبدو. وأقسم لك أيضاً بأنني لم أبدأ بذلك ولم تكن لدي خطة لقتلهم بهذه الطريقة، يبدو أن في الأمر قوى خارقة صيرت حياة (رائد) إلى الهلاك.

لم يصدّق المحقق حرفاً مما قاله (كريم) حول القوى الخارقة، فوجه له التهم كافة، وصدر حكم المحكمة العليا بإعدامه شنقاً حتَّى الموت. «فيداه أوكتا وفوهُ نفخ» أما أنا، فقد عشتُ حياةً هادئة بعد مقتل الوغد (كريم) حتَّى... حتَّى... جاءتني دعوةٌ جديدةٌ إلى تلك المقبرة الملعونة!

(١٨)
«لعنة أندروميدا»
زهراء عيسى

بدأت قصتي في ذلك اليوم الحار من أيام العطلة الصيفية بعدما عدت من المكتبة أنا وابن خالتي جيرمي حاملة كتاباً بغلاف بنفسجي يحمل اسم «أندروميدا»، قد كتب بخط عريض وسط الكتاب اسم لا أعرف تماما ما دلالته ولكن القاعدة تقول أنّ الأشياء العادية مملّة، أما الغريبة فهي التي تدعو للاستكشاف والبحث.

ذهبنا لمتجر المشروبات القريب من المكتبة، كانت تلك من عاداتنا الأسبوعية بعد تلك الزيارة المليئة بالعوالم الغريبة بين الكتب. سارة وكالفن هما من يقومان بإدارة المتجر حالياً، وما يثير دهشتي أنهما ما زالا في مقتبل عمرهما، ففي العشرين لا يذهب جميعا الأبناء للعمل في إجازاتهم بينما يسافر والديهما خارج البلاد.

- أهلاً أهلاً كلاوديا ... أوه ياللروعة! لديك كتاب جديد.

- أهلاً بالمديرة سارة.. نعم لقد استعرته قبل قليل وأنا متحمسة كثيراً لقراءته، جذبني عنوانه الغريب. كما أنني قرأت بضع صفحات شيقة عند تصفحه...ولا أخفيك سراً أن لونه البنفسجي المنعش يجذب كثيراً.

- أتحكمين على الكتاب من غلافه؟ كم أنتِ سخيفة!

- بالطبع لا، فأنا قارئة من الطراز الأول، اقرأ أي كتاب تقع عيني عليه، وكان هذا الكتاب مميزا بين بقية الكتب، لا أعلم بالضبط ما الذي يتحدث عنه ولكنني متحمسةٌ كثيراً.

قاطعنا سليم قائلا: هيا كلاوديا لقد تأخرنا.

قالت سارة بلطف: على العموم، أتمنى لكِ قراءة ممتعة يا عزيزتي.

ومدّت لي قطعة من الكعك الشهي الذي يقدمه المتجر خصيصاً لزبائنه الدائمين مثلي.

قال جيرمي بوجه احمر من الغضب: ما هذه التفرقة؟ لم لا تعطينني كعكة أنا أيضاً؟

ضحك كالفن وانضم لأخته قائلاً: سأعطيك كعكة ولكن بشرط.... عليك أن تدفع.

- جيرمي: يا إلهي كم أنت مزعج.. لا أريد الكعك من يدك بعد اليوم..

ضحكنا جميعاً واتجهنا أنا وجيرمي عائدين إلى المنزل..

وصلنا لمنزل خالتي الكئيب لولا المكتبة التي بداخله، تلك المكتبة التي حببتني بالمكان كله. لست متأكدة من مشاعري حول منزلي الأصلي الذي لم أعش فيه إلا بضع سنوات، فمنذ أن توفي والداي لم تجد خالتي سوى أن ترعى طفلة يتيمة مثلي. أما عن المكتبة فقد كبرت معي فطفولتنا امتلأت بقصص الأطفال والموسوعات الشيقة، ثُمّ تغير شكل الكتب فأصبحت أكثر ضخامة وأوراقاً، لقد أشرفت على تنظيمها مع خالتي، وحصلنا على بعض من المساعدة من جيرمي.

أما الآن.. فكتاب آخر ينضم للمكتبة «أندروميدا» وبجانبه مجموعة أخرى من الكتب الجديدة التي لم أتم قراءتها بعد.

هبّت رياح غريبة من خارج النافذة استطاعت حمل الأوراق معها وبعثرتها من على الطاولة، حاولت أخذ الكتاب بين يدي مرة فهدأت الرياح، وما إن أعدته إلى الرف حتّى هب الهواء بشكل أقوى، أما هذه المرة فلم أجد الكتب الباقية على الأرفف ولا حتّى على الأرض أما أندروميدا.. فهو الكتاب

الوحيد الذي بين يدي وما سواه قد اختفى، لا أثر لملامح كتب أخرى في هذه المكتبة الواسعة.

دخل جيرمي مرتعباً بفعل عاصفة الهواء القوي الذي أسقط التحف والكتب في المكتبة، شعرت بالخوف، خوف سلبني قوة التنفس بهدوء، وكأنني أحاول جاهدة استنشاق الهواء الذي كان يحيطني من كل اتجاه، ولكن جيرمي حاول تهدئتي.

بينما كنت أحاول استيعاب ما حصل للتو لمحت قطّاً بنفسجياً في الخارج، لم يكن يشبه أي شيء آخر، لونه، شعره الطويل، عيناه الصغيرتان، ومواء يشبه زئير أسد صغير تجمدت مكاني للحظة وإذ به يفر هارباً إلى خلف الشجر.

«لا تخافا، لن أؤذيكما.. لقد لعنني هذا الكتاب مرارا، ولا أريد لكم دخول هذا العالم المظلم»

جاء صدى ذلك الصوت من أعلى السقف، ثُمّ امرأة ماثلة أمامي يصعب وصف مظهرها بالتحديد، ولكن ما يمكنني قوله بالتأكيد أن ملامحها هي ذاتها ملامح تلك المرأة المرسومة على غلاف الكتاب.

«بعد قراءة هذا الكتاب بقيت حبيسة في السجن، سجن أندروميدا.

حتَّى أتيت يا كلاوديا.. إعجابك بالكتاب أيقظ شيئاً ما في هذه اللعنة... ولكني أحذرك بأن توقفي ما يحصل.. أنت التي فتحته وتصفحته وأنت من سيغلق هذا الملف أيضاً وإلا لن يبقى أحد حي في هذا البيت.»

عليكما أولاً إيجاد ذلك القط، ثُمّ سحبه إلى داخل هذه العصا، ستجدونه عند النهر قبل غروب الشمس في يومٍ تمرض فيه خالتك».

سأل جيرمي بارتياب: «وماذا لو لم نستطع إيجاده؟»

- ستجدونه حتماً ولكن الإمساك به يستدعي جهداً كبيراً.

أنهت كلامها واختفت تاركة عصاها التي تتكئ عليها، ثم، ثم... ثُمّ لا أتذكر ما الذي حدث. استيقظت من النوم والعرق يتصبب من جبيني، أكان ما حدث مجرد حلم؟ أتمنى ذلك.

خرجت من غرفتي وأسرعت للمكتبة لأرى جيرمي هناك أيضاً.

قال جيرمي بوجه شاحب وصوت مرتعش: لم يكن حلماً!

اقتربت من جيرمي وانهمرت دموعي كنت خائفة جدّاً كوني أنا السبب.

قال جيرمي بكل رفق: لا عليكِ بالطبع لن تخوضي ذلك وحيدة دون أي مساعدة مني. في البداية يجب علينا ترتيب المكتبة قبل عودة أمي، ثُمّ سنذهب لسارة وكالفن وهما بالطبع لن يرفضا المساعدة ولا تنسي بأن سارة محبة للمغامرات ومحبة أيضاً للحيوانات بالتأكيد لديها خبرة من تلك الروايات التي تقرأها.

تنفست الصعداء ثُمّ أمسكت بالعصا السحرية ووجهت كلامي لها: فلتعود الكتب إلى مكانها يا قوى السحر المدفونة.

وفي مشهد سحري لا يصدق ارتفعت الكتب وحلقت هواءً، واتخذت أماكنها كما كانت قبل سقوطها.

إنها تعمل!

في أول يوم بعد ظهور الساحرة بكيت كثيرا لكوني مرعوبة مما حدث ولما قد سيحدث مستقبلاً.

حاولت الاسترخاء فبقيت طوال اليوم في غرفتي متحججة بأنني متعبة، وطلبت من خالتي وجيرمي أن يتركوني وحيدة. أفكر وأفكر ماذا سأفعل في الأيام القادمة. كانت الأفكار كثيرة جدّاً لدرجة أنها مزعجة ومؤلمة

ألقيت نظرة تلقائية للمرآة، فرأيت وجهاً جديداً وجهاً مكتئباً شاحباً ومنتفخاً بسبب البكاء.

في اليوم الثاني من رؤية الساحرة بدا لي أنني اعتدت على الموضوع وصفيت ذهني من الأفكار السوداوية بإلقاء بعض الجمل التوكيدية على نفسي أمام المرآة وتكريرها، أما بعد الظهر في نفس اليوم ذهبت أنا وجيرمي لمتجر سارة وكالفن لنخبرهما بما حدث تلك الليلة.

كنت أعتقد أنه من الصعب إقناعهما بما حدث ولكنهما كانا

متفهمين. كنت سعيدة جدّاً عندما صدقاني وسعدت أكثر عندما قالت سارة بأنها ستقدم المساعدة.

ولكن في طريق عودتنا للمنزل لاحظت شيئا غريباً، الورود القريبة من منزلنا كانت ذابلة! لم يحدث هذا من قبل، لم يخطر ببالي أي سبب آخر غير تلك اللعنة.

في الصباح الذي يليه تناولت وجبة الإفطار وحملت العصا السحرية واتجهت أنا وجيرمي لسارة وكالفن.

ونحن متجهون للتوأمين وجدت الورود جميعها ذبلت، وأحسست بأن المكان أصبح مظلماً وكئيباً، هل من الممكن أنه أصبح مظلماً. بسبب تلك الغيوم الكثيفة السوداء؟ غيوم في فصل الصيف؟ بالطبع إنه من صنع لعنة أندروميدا!

ليست الورود الذابلة والغيوم السوداء هما الظاهرتان الوحيدتان، فهنالك حشرات في كل مكان، حشرات كبيرة ومخيفة وقد اتبعتني إحداها منذ أول الطريق. كانت مزعجة ومخيفة بحق.

بدأت بالتدرب بمساعدة سارة حيث كانت تضع لي قطعاً. صغيرة من الورق وأسحبها لداخل العصا فتختفي وفي كل مرة كنت أحاول سحب شيء أكبر من الذي قبله.

سأكذب عليكم إن لم أقل أنه كان ممتعا ومضحكا أيضاً.

أظن أنني الآن مستعدة لمواجهة ذلك القط اللعين!

اليوم الموعود يا إلهي ساعدني اليوم هو اليوم الموعود! يجب علي أن أتخلص من اللعنة اليوم وإلا سيحل الدمار..

بالطبع كان يوماً مشحونا بالتوتر والخوف بالإضافة إلى بعض الدموع.

واثقة بأنني سأنجح أتمنى أن ينتهي اليوم بأسرع وقت ولكنه كان يمشي ببطء قاتل حتَّى ظهرت تلك الساحرة فجأة في غرفتي فصرخت من الرعب الذي سببته لي لكم أن تتخيلوا ساحرة تظهر في غرفة نومكم دون سابق إنذار.

ضحكت الساحرة وقالت: لا تخافي. إنها أنا فقط. أجبتها بوجه احمرٌ من الغضب: لقد أفزعتني وكاد قلبي أن يتوقف لو كانت خالتي هنا لفُضحنا.

ـ من الواضح أنك متوترة، أليس كذلك؟

ـ للأسف نعم. أريد أن ينتهي اليوم بسرعة لا أستطيع التحمل!

- لدي حل، سأقوم بتقديم الوقت ولكنك ستمتلكين ساعة ونصف فقط وإلا سيحل الدمار كما تعرفين حماية من في البيت على عاتقك يا فتاة.

أنهت كلامها واختفت كما فعلت ذلك اليوم.

لدي ساعة ونصف فقط، يجب علي الإسراع.

اتجهت للمكتبة لأخذ الكتاب ثُمّ راودتني بعض التساؤلات عند قراءة اسمه، كيف تستطيع هذه الكلمة أن تحمل كماً هائلاً من الرعب؟ بدأت أجرب أبواب البيت واحداً تلو الآخر.. لم يناسب المفتاح أياً منها.. ما عدا تلك الغرفة الصغيرة في المكتبة.. المخزن الضيق الذي يحوي كتب خالتي السرية.

تصفحت الكتاب مرة أخرى لأنصدم بأن الصفحات خلت من الكلمات والجمل، ولون الصفحة يتغير شيئا فشيئاً للون الأسود. تنفست بعمق لكي لا أتوتر فعلي التركيز، هل أستطيع النجاح؟ لا أعلم.

لم أفهم بالضبط ما يحدث، أو ما علاقة كل تلك الكلمات ببعضها.. ولكني سأذهب إلى النهر فوراً.. إذا مرضت خالتي في ذلك اليوم فإن كل شيء سينتهي.

الجو في الخارج كان مظلماً وكئيباً، أحسست بأن ثقل العالم جميعه على صدري.

الجميع كان في منزله إلا تلك المجموعة من الصبية التي أعاقت طريقي أنا وجيرمي. عندما بدأ واحد منهم برمي الحجارة علي لماذا يفعل ذلك؟ لا أعتقد أن هنالك سبب.

تمنيت أن ما يعيق طريقنا كان فقط أولئك الصبية بل زاد الوضع عندما بدأت مخلوقات غريبة ومخيفة بالظهور.. وبالكاد تمكنا الفرار منها.

بالفعل عندما وصلت للنهر رأيت ذلك القط اللعين وكأن الشر متجسد فيه. كنت متوترة قليلاً ولكن على الأقل لست وحيدة، فمعي أفضل صديق لي حتَّى أن سارة وكالفن انضما إلينا، أشعر بالراحة وهم معي لهذا أنا الآن قوية وأستطيع مواجهة القط والتخلص من اللعنة.

وضعت الكتاب أرضًا، تنفست بعمق ثُمّ وجهت عصا الساحرة للقط. لم أتوقع أن يحصل شيء كهذا بمجرد مد العصا إليه..

وكأن الأمر بهذه السخافة.. ولكن ظهر منها نور قوي مشع فأحسست بأنني سأعمى للحظة. العالم جميعه يدور من حولي الكائنات الغريبة التي ظهرت من اللعنة أراها تنسحب للعصا الغيوم الكئيبة بدأت بالاختفاء وظهرت شمس الصيف المشرقة. بقي ذلك القط فقط، إنه ينسحب شيئًا فشيئًا.

لقد نجحت! سحبت القط للعصا وعندما انتهيت أحسست بالدوار ومغص في المعدة.

سارعت برمي الكتاب في النهر، لا يجب أن يكون شيء كهذا بين يدي من الآن فصاعداً.

تحول الكتاب الرماد، ليت الكتاب فقط، بل حتَّى أصدقائي والأشجار وكل شيء من حولي!

بعد رؤيتي لذلك المنظر أغشي عليّ.

فتحت عينيي جيرمي.. لأجد نفسي في المستشفى برفقة خالتي وابنها. علمت بعدها أنني هنا منذ أسبوع ونصف تقريباً، والغريب أن خالتي كانت بصحة جيدة..

عند عودتي للمنزل كان أول ما فعلته هو الذهاب للمكتبة هناك. أمسكت هاتفي لأستعين بإضاءته، تفقدت الكتب الموجودة فرأيت الكتاب الذي أنا هنا من أجله، كتاب أندروميدا، كنت أعرف أن رميه في النهر لن يساعدني في التخلص منه..

وبجانب ذلك الكتاب الملعون، وجدت كتاباً مفتوحاً فوقعت عيناي على اسمي سارة وكالفن.. من أين جاء هذا الآخر الآن؟

تنفست بعمق محاولة البقاء ثابتة، ولكنني لم أفقد ثباتي فقط، بل فقدت صوابي عندما هبت الرياح مرة أخرى من النافذة ثُمّ أسقطت كل الكتب التي كانت في المكتبة.. حتَّى كتاب أندروميدا.

(١٩)
عمليّة الإحياء

نور جلال
x.71_noor

كانَ يوماً غائمًا. البحرُ فائض النملُ لا يمشي إلى الحلوى، ومثل الأمس.. لم تعد إليها الذاكرة.

تمد لها الحفيدة حبل ذكرى لا تطالهُ.

صور على الحائط تُنادي باسمها مِنَ الماضي. لا تستجيب هي لا تعرف اسمها. هي لا تعرفُ من تكون.

العامُ أصبحَ سبعةَ أعوام. سبعةُ أعوام والجِدّةُ تعودُ وتذهب إلى حيث تقودها الذاكرة سبعة سنوات حالة زهايمر أقصتها من وجود الحاضر.

سبعة أعوام لم تَكُن فيها الحبيسة الوحيدة، كان لحفيدتها نصيبٌ من تلك اللعنة العصبية أيضاً.

اليوم هُو الخميس. اليوم المُنتَظَر هُوَ يوم المبيت في منزل الجدة. تُوَضّب سيرين حقيبتها. تملؤها بكل شيءٍ عدا الملابس.

تُخبّئُ بين ثنايا الفضاء الصغير المُتبقّي عُلبا من مسحوق الكعك المحلى الجاهز. ثُمّ يأخذها أبيها - عائلتها الوحيدة بعد الانفصال- إلى منزل والدته. يقضي معهما مساء كاملا في احتساء الشاي ومحاولة التواصل مع الكائن الذي لا يُجيد التواصل. تعتريه كلّ ألوان البؤس واليأس. يستذكر والدته القديمة، قبل عشرين عاما. تلك المرأة القويّة، التي رَبَّتَهُ وإخوته وحدها ولم يساعدها أحد في رعايتهم يستذكر الصلابة التي كانت عليها، الثبات الذي كانت عليه، ثُمّ ينظُرُ إلى كُلِّ هذه العشوائية.

ينظُرُ للضعف غير القابل للتفسير، والهوان البادي على مقلتيها. ينظُرُ لِكُلِّ العجز المنبثق من السيِّدةِ العجوز، فيُصيبه شيءٌ من الانكسار المُفرط.

يستعصي عليه لحظتها حمل كوب الشاي. يتركه سريعا، تماما كما يفعل في كُلِّ مرة، ثُمّ يودعهما ابنته والعجوز - ويفر بعيدا باختلاجاته الداخلية.

عندما غادر الأب، بَدأ دورُ الحفيدة. سيرين طفلة في الثالثة عشرة من العمر. شهدت خلال حياتها القصيرة من التحوّلات ما سَلَبٌ منها كمّاً وافِرًا من الاستقرار عاشت في بيئة تخلو من الحُبِّ والدفء. كَبُرَت في سنين من الصراعات التي لا تنتهي، لكنها انتهت ويا للأسف لم تكن نهايات صحّية مقترنة بالشفاء. كانت بدايات لاستحضار الظلّ الظلّ الكبير الذي سيبتلعها لا محالة في آخر المطاف.

الدفء الوحيد الذي قاومت به بعضًا من أيام الماضي قد بقي في الماضي. حَلَّ مَحَلَّهُ برد قارس اطاحت به عاصفة الزهايمر. عندما كانت في بدايات الطفولة، في السادسة مِنَ العُمر تقريباً، كانت الجدة ملجأً للهروب من قمع الأسرة المُشَتَّتَة. بالرغم من العلامات الابتدائية الواضحة مذاك للمشاكل العصبية، إلا أنها كانت تتمتع بالوعي والإدراك. كانت بمثابة المظلّة الحامية من شرور الزمان. تسمح لها بأن تكون الطفلة، والحفيدة، وكُلَّ ما لا تستطيع أن تكُنه رغمَ أَنَّها تَكُنه.

كانت هيَ المصدر الوحيد للحب، المصدر الوحيد للمشاعر. واحدة من أهم العادات التي تقومُ بها الجدّة مع حفيدتها في أيام مضت هي عادة صنع الفطائر المُحلاة كُلّ خميس تماما في مثلِ هذا اليوم.

على أنغام موسيقى الراديو، في مطبخ الجدة الصغير، والقمر واضح من النافذة المُطِلّة على حديقة المنزل، تُحَضّر الجدة عجينة الفطائر، تعطي سيرين قطعة صغيرة للعب، يتبادلون الأحاديث، يضحكون على قط شارع يمُرُّ بمحاذاة النافذة، يرقصون أحيانًا على أغاني الراديو غير المعروفة، ثُمّ يُقَلبون الفطائر على المقلاة. في مرة أثناء صنع الفطائر الشهيرة، وبينما

كانت الجدة تُنظِّفُ بقعة العجن الفوضوية، حاولت سيرين تقليب الفطائر على المقلاة عدا أن الملعقة الكبيرة قد وقعت في الداخل، فما كان منها سوى أن تحاول سحبها قبل أن تكتشفها الجدة، فإذا بالمقلاة تسقط على قدمها ويتبعثر الزيت الحارق على جلدها.

أعوام في بضع ثوانٍ. أعوام من الألم الكاوي. هرعت الجدة بلا أي حاسة تعمل ما كان يعمل لحظتها سوى الهلع والخوف. حملتها بين يديها من غير تفكير، ثُمّ أنزلتها ثانية. لم تكن تعرف ما التصرف المناسب وسط بكاء سيرين ونحيبها. اتصلت بابنها وأخذوها للمشفى على الفور. شعورٌ مثل ذاك لم يَكُن لِيُنسى أبدًا.. لكنَّهُ نُسِي. لم تتقبل سيرين ذلك. لم تتقبل أنَّ كُلَّ ذلك الهلع والخوف والرجفة الفائضة أضحَتْ فانية، مُتشَرِّدة لا مكان لها بين ثنايا الذاكرة. كانت تلومُ نفسها. تعتقد أنَّها لم تَكُن كافية للتذكر. أنَّها لم تكُن كافية للمحبة. كانت دائمًا الطفلة غير الكافية عند والديها، لكنها اعتقدت كونها كافية بالنسبة للجدّة، عدا أنَّ هذا النسيان التمع كالنجم دليلًا واضحًا على عدمها. في ظل كُلَّ ذلك رسمت سيرين خطة واضحة لإعادة اللحظة في سبيل التذكّر. لا تريد فقدان العنصر الدافئ الوحيد في حياتها. لا تريد البقاء في فضاء الوحدة القارس هذا. فاتَّخَذَت هذه العمليّة منهجًا أسبوعيًا لاستعادة الجدة القديمة. أسمتها «عملية الإحياء».

أَنهَتْ خطوات العملية لهذا الأسبوع. لم تكن سهلة، لها أثر واضح حاولت بكامل جهدها إخفاؤه.

بنطال وقميص طويل الكمين. لاحظ الأب في الآونة الأخيرة ارتداء ابنته هذا الصنف من الملابس فقط، رغم حبها الشديد للأثواب لم يُعر ذلك اهتمامًا في البداية، لكنَّما ملاحظاته العابرة لأمور غير واضحة تحاول هي إخفاؤها

كان يبعث في نفسه شيئًا مِنَ الشَكِّ والحيرة. أخذه إحساسة هذا إلى التدقيق في المراقبة لمعرفة المجهول.

بخلاف أثر الحَرِّق القديم المُرتكز على قدميها، لاحظ الأب في أحد المرات بقعة داكنة على ظاهر رجلها، لم يستطع النظر طويلاً إذ طَوَتُها وغَطَّتها كما يجب. يُلاحظ عليها آثار التعب والإرهاق، وأحيانًا يسمعُ تأوهات وبكاء متقَطَّع. بعد أيام وأسابيع مِنَ المُراقبة. صار يستعصي عليه السماح لابنته بالمبيت لدى والدته. أصبَحَ مُدرِكًا لآثار الحروق المتفرقة التي تنتشر باتِّساع وتزيد في كُلِّ زيارة للجدة. صار يخافُ على ابنته من أمه. امرأة عجوز مصابة بالخرف لا تعرفُ من وأين تكون. لا تعرفُ شيئًا في هذه الحياة، ورُبَّما لا تتذكَّرُ شيئًا سوى الشَّرِّ. تُعَذِّبُ ابنتَهُ وتسلخ جلدها ثُمّ تُهَدِّدها بعدم الإفصاح تفعل ما كان يفعلهُ بِها زوجها في سنين زواجها الأولى. تلك العذابات التي تحتها لتصير تمثالاً ورمزاً للقوّة. لا أثَرَ للقوّة ها هنا اليوم، هُدِمَ التمثال، لكنَّما الانتقام استفاق وسط جميع المشاعر التي قررت السبات الأبدي. تنتقم من ماض أليم على جلد طفلة بريئة.

سأل الأب ممرضة والدته يوما ما عمّا تقومان به الابنة والحفيدة إذا ما كان غائبا. تُجيب دائما بأنها لا تعلم. هي لا تعلم فعلا. لطالما لم تكن تعلم، إذ لم تقم بعملها يوما كما يجب. تتوسد غرفتها الضيقة طيلة اليوم، تستغرق وقتها في اتصالات دولية تاركةً من خلفها كائنا يتطلَّب عنايةً فائقة.

يقول الأب في نفسه مع تَرَدُّدٍ وقليل من الأسى: «يجبُ أخذها لمشفى الأمراض العقلية، إنَّها خطر على حياة الجميع».

في يوم معتاد من أيام نهاية الأسبوع وبعدما قَضَتْ سيرين الليلة الماضية مع جدّتها، كانَ الأبُ في انتظارها خارجاً.

كانت هذه النقطة الأخيرة للصبر، فلقد استنفدت جميع النقاط.

صَرَخَ فيها بصوت عال حينما أبصَرَها تُحاول إنزال ثوبها قدر الإمكان: «لا زيارة لجدتك ثانية. فهمت!! هل تُهَدِّدَكِ؟ ما الذي تقولهُ لكِ حتَّى تلتزمين الصمت؟؟»

نَظَرَتْ الابنة لوجهه في ذهول، التزمت صمت الصدمة.

صرخ بها مرة أخرى رافِعًا ثوبها: «قلتُ لك أجيبيني!! ما هذا؟؟؟ من فعل بكِ ذلك!! هي أليس كذلك؟ هي من تكوي جلدك كُلَّ أسبوع؟ لما لا تقولين شيئًا؟؟»

اكتفت سيرين بالتحديق في وجه أبيها بصدمة بالغة ولم تحاول النُّطق بحرف واحد.

ثار والدها غاضبا نتيجة الصمت الذي بادلته فيه. كان بمثابة موافقة على صحة كلامه. نَزَلَ مِنَ السيارةِ ودَخَلَ مستشيطا إلى منزل الجدة راكلا الباب بقوة حتَّى كاد أن يخلعه. على كنبة وسط صالة المنزل تجلس الجدة. كانت تُحَدِّقُ في زاوية عليا من السقف في هدوء تامّ، حتَّى زعزع هدوءها ضجيج ابنها الثائر. دخل المنزل كأنَّهُ وحشٌ مُهتَد والشرار يتطاير من حوله كعاصفة ترعد وتبرق. كان شيئًا ما متغلغلا في أعماقه قد تحرر فجأة. وكأنَّما هي لحظة ينتظرها منذ زمن الانتقام نفسه الذي اتهم فيه والدته مزروع في باطنه هو: كذلك.

الطفل فيه ليس راضيًا عمّا أصبحت عليه حال امه. في حين أنه رآها وهي تتعرّض للتعذيب مِن قِبَل أبيه، ثُمّ شَهَد مرحلة نموّ القوة والتحرر من القيد المفروض عليها. طفله الداخلي لم يقبل تشوية ذلك التحول مرّةً أخرى. لا مجال للعودة إلى الصفر عنده. جميعهم محبوسون في الماضي. عائلة تحتاج العلاج. هذا ما كانوا عليه. توجّه الأبُ مُسرِعًا ناحية أُمِّه. ينظر نحوها بنظرات حقيرة. أمسكها فجأةً من طرف ثوبها العلويّ. بَداً بالشتم والسباب بينما الجدة في حالة من الهيستيريا. أفنَتْ نَفسها بالبكاء والأنين بين يدَيه.

كانَ فاقداً لصوابه يرتجي الضَربَ رافعا ذراعَهُ عاليًا، أَنزَلَها فور دخول ابنتَهُ مُنتَحِبة. لم تتوقّف سيرين عن البكاء والعويل، وكَذا جدتها في الجهة الأخرى؛ بينما الأب واقف بينَهُما وقد عاد لوعيه فاغراً فاه.

ما زال ينوي الانتقام، لكنَّما عادَ لِرُشده صفع والدته وضربها! ظَلَّ واقفًا مُشمئزا من الموقف الذي هو فيه، مشمئز من نفسه، من والدته، من ابنته من المنزل الذي يحتويهم مشمئز من جميع ما حوله جَلَسَ على الأرض بعد استقامة طويلة. استقرّ يواجه دوّامة أفكاره الداخلية في صمت.

بعد أكثر من دقيقتين، لم يُحَرِّك ساكنا عدا شفتيه. نَطَقَ هذه الجملة بينما الأنثيين حوله تُكملان بقايا البكاء في هيئة شهقات متتالية: «ستذهبين إلى مشفى الأمراض العقلية. أنتِ خطيرة على حياة الآخرين. ليس لكِ مكاناً هنا».

تهدّمت أركان سيرين الذاتية، وكأنَّما الحياة قد طَبَعَتْ كَفَّيها على مواقع جلدها المهترئ المحروق فزادتهُ فوق وجعه وجعًا. كيف لأبيها مُجَرَّد التفكير بذلك؟

كيف له أن يقف أمام والدتَهُ كالوحش أساساً؟ كيف له بعدما كان ذلك الابن البار الذي لا يرى أَمَّهُ إلَّا. أن يصيرَ رَجُلًا هَشَ الخُلُقِ مجبولاً على السوء والشرور، يحاول قدر إمكانه إقصاؤها عن الوجود وهو الذي لم يتحمل غيابها عنه يوماً! استطالت سيرين واقفة في وجه أبيها. كانت على وشك الاعتراف بما يختلج صدرها في بوح عميق لكن بينما هي كذلك، دَخَلَت ممرضة الجدّة مُسرعة، تحمل في يدها هاتفها الذي استَعرضَت فيه مقطع فيديو مُصَوَّر. سَحَبَ الأبُ الهاتف، صار يشاهد مقطعَ الفيديو وكأَنَّهُ يُشاهد مشاهد مُصَوَّرة من الجحيم. وكأنَّما الدنيا أمطرت لهيبا حارق. صار المكان ضاجًا بالكتمة وضيق النَّفْسِ. كان هدف الممرضة الإبقاء على وظيفتها لا محالة، إذ أن تنصُّتها كانَ في سبيل البقاء. رُبَّما هي تعلم كل حدث يدورُ في ذلك المنزل، لكن لحرصها على عدم خسارة وظيفتها التي لا تعمل فيها فعلياً تتعمَّد حجبها جميعًا.

مقطع مصور لسيرين وهي تتعمَّد حَرق نفسها بنفسها بحضور الجدة في كُلِّ خميس. تُحاول فيه إحياء الموقف القديم لإيقاظ الذاكرة، لكن شيئًا ما لا يحدث. كُلُّ ما يحدث هو استسلام الجدة للبكاء والعويل في مشاهدة أساليب تعذيب الذات للذات.

مقطعٌ اعتقدت الممرضة أنّها بعرضها له ستحافظ على بقائها فقط..

لم تكن لتعتقد أنَّ ثلاثَ جُثث ستُمَدَّدُ تحت سقف ذلك المنزل من، بينها جثّتها.

سيرين الجدة، الممرضة. ثلاثُ جُثَثْ قَبَّلَتْ أجسادهنَّ الأرضَ في بحرٍ مِنَ الدماء المُختلطة.

ألقى بِسِكّينته وسط أجسادهن. لم يكن في وعيه. في الآونة الأخيرة كان غريباً، وازداد غرابةً يومًا بعد يوم.

كان يحملُ إنسانًا آخر معه، يُملي عليه ما يجدر عليه القيام به. صوت آخر يُحَرّك جسده. كما كانَ صوتًا آخر يُحَرِّك خُطى ابنته.

صبّ على أجسادهن سائل الوداع. لن يستطيع رؤية ملامحهنّ ثانية. تَوَقَّفَ لخمس دقائق. صَفَنَ للإدراك. جانبٌ منه هَلِعٌ مُرتاع. والآخر بارد فخورٌ بإنجازه.

أشعل عود كبريت ألقاه عليهن. ثُمّ فَرَّ بحياته.

ذلك الرجل الذي كان قد دخل قبل ساعتين باب المنزل لخوفه على ابنته، الرجل الذي لم يُخاطب أمَّهُ يومًا بنبرة عالية مُترفعة، الرجل الذي لم يكن متزنا يومًا، لكنه لم يكن وحشاً أبدًا.

ذلك الرجل، أو الرجُلين ذلك الوحش أو النصف وحش. فَرَّ بحياته أو بمماته.. لم تبد عليه ملامح الحياة فعليا. فَرَّ تاركًا خَلفَهُ ثلاث ملائكة يسبحون في جحيم أحمر عملية الإحياء فشلت... وورقة الموت كانت الرابحة دوماً.

(٢٠)

«لعادوا»

عبد الله جبار السعدون

3enss

بيقين أخبرت نفسي صارخاً هذا المكان مكرر»، كنت أعرف جيداً أنني أعيد تكرار أرضي، أعيش في دوامة أو دائرة، لا أعرف جيداً إن كنت أدور طواعية أم أحوم طوعاً.

مكان بجميع أثاثه المتكسر والمشقق غرف مظلمة وهذه اللوحة الفنية بمدرستها الرومانسية الطبيعية مشوهة بكلمات عشوائية.

قلوبٌ، عقولٌ، خلت.

طاووس؟ لا يبدو كذلك ربما بجعة أو نوع من هذه الطيور.

اللوحة لا تمت للواقع بأي صلة، بجعة، بحيرة قلوب وعقول، إلى أين يؤدي كل هذا.

نعم صحيح الباب أين الباب أريد أن أخرج هذا المكان كتيب حد القتمة، يسد علي صدري أنفاسي، رطب جدّاً ورائحته عفنة، رائحة أشياء قديمة.

لماذا لا يوجد باب، لاحظت من قبل وجود نوافذ لكنها لا تطل على شيء.

بالتفكير في الأمر، ماذا أفعل هنا؟

كل ما أتذكره أني كنت هنا من قبل ولا شيء سوى هذا الأثاث، أوه الأريكة، بدت كما لو أنها كانت مريحة في فترة من الفترات، أمّا الآن فمن المستحيل أن أجلس عليها.

أوه من كان هنا لا يعرف معنى النظافة حتماً.

الأرض دبقة جدّاً مهلاً! لماذا لا أرتدي حذائي لما أنا حافي سيراني أحدهم ويقول عني أني غبي لا أرتدي حذاء. آه صحيح أبي سيضربني، ربما لا لأني كبير الآن.

لا أتذكر كم كان عمري ولكن نبتت لحيتي، طويلة، ربما تحتاج إلى الترتيب، وهذه النافذة أيضاً التي أرى فيها نفسي، ستحتاج إلى التغيير لأنها مكسورة إلى قطع.

صرخت «هي يا أصحاب المنزل، هذه النافذة تحتاج إلى تبديل وبعض الأشياء هنا».

بدى صوتي كما لو أني صرخت في رأسي، لا ارتداد حتَّى ولا صدى.

أشعر بالذعر، جلست على الأرض وتمتمت بكل ما أحفظ، لا شيء أحفظ، بكيت ومسحت دموعي بيدي، يدي دبقة جدّاً كما لو أني لم أغسلها قط، عيني دبقة الآن، أوه أضافري مشوهه يا الله يدي مليئة بالدماء، دماء من؟ آه يا ربي رحماك من قتلت.

هرعت إلى الباب، باب؟ أخيراً هناك باب أمامي.

فتحته، كان مغلقاً بطوب إسمنتية عليها دماء زاد قلقلي وشعرت بغصة شديدة في حلقي، سأختنق الله الله أخرجني، حفرت الباب محاولاً تفتيت الإسمنت بأضافري، لكن لا أضافر لدي.

صرخت علي «ماذا تفعل؟! أنت لا تعرف ماذا يوجد في الخارج أنت لا تعرف ماذا يوجد هنا حتَّى»

«أريد أن أخرج فقط الله الله الخروج»

«لو خرجت لعدت أرضى بالسخط هذا»

رأسي سينفجر، هذا الصداع فتاك سيقتلني أقسم أنه سيقتلني سأموت هنا عند الباب، صداع كالكهرباء، آخ آخ يا شدة الألم......

«هذا المكان مكرر»

ما هذا طاووس؟ لا، أعتقد أنه طائر من نوع ما، ربما بجعة.

لوحة غريبة

مالذي تعنيه هذه الكلمات العشوائية؟

قلوبٌ، عقولٌ، خلت.

(٢١)

«مدبرة منزلنا»

ناصر بوهندي

_nbuhendi

كان هناك صوت ينادي من بعيد يهمس في اذني إنها هنا.. أنها هنا!

أفقت من نومي فزعًا، أتلمس وجهي لأتأكد من أني كنت أحلم.

قررت الخروج من المنزل لأخذ نفس بالهواء الطلق، وبينما كنت أتمشى في الظلام، كان هناك أشخاص في آخر الشارع يرتدون الزي التقليدي (الدشداشة البيضاء) ويتحركون بخطوات سريعة وكأنهم يهربون من شيء ما. أصابني الفضول بعد أن لمحت جارنا الصغير بينهم، فتبعتهم حتَّى وصلوا إلى المنزل المهجور، ثُمّ جلست على مسافة ليست ببعيدة لأنتظر خروجهم.

مرت الساعة الأولى ولم يخرج منهم أحد، أصبت بالنعاس مرة أخرى، فأخذت قرارا صعبًا جدّاً بيني وبين نفسي، وهو الذهاب لهذا المنزل والتنصت عليهم ومشاهدة ما يفعلون.

وقفت أمام المنزل وقد بدأ المطر بالهطول، وتجولت حول المكان فوجدته يثير الرعب خصوصًا في هذا الوقت المتأخر من الليل حينما دخلت إلى المنزل اعتراني خوف لم أشعر به من قبل، بل رعشة تسري في جسدي كان المنزل مبعثر من الداخل وكأن مشاجرة وقعت للتو فيه الزجاج المكسور والغبار يحتلان الأرضية وبينما أنا أتجول هناك سمعت صوت قادم من الطابق الأول، فلم أتمكن من إشباع فضولي إلى بالصعود للأعلى لرؤية الأشخاص الغامضين الذين أحدثوا كل هذا. كلما صعدت درجة زاد وضوح الصوت وغموض اللغة حتَّى وصلت إلى الطابق الأول الذي لم أجد أنه يختلف عن الطابق الأرضي نهائيا، إلا ذلك الباب أسود اللون، فلم يكن مغلقًا بشكل صحيح مما ساعدني على إلقاء نظرة على المكان. لم أتوقع أن يقشعر جلدي، وأشعر بحرارة في صدري إثر المنظر الذي كان أمامي شاهدت مجموعة من الرجال ومن ضمنهم الأشخاص الذين رأيتهم للتو مع

جارنا الصغير لمحتهم مع مدبرة منزلنا وهم يرددون بعض الآيات القرآنية إلا أن بعضها كان محرفًا، ظلت ترددها المدبرة بصوت عال، حاملة أوراقا بيدها اليسرى كتب فيها طلاسم ورسومات باللون الأحمر، أكاد أجزم أنها كتبت بدم شخص ما. شعرت بالجزع وأردت أن أعرف ما الذي أتى بها هنا.. وفي وسط احتشاد الأفكار في رأسي رأيتها وهي تخرج مجموعة صور رمتها لترسم عليهم بعدها وهي جالسة على الأرض، كانت الصورة صغيرة الحجم لرجل بنفس سنّي، ملامح تشبه ملامح و..... اللعنة وكأن من في الصورة هو أنا!

سكبت على الصور ماء أحمر اللون وأكملت ترديدها ثُمّ بدأت بالصراخ، شعرت بجسمي يتخدر وكأنهم قد غرزوا فيه إبرا صغيرة الحجم، لم تنقضي ثوان معدودة حتَّى عجزت عن الحركة وحاولت بلع ريقي ولكن قد جففه الخوف.

كان هذا آخر شيء أراه، أذكر أنني عندما استيقظت من نومي كنت أرتدي اللباس الأبيض الخاص بالمستشفى، والأنبوب الشفاف متصل بأنفي والأجهزة الطبية تحيطني من كل جانب، سمعت أبي وهو يبكي بشدة، ونواح أختي التي ملأتها الحيرة بين أن تواسي أبي أم تبكي فقدي أصبت بشلل في كامل. فقدت القدرة على الحركة أو التحدث، ولم يبق لي شيء من هذا الجسيد الهزيل.

لمحت جارنا وهو يدخل الغرفة ومعه ابنه الذي رأيته في ذلك المكان المخيف.

«عظّم الله أجركم وغفر لميتكم هذه سنة الحياة، ادعوا لها بالرحمة يا أخي»

رأيت ابتسامة خفيّة بوجه جارنا الصغير وهو يفتح باب الغرفة لتدخل مدبرة منزلنا راسمة على ملامحها حزنًا مليئًا بالكذب أردت أن أصرخ قائلاً «هما السبب في كل شيء..هما! » ولكنني سرحت للحظة بعد أن أدركت ما قاله الجار.. «ادعوا لها بالرحمة يا أخي» من التي ندعوا لها بالرحمة؟

أنا أفقد شخصا ما في هذه الغرفة اللعينة!

أين هي أمي؟

(٢٢)

«أرواح لها أقدام»

عمر المير

_oka77

_oka77

هو صغيراً وكبيراً، ولم يعلم ماثيو إن كان سيجد كل ما في المنزل كما ترك المكان، فقد كان لقاؤه بكاتلين هو البداية الصعبة بل الصعبة جداً.

- آه يا ماثيو لو تعلم كم اشتقنا إليك، كنتُ مؤمنة بأنك ستعود يوماً ما، وها أنت عُدت إلى ديارك. والآن ذهب إلى غرفتك فهي لا تزال تنتظرك كما تركتها أنت لم تكبر غرفتك كما كبرت أنت يا صغير..

مرّ ماثيو عبر الدهليز المؤدي إلى الدرج العالي، قصر بدا له لم يتغير به شيء وكأنه ترك هذا المكان بالأمس. بينما يصعد أعتاب الدرج تتصاعد معه ذكرياته مع كاتلين تحديداً، مربيته الخاصة التي أشرفت عليه منذ نعومة أظافره وحتَّى اشتد عوده وبلغ الحلم كانت أمه الثانية أو في بعض الأحيان أحنَّ من أمه عليه، ومع ذلك لم يتخل السيد جيرمي باكستون عنها، بل أبقاها في المنزل كواحدة من أفراد عائلة باكستون.

كان جيرمي باكستون ذي منصب عالٍ في الدولة، إذ يملك الكثير من العقار والأصول التي توفر سيولة كبيرة في رصيده البنكي تزوج من إيميلي التي التقاها جيرمي في زيارة عميل له مع ابنته وصدف بذلك بأن تكون هي شريكة حياته كانت مشورة جيرمي في بيع وشراء العقار قيمة جدًا، لأن له باعاً طويلاً في هذا المجال بفضل أبيه الذي غذّاه بالتجارة والمعرفة. أعجب جيرمي بايميلي وتزوجا وهما في سن صغيرة، ورزقا بثلاثة أبناء وهم ماثيو مايكل وأنجيلا ماثيو هو أكبرهم عمراً وأنجيلا هي فتاة جيرمي المدللة وعدوة مايكل اللدودة، الذي لطالما شعر بالغيرة منها.

حطّ ماثيو رحاله في غرفة نومه التي كانت كما قالت كاتلين كما ما تركها، استنجد جسده بسريره حيث ألقاه كجثة هامدة تنظر إلى سقف الغرفة. هدوءٌ تامٌ يكاد يصيب ماثيو بالجنون، يسمع نبضات قلبه بشكل واضح للغاية، وقلبه يعزف السمفونيات بين التسارع والتباطؤ، وعقله

يُصور المسرحيات بكافة السيناريوهات الممكنة والسؤال الأبرز الذي لا حل له ما الذي قد يغفر ما فعله ماثيو وهربه بعد ذلك؟

تدخل كاتلين إلى غرفة نوم ماثيو، تنظر إليه وهو في حالة شرود تام، وكأن بينه وبين سقف غرفته عهد بأن لا يلتفت لغيره مهما كلفه الأمر، وليس بأن السقف هو مرآة الماضي التي تعكس الحادثة أمام ناظريه مرة ومرتين وألفاً!

- ماثيو.. وجبة الغداء جاهزة، أعددت لك كل ما تحب.

قالت كاتلين وهي تنظر إليه وهو لا يُحرك ساكناً، اكتفى فقط بهزّ رأسه، وخرجت هي بدورها من غرفة نومه، بينما الدقائق تمضي وماثيو يُفكر في يوم الحادثة شيئًا فشيئاً، كيف له أن يُقابل والديه وأخوته بعدما حدث، وكيف له أن يُفسّر هروبه من المنزل.

ما كانت سوى ثوان في مخيلة ماثيو ودقائق في عالمنا الطبيعي حتَّى وقف ماثيو على قدميه خارجاً من غرفة نومه، ينزل من الطابق العلوي ورأسه يدور مع كل خطوة، يلتفت برأسه خوفاً من أن يصدر أي صوت قد يُخرج أحدًا، أمامه حتَّى وصل إلى غرفة الطعام.

كما هو ممعروف عن عائلة باكستون أنّ طاولة طعامهم تحمل كلّ ما لذَّ وطاب من اللحوم والكثير من النشويات كالخبز والأرز، وكانت الطاولة فعلاً هي طاولة آل باكستون ولكن لشخص واحد وهو ابنهم الهارب ماثيو، جلس بجسده الهزيل الثابت، ولا يتحرك به شيء سوى يديه وفمه حتَّى انتهى من طعامه ووقف في مكانه وهنا كانت الذكرى الموجعة النافذة التي هرب منها ماثيو كانت تشاهده طيلة فترة أكله، نافذة كبيرة

مفتوحة على مصراعيها، بينما يعود ماثيو إلى الوراء حتَّى التصق جسده بالحائط وكأنه خائف من ابتلاع النافذة له.

تتدافع أنفاسُ ماثيو وهو يرى النافذة التي جعلته يتجمد في مكانه. مع كل زفير يتمتم ماثيو «أنا لست مذنباً» حتَّى ترك المكان بهدوء، تركه بنية مواجهة مخاوفه ولكن الجبن سيطر عليه، لذلك عاد إلى مهجعه الجديد القديم، إلى ذلك الوكر الذي هجره كما هجر وترك كل شيء وراءه ورحل.. رحل دون ضجيج..

عادت كاتلين لتطمئن على حالة ماثيو المأساوية، التي بسببها قد يدخل في دوامة نفسية لن يخرج منها كما كان أو بالأصح كما عرفته كاتلين، لا سيما بعد عودته إلى المنزل. وضعت كاتلين كل الأمل أن تعود. المياه إلى مجاريها كما كانت.

ساعات طويلة قضاها ماثيو في عزلة، عزلة لم يقطعها صوت إنسان أو حتَّى زقزقة عصفور تائه يحطّ على شباك منزل آل باكستون الهادئ حتَّى تَشَجَعَ ماثيو بالمبادرة لقطع هذا السكوت بصوته الذي رن بين دهاليز المنزل.

- كاتلين!!

يُنادي ماثيو كاتلين بشكل متواصل، لم يعط مساحةً للثواني أن تتراكم بين النداء والآخر، تعلو وتيرة النداء ويبدأ صوته يتحول إلى صراخ من أحشائه، وتصحبه دموع حارقة تنزلق على وجنتيه حتَّى قطعت كاتلين بكاءه واندفعت إلى غرفة نوم ماثيو كرصاصة مشابهة لرصاصة الحادثة المشؤومة.

- ماثيو ماذا بك!

قالتها كاتلين وهي بعيدة بعض الشيء عن ماثيو الانفعالي، فهي لا تضمن ما قد يفعله ماثيو بشكل مفاجئ، حتَّى ولو كان عزيزا على قلبها والطفل الذي كبر على يديها، ولكن لا تأمن للأفعى حتَّى بعد قطع رأسها، ولا تأمن لماثيو ما دام هو حرٌّ طليق.

- أنا لم أقتل أحدا يا كاتلين، أنا لست قاتلاً أنا لست قاتلا..

- أعلم يا صغيري، كان الأمر مجرد حادثة، هدّئ من روعك.

- كلّا.. كلّا.. أنا السبب.. أنا سبب كل شيء...

هدّئ من روعك يا ماثيو.. لا تدفع نفسك إلى حافة الانفعال.. أرجو منك أن تهدأ...

- اغربي عن وجهي.. اغربي!!

اختفت كاتلين بلمح البصر بعد الحدّة في صوت ماثيو، بعد الغضب الذي ارتكز بين حاجبيه، بينما ظل ماثيو يسأل نفسه بعالي الصوت.. أين أمي وأبي!! أين مايكل وأنجيلا!! أُريدهم هُنا الآن! ظل ماثيو يصرخ بأسمائهم جميعاً حتَّى نال التعب منه وسقطت رقبته مستسلمة للجاذبية وحطّ رأسه رحاله على الوسادة التي تشبّعت باللكمات والدموع.

مضت ساعات طويلة على نوم ماثيو، وأخيرا بدأت أطرافه تتحرك معلنة عودة ماثيو إلى الواقع بعدما كان غارقا في أحلامه الجميلة منها والسيئة. يفتح عينيه ويُدير رأسه يمينا ويسارا آملا أن كل ما حدث في الأمس لم يحدث أو بالأحرى أن يعود الزمن إلى ما قبل اثني عشر عاما ولكنّ واقعهُ أبى.

وضع ماثيو قدمه اليمنى على الأرض وعانقتها بأريحية، لكن أُعاقت عبوة دواء قدمه اليسرى عن الهبوط الاعتيادي على الأرض. التقط العبوة وبدأ ينظر إليها بتمعن شديد، لا سيما أن هذه العبوة البرتقالية لا ترتبط بعقل ماثيو بتاتا، حيث حاول تقليبها لمعرفة ما هذا الدواء الذي يسكن في قلب العبوّة.

- كاتلين!

بدأ ماثيو بندائه المعتاد، ولم تتأخر كاتلين عن إجابة هذا النداء بابتسامتها المعتادة متناسيةً ما حدث ليلة أمس، رفع ماثيو عبوة الدواء في وجهها دون التحدث وهو ينظر إليها بنظرة تحمل التحدي والغضب.

- ماثيو، هذا الدواء مسكن للآلام، حيث أنك ليلة أمس وأنت نائم كنت تتوجع وتأن كثيرا فسارعت بجلبها من حقيبتك أنت من قلت لي عن مكانها يا ماثيو ألا تتذكر!

شعر ماثيو بالضغط بعد كلام كاتلين وبدأ يُشكك في صحة عقله.

-نعم نعم صحيح.. لقد نسيت أنا أعتذر..

قالها دون اقتناع ولكن لكي يشعر كاتلين بأنه بخير وعلى ما يرام.

- حسناً يا صغيري آمل أنك على ما يرام الآن.. هيا قم لتأكل بعض الطعام لكي تستعيد عافيتك يا بُنيّ

سبقت كاتلين ماثيو إلى الطابق السفلي، بينما أخذ دقائق بسيطة ليُرتب بعض أفكاره المشوشة والعشوائية، ومن ثُمّ همّ بالنزول.

نزل إلى الغرفة ذاتها، وطاولة الطعام ممتلئة كعادتها بنفس لائحة الطعام، وكأن آل باكستون لا يكترثون إن كانت هذه وجبة الإفطار الغداء أو حتَّى العشاء فكلّ شيءٍ يضعونه في كل وقت من اليوم.

سحب الكرسيّ ذاته وهمَّ بالأكل بنفس شعور الليلة الماضية ولكن بحذر أكبر بسبب البعبع المواجه له النافذة الكبيرة صاحبة الذكريات المؤلمة تُناظره كعادتها مفتوحة على مصراعيها وهو يتحداها بنظراته، حتَّى اكتفى من وجبة الإفطار.

مشى ماثيو خارجا من غرفة الطعام ذاهبا إلى مهجعه المعتاد ولكن شيئا ما جرّه إلى إكمال مسيره في الطابق السفلي، وهو يمرُّ بين أبواب عديدة، كلها تُشابه بعضها حتَّى وقف أمام مرآة كبيرة تُظهر جسده الهزيل كاملا تظهر وجهه الشاحب دون مجاملات. بجانب المرآة يوجد حامل مفاتيح مُعلق به مفتاح واحد فقط..

التقط المفتاح وقلبه، مفتاح ظهر عليه قدّم الزمان على هيئة صدا. يشعر بأن هذا المفتاح مألوف بعض الشيء. أخذ بيده هذا المفتاح ليبحث عن رفيقه القفل بين مجموعة أبواب هذا المنزل، ولم يُطل كثيراً إذ بدأ يدخل رأس الفتاح في كل قفل بابٍ أمامه، إن كان مقفلا أو مفتوحا، ظنا منه بأن هنالك رسالة ما بترك هذا المفتاح فقط معلقا لوحده جرّب أكثر من تسعة أبواب ولم يفلح ماثيو في الكشف عن النصف الضائع لهذا المفتاح، حتَّى كان الباب العاشر هو الباب الصحيح، سمع صوت طقطقة الباب بعدما احتضن المفتاح قفله باب كان في زاوية الممر الممتلئ بالأبواب.

فتح الباب فخرج منه الغبار هاربا من الحبس المطوّل له يدخل النور المنبثق من الممرّ قبل أن تحط أقدام ماثيو الغرفة غرفة عتيقة تحمل الكثير من المقتنيات القديمة أو الخردوات إن صح التعبير، لم يتراجع

ماثيو بل قرر معرفة سرّ هذا المفتاح، نظر إلى بعض الصناديق التي تغطيها الأتربة، ولكن شد نظره شيء ما، بدا له مألوفاً، صندوق أحمرُ متوسط الحجم، يحمل على عاتقه بعض الصناديق البالية، دفعهم ماثيو دون أن يكترث لما يحملون في داخلهم.

حمل الصندوق الأحمر فسقطت منه كاميرا قديمة وأشرطة كثيرة، قاعدة ثلاثية كُسرت أحد أقدامها، وبين كل هذه الفوضى توجد طامة كبرى.. صورة.. صورة عائلية لآل باكستون.. يوجد بها الجميع.. إلا أنت يا ماثيو...

صورة جعلت ماثيو يمعن النظر بملامح مضن هم في الصورة لم يتغير بهم شيء، وكأن العمر توقف عند رحيله عنهم، ينظر إلى أمه وأبيه أخيه وأخته، ملامحهم تتسم بالفرح، وكأنه لم يزرهم الهم ولم يقتلهم البعد الذي أجبرهم عليه ماثيو. قذف الصورة التي ظلت تصارع الهواء حتَّى تهبط بسلام على الأرض، بينما ترك ماثيو الغرفة قبل أن تحطّ الصورة رحالها على أرض واسعة بلا ملامح. خرج وهو يتمتم بصوت مسموع «كيف لست موجودا في هذه الصورة!»

يتذكر ماثيو تماما يوم التقاط هذه الصورة، يتذكر توبيخ أبيه له لتباطئه في الحضور وقت الصورة في ليلة رأس السنة، كان ماثيو منشغلا بألعاب الفيديو ناسيا وقت الصورة السنوية العائلية. وكانت هذه آخر صورة تم التقاطها لآل باكستون.. لأنها كانت في ليلة الحادثة..

أكمل ماثيو سيره وبدأ يُهرول أعلى الدرج حتَّى يصل إلى غرفته بسرعة، وهو لازال يتمتم بالجملة ذاتها وقلبه يكاد أن يخرج من صدره من شدة خفقانه، دخل وقفز على سريره مرعوبا عقله بدأ يخذله أم أن ماحدث لم يحدث أو أنه استفاق في حياة أخرى! ولكن لم يتوقف الأمر على

مجموعة أفكار تتضارب في عقل ماثيو المسكين، فزاده باب غرفته من القلق والخوف جرعة عُظمى حيث أُغلق بقوة شديدة وسمع صوت القفل يقفل مرتين..

مرّت ساعاتٌ حتَّى اقتحم الغرفة عدّة أشخاص، يجرّون ماثيو عنوة، وهو يصرخ «أنا بريء، أنا بريء»، يُحارب ماثيو كثور هائج ولكن الكثرة غلبت الشجاعة، حيث تم إنزاله من الدرج وركبته هي من تلمس أعاتب الدرج حتَّى وصل إلى الأرض.

- ضعوه في المقعد الخلفي.

صرخ أحدهم على من يمسكون ماثيو، وكان صراع ماثيو الأخير بين الحرية والحبس هو باب سيارة صغير، ليس نافذة كبيرة كالتي خاف منها، مفتاح عتيق جعل عقله يفر من رأسه أو حتَّى حضن كاتلين الحنون، فقد أغلق الباب على آمال ماثيو في الهروب من قوقعة القلق..

- أحسنتم يا رجال، والآن يجب عليّ أن أتحدث للسيد سكوت وأطمئنه بأن منزله أصبح خاليا ويمكنه هو وعائلته العودة إلى إليه.

قال الملازم ستانلي لرجاله، وردَّ عليه أحد رجال الشرطة.. كان مجرما شقيا وكان البحث عنه شاقاً..

- إنه ليس مجرماً...

تدخلت سيدة كانت مختفية لوقت طويل، الأخصائية النفسية ناتالي جونسون.. أكملت قائلة..

- السيد باكستون يُعاني من اضطرابات نفسية حادة، جعلته يدخل إلى بعض المنازل التي تشبه منزله..

اجاب الملازم ستانلي..

- صحيح.. ولكنه كان يقتل كل من في المنزل قبل الخروج والبحث عن منزل آخر!

- نافذة نعم.. ولكن هذا بسبب ما حدث له قبل اثني عشر عاما يا حضرة الملازم، عندما دخل لصوص إلى منزلهم عبر - غرفة الطعام وقتل كل من في المنزل دون رحمه، وهو كان في غرفته يلعب ألعاب الفيديو.. ماثيو يُعاني من صدمة يا حضرة الملازم..

- ولكنه خطر على المجتمع وما حدث معه لا يشفع له ما فعل لقد قتل عشرات العوائل يا آنسة..

- نعم.. هذا الصحيح، ولكن ارفقوا به قليلاً فماثيو يمتلك قلباً طاهراً..

- هذا إن كان يمتلك قلباً يا آنسه، أعتذر منك فيجب على القانون أن يأخذ حق كل من سفك دمه هذا الوغد!

قاطعهما الشرطي الذي كان يركض نحو الملازم ستانلي وناتالي

- أعتذر عن المقاطعة يا حضرة الملازم، ولكن القاتل يصرخ بأن هُنالك شخصاً في المنزل!

- أبحثتهم في إرجائه؟

- نعم.. ولم نجد أحداً!

- كاتلين.. كان يصرخ باسم كاتلين أليس كذلك؟

قالتها ناتالي وهي تنظر لهم بتحد كبير.. وأجابها الشرطي..

- نعم!

نظر إليها الملازم قائلا..

- من هي كاتلين؟!

ردت ناتالي..

- كاتلين هي مربيته.. من يهرب لها حينما لا يجد أحداً حوله.. كاتلين تعيش في خياله ويستشعر وجودها دائماً..

- أهذا يعني بأنه يرى أشباحاً؟

- كاتلين ليست شبحاً.. كاتلين روح ماثيو التي ضاعت منه في هذا العالم...

(٢٣)
«في ذلك الزقاق»

علي الشمالي
ali.alshamali_

بدأت جموع المعزين والمهنئين بالرحيل، فقد مات اللورد «أرماروس» وورث ابن أخيه الأكبر اللقب، وذلك لأن لم يكن له أبناء ذكور، بل ابنة واحدة عزباء.

- ذلك المسكين خرج من خربته ودخل لخربة أخرى، لا يعلم أن عمه مات بعد أن أثقلت كاهله الديون.

قالتها إحدى النبيلات بطرف فمها لزوجها وهي تخرج من قصر «أرماروس» الكبير.

بعد ان انتهى العزاء وخلت قاعة الضيوف في ذلك القصر، أغلق الخدم الأبواب، حين اتجهت الآنسة «إيفلين»، ابنة عم اللورد الجديد وهي تقول بصوت أهلكه البكاء: أسأل الربّ أن يرقد بسلام، كان محبوبا، وازداد محبوه بعد أن رحل.

كان اللورد الجديد جالسًا على كرسي كبير بجانب الموقد المطفأ في تلك القاعة، يسند ظهره بارتياح وعيناه الواسعتان سارحتان بالأرضية التي حاكم الشطرنج بتصميمها، وساد صمت قصير كسرته تنهيدة عميقة خرجت من صدر اللورد «أرماروس»، الذي قال بعدها: وكان مديونا أيضاً.

تغيّرت ملامح ابنة العم التي حكت رقبتها وأخذت من فوق الموقد كأسين وقنينة كبيرة، وقالت: كيف علمت؟

بدأت تسكب محتوى القنينة في الكأسين بينما كان ابن عمها يتحدّث قائلا: ألم تسمعي همهماتهم؟ كل همهم كان تلك الديون التي قتلت والدك حسرة.

أطلق اللورد «أرماروس» تنهيدة أخرى وأتبع سنجد حلا... أعدك.

- «بيندكت» أرجوك... افعل ما بوسعك لإنقاذ اسمنا.

قالتها الآنسة «إيفلين» وهي تضغط على يده، فأومأ لها برأسه وهو يحتسي آخر ما في كأسه، ثُمّ قام وقبل أن يسير، أتاه صوتها وهي تقول: وأنا أيضاً... سأفعل ما بوسعي!

استدار لها وابتسم، ثُمّ عاد لاتجاهه صاعدًا السلّم نحو جناحه وفي طريقه كان يرى ظله المتراقص على الأرضية الخشبية بفعل الثريا التي توسطت الممر، فأنزل رأسه بشرود ملاحظا تحركات ظله التي خالفت تحركاته هو...

استلقى «بيندكت» أو اللورد «أرماروس» كما يُطلق عليه الآن على سريره الحريري الوثير، ورغم راحته إلّا أن النوم لم يدن منه قيد أنملة، إذ أخذته الذكرى عوضًا عن ذلك ليغوص في ماضيه مستذكرا طبقته الاجتماعية الوضيعة التي عاش بها مع أبويه منذ سنين، مستذكرًا رفض عمّه المتوفى لمساعدتهم، ولم يكره «بيندكت» عمّه او ابنة عمه لذلك قط.

حملته الذكرى في قاربها من جديد، نحو نهر بتيار شديد، يحكي عن حلم أبى أن يتحقق...

كان « بيندكت» يهوى العزف غارقًا في الموسيقى، يجول بكمنجته القديمة ويعزف في الطرقات باحثًا عمن يهتم لأمره، ولكن هيهات للريح أن تهتم لغصن كسر بسببها.

حاول جاهدًا أن يمنح عائلته حالاً أفضل، لكن والديه ماتا قبل أن يتحقق ذلك، ويذكر جيّدًا أنه لم يأت للعزاء سوى المزارعين وذوي الطبقة المماثلة لهم، والذين رأوا طيبة العائلة بقلوبهم ولم يهتموا لفقرهم وفاقتهم.

أخذته الذكرى لمكان بعيد هذه المرّة، لذلك العزاء، ولذلك الرجل الغريب الذي كان يصادفه في كلّ مكان ولم يحدثه، بل كان يكتفي بالنظر إليه طويلاً بصمت، ويختفي بعدها بين جموع الناس، والذي حدث واقترب منه مرةً وعزّاه بوفاة والديه ثُمّ رحل، وَجَدَ «بيندكت» صعوبة في تذكّر، ملامحه، لكنّه يذكر ذلك الزقاق جيدا، تلك الظلمة التي تسكن في جوفه والهدوء المفاجئ الذي يعتري «بيندكت» كلما دخله، زقاق كحال باقي الأزقّة في البلدة، ولكنه المفضّل إلى «بيندكت» أو اللورد «أرماروس» الجديد.

صحا «بيندكت» من شروده، ليرى غراباً يقف أمامه على السرير ينعق ويحدّق به برأس ثابت فتولاه الفزع، وراح يحرك رجله بعشوائية كي يُفزع الغراب، لكن الطائر الأسود تجمد في مكانه لوهلة قبل أن يحلّق طائرًا ينعق خارجًا من النافذة، والتي كان اللورد متأكدا من إغلاقها..

استيقظ «بيندكت» في أوّل الصباح، وخرج من جناحه بعد أن اغتسل وارتدى ثياباً جديدة، فسار في الممر المفضي للدرج وعيناه تتأملان ورق الجدران الأزرق الملكي، ونقوشه الحديثة، كما وعلق بصره بتمثال انتصب في آخر الممر في حفرة مربعة الشكل حفرت في الجدار خصيصًا له، كان تمثالا من الرخام الأبيض يحمل سيفًا كبيرًا ودرعا لامعًا، وبدا أنه يأخذ وضعيّة التأهب لشيءٍ ما.

عندما اقترب اللورد «أرماروس» من ذلك التمثال، رأى في قاعدته قطعة معدنية حفر فيها اسم عمّه المتوفى وابو الآنسة «إيفلين».

شرد «بيندكت» في التمثال طويلاً قبل أن ينقطع حبل أفكاره بصوت ابنة عمه «إيفلين» التي كانت تصرخ بالخدم وتنهرهم. نزل بخطوات مسرعة ليراها تقف في البهو وأمامها اجتمع بعض العاملين في القصر يطالبون برواتبهم التي تأخرت، كان التأخر لقلة أموال العائلة، ولما لاحظت

«إيفلين» وجوده، حدقت به بنظرة ترجو المساعدة، فنطق هو بصوته الجهوري وهو يهدئهم، وبلهجة مسالمة لطيفة قال: أنتم تعلمون بوضع العائلة الآن... تريثوا قليلاً وستفرج.

بدا الرضا على البعض، وخرج واحد منهم وكان شابا بمقتبل العمر وقال: إن كنتم لا تملكون المال فلا توظفوا عندكم خدماً!

انتفخت أوداج اللورد غضباً، واقترب من ذلك الخادم بشبح ابتسامة ثُمّ صفعه حتّى تردد صوت الصفعة في البهو الكبير، وصاح بعدها: أنت مطرود... ولن تُعطَ مالك..

انصرف الخادم، حينها صاح «بيندكت» بباقي الخدم من يريد أن يعمل، ويؤمن حياته وحياة أبنائه فليصبر، ويعطينا فرصة نتصرّف فيها! انصرفوا.

همس بعدها اللورد لإحدى الخادمات استدعي ذلك الخادم المتذمر.

أومأت برأسها ورحلت.

كان اللورد «أرماروس» جالسًا على كرسيه في البهو وإلى جانبه تقف ابنة عمه «إيفلين»، أتى ذلك الخادم أحمر الخد مطأطئ الرأس ووقف قبالة سيّده، تحدّث بيندكت»: ما اسمك

- «جيمس.....»

قال اللورد: هل حزمت أغراضك يا جيمس؟

- أجل.

- حسناً... عُد وفكّها، فأنت لست بمطرود، أنت في مقتبل عمرك، ولست في استعدادٍ لمواجهة الفاقة وحدك، سنواجهها معا وسنحل مشكلتنا بسرعة إن أصبحت متعاونا معنا.

أرخت عيناه دمعة حسرة وانحنى ليقبل يديه، ولكن الآخر سحب يده ومسح على رأسه قائلا: أنا لا ألومك يا «جيمس» فقد كُنت في محلّك يومًا وأتفهّم شعورك جيدًا، اذهب وأكمل عملك، وأخبر إخوتك أنني أعدهم بحل المشكلة.

قام «جيمس» مبتسماً، وانحنى قائلاً: أشكركما.

وانصرف...

قالت «إيفلين»: فعلتك هذه يا ابن عمي ستخرسهم لوقت طويل.

أومأ «بيندكت» وعلينا في هذا الوقت أن نسعى لحل المعضلة التي وقعنا فيها.

سكت لوهلة وشرد، ثُمّ عاد يتحدّث وهو يُشذّب لحيته بيده: أريد منك أن تكتبي لي قائمة بأبناء اللوردات العُزَّاب.

شعرت «إيفلين» بما سيقبل ابن عمها على فعله، فقالت: حسناً....

وأنت تعلم أنني سأفعل كل شيء لاستعادة اسمنا.

التفت إليها مبتسماً وقال: أعلم ذلك... وسأفعل أنا المثل.

وقف «بيندكت» في حديقة القصر الكبيرة بعد الغروب، ضاما يديه خلف ظهره المستقيم، يستشعر الرياح وهي تلمس وجهه، توجه اللورد بنظره نحو مجموعة من الأشجار غرب الحديقة فصدم بكلب أسود يجثم على

شيء ما ويفترسه بشراسة، لم يمنعه ذلك من الاقتراب، فقد صادف بيندكت الكثير من الكلاب الضالة في حيّه القديم، لكنه لم يرَ كلبًا ضالا في هذه المنطقة.

سار بخطوات ثابتة نحو الكلب الذي بدأ حجمه كبيراً رغم ظلام الليل الذي يكسوه ممتزجا بلونه، تقدّم أكثر دون ريبة، حتَّى بانت الضحية، كان ذلك الخادم المتذمّر «جيمس»...

شهق «بيندكت» وتراجع مذعورًا، ولمّا أحس الكلب بوجوده قام من مكانه وهرب مختفيًا في الظلام، حدق اللورد بجثة «جيمس» بصمت كمم فمه عن الصراخ، ورأى قميص الخادم مفتوحا كاشفًا عن ندبة صغيرة دامية على منكبه، وقد أخذت شكل نجمة خُماسية مقلوبة توسّطها رسم دقيق لما يشبه رأس التنين..

في نهاية اليوم، وعلى مائدة العشاء أقبلت «إيفلين» بالقائمة وسلّمتها اللورد ثُمّ جلست في مكانها متأملة الطعام على المائدة، وقالت: أخبرت الطهاة أن يقللوا الوجبات... لا داعي للإسراف ونحن بهذه الحالة.

- خيرًا فعلت.

قالها اللورد «أرماروس» وهو يُمعن النظر في القائمة بعين ضيقة وبعدها قالت الآنسة ذلك المسكين لم يستحق ما حدث له أن تأكلك الكلاب وأنت حي، يا لها من ميتةٍ مُريعة.

عم صمت قصير للحظات، ثُمّ قال «بيندكت»: لحسن الحظّ أن رئيس الشرطة كان يعرف والدك خير معرفة، وبذلك استطاع أن يقفل المحضر سريعًا دون نشر الأخبار بين العوائل.

تنهّد وأتبع مغيرًا سياق الموضوع وهو لا يزال يحدق بالقائمة: من تستلطفين من هذه القائمة؟

فأجابت وهي تقطع صدر دجاج في صحنها: ابن اللورد «جالروم» أعتقد، رغم كراهية والده لأبي، إلا أنه كان يحبني، يا لذكريات المراهقة!

ابتسمت بخجل سارحة في الأرض، وقالت: كان يلعب معي دائما، كنا نتسلل من بيوتنا ونخرج في الليل لنجلس على التل الواقع بين منطقتنا ومنطقتهم.

تبددت غيمة ذكرياتها بصوت ابن عمها الذي قال وفمه مليء بالطعام كم تبلغ ثروة عائلته؟

رفعت رأسها وقالت الكثير، كما أن لعائلته صفقات مع العديد من كبراء الشأن في البلاد المجاورة.

تجمّد «بيندكت» في مكانه والرعب ينتابه، وتعلقت عيناه بظلٍّ طويلٍ يقف خلف الآنسة «إيفلين»، فدقق النظر، ورمش عدة رمشاتٍ وهو يلوك ما في فمه ببطء، فاختفى الظل بعد ثوانٍ، وشعرت الآنسة بغرابة تعتري الجوّ، ولكنها قبل أن تتحدث، أوما «بيندكت» برأسه وهو يبتلع طعامه وقال: جيد... جيد جداً.

ثم ابتسم وأتبع: إذن استعدّي لاسترجاع المراهقة يا ابنة عمي.

اتسعت عينا «إيفلين» وقالت: ماذا ستفعل؟

أجاب وهو ينتزع المنديل الموضوع على صدره: سندعوهم للعشاء وسترتدين أجمل ما عندك.

- ولكن... لباسي... والطعام... كيف؟

رفع يديه مطمئناً، وقال: لا تقلقي، أعرف حائكة في الحي القديم الذي كنت أسكن في مع أبواي ومشكلة الطعام ستحل فور بيعنا لبعض التحف التي لدينا، اللوحة الفظيعة التي في البهو على سبيل المثال.

قهقهت «إيفلين» وقالت قبل أن تدس في فمها قطعة من خبز: أنت مجنون!

قام «بيندكت» من مكانه وقال: سأذهب الآن... علّي أن أجد تلك الخيّاطة مستيقظة.

خرج من المنزل ماشيًا بتململ، وعيناه معلقتان بتلك الشجرة التي افترس تحتها الخادم «جيمس»، وقبل أن يخرج من حديقة القصر توجه نحوها مزدردا ريقه زافرًا غيمة صغيرة تشكلت بسبب البرد ولما توقف عندها، لاحظ شيئًا ما يتحرّك حول أغصانها، فأجهد بصره حتَّى رآها كانت أفعى سوداء تلتف وتسعى ممسكةً بفمها تفاحة حمراء فاحت رائحتها العفنة، فتسللت إلى أنف «بيندكت» والذي تراجع رهبةً ثُمّ ركض خارجًا من حديقة القصر وهو يحدث نفسه: ما الذي يحصل؟

اتجه اللورد متخفيًا إلى الحيّ الذي قبع فيه بيته القديم، ولحسن حظه أن وجد مصابيح بيت الخياطة تلك منارة، فطرق الباب وفتحت له واستقبلته أحرّ استقبال.

وبعد ان انتهى من مشواره واتفق معها على أن تأتي له في صباح الغد لتعرض خدماتها على ابنة عمّه «إيفلين خرج من المنزل متأملا الحي القديم وقد أعاقت دموعه رؤيته، فمسحها وبدأ يجول في ذلك المكان لاهنا يبحث عن ذكرى جميلة تظلّله عن شمس الحسرة والاشتياق.

توقّف في مكانه بهدوءٍ، وحذاؤه الفاخر قد غاص في الطين يحدق بذلك الزقاق الذي اعتاد على زيارته كي تهدأ نفسه من ضجيجها، عاد يسير باتجاهه والشوق يجرّه، إلى أن دخله وكان صوت وقع خطواته رنّانا، جلس على صندوق خشبي يحدق بالفئران وهي تتراكض فزعًا منه، حدق بالظلام، متأملا المكان والفقر الذي يحوم حوله.

وهو على حاله تلك سمع صوت همهمات وغناء يأتي من الطرف الآخر للزقاق، وجّه «بيندكت» ناظره نحو الصوت فلم ير شيئاً بفعبالظلام المسيطر على المكان، فقام وأخذ يسير باتجاه الصوت بخطى حذرة، فرأى حينها هيئة رجلٍ يتراقص وحده ويصفّر كما السُكارى.

وقف الرجل فجأة وتسمّر في مكانه بوضع شابه وضع الجندي حين يمر قائده وأشار بيده إلى «بيندكت الذي أخذ يقترب منه شيئًا فشيئًا حتَّى استطاع أن يرى وجهه، وتعرف حينها عليه، كان ذلك الرجل الغريب نفسه الذي يراه بيندكت من حين لآخر في أيام فقره.

قال «بيندكت» بصوتٍ متحشرج: من أنت؟

فأخذ الرجل الغريب يغنّي ويتراقص ويدور حول نفسه وحول «بيندكت»، وفجأةً توقف وقال بصوت خرج كصوتين مختلفين حين تدنو من الهلاك... ستنجو، حين تكاد تموت فاقة.. ستثري.

أغمض عينه وأنزل رأسه، وظل على تلك الحال لوقت قصير، قبل أن يرفع رأسه ويبتسم قائلا: أنا «التنين العظيم».

اتسعت عيناه وتقهقر بفزع، فابتسم الآخر واختفى من أمامه وظهر خلفه قائلا: لا تخف... فالخوف سدّ يمنع النفس من فعل ما تريد.

أخرج الرجل الغريب من كُمّه لفافة ورق عتيقة، وفردها، ثُمّ مدها إلى «بيندكت» المتسمر في مكانه يحدّق بملامح الرجل التي بدأت تتضح أكثر، ونظر إلى الورقة فرأى في رأسها نجمةً خُماسيةً في وسطها رسم تنين أسود، وفيها كُتب كلام كثير وبنود وشت بأن الورقة لم تكن سوى عقداً.

كان الرجل الغريب شاحب البشرة برزت من عنقه عروقٌ سوداء، له لحية طويلة مدببة دون شارب، وحاجبان مرفوعان، عيناه غائرتان داخل رأسه وقد برزت عظمتا وجنتيه للأمام، واستطاع «بيندكت» أن يميز لسانه المقسوم إلى نصفين، وتلك الأسنان المدبّبة.

نظر «بيندكت» للرجل بتساؤل، فأجاب الآخر: عقدٌ يخلّصك من مآسيك، ستتهافت عليك الأموال من العدم يا ابن الطّين إن انضممت إليّ.

- وإن رفضتُ عقدك هذا؟

قالها بارتباك مراقباً تحرّكات الرجل السلسة، فقد كان الآخر يتمايل كالأفعى وبدلته تُصدر حسيساً كحسيس النار.

قهقه الرجل الغريب وقال: سيؤول بك المصيرُ مُقطّعا... كما حدث لذلك الخادم... كان اسمه «جيمس»، صحيح؟

ازدرد «بيندكت» ريقه بصعوبة وقال: لم فعلت ذلك به؟

تنهّد الرجل وراح يدور حول نفسه متراقصًا وهو يقول: لم يكن ذلك سوى رسالة لك، ما حدث له قد يحدث لكلّ أعدائك، وستغدو أغنى أغنياء بلدك وتتخلص بعدها من الديون التي ألقت بشباكها عليك.... إن وقعت على العقد طبعاً.

مدّ الورقة من جديد حتَّى بدت يده وكأنها استطالت لتصل إلى «بيندكت»، الذي أمسك بالورقة وقلبه يكاد يخرج من صدره فزعاً.

- ماذا تريد في المقابل؟

قالها اللورد «بيندكت»، وعيناه تجولان بين أسطر العقد الطويلة.

- الستَ عازفاً؟... لا أُريدُ سوى حفلاً بسيطًا في قصرك... كلٌّ (قمر دامٍ).

قالها الرجل الغريب وابتسم ابتسامة ملء شدقيه، وصدح البرق بالسماء معلنا عن مجيء المطر، وعلت بعدها همساتٌ من حول «بيندكت» الذي اتخذ قراره بالفعل وأومأ برأسه موافقاً.

تسارعت أنفاس الرجل الغريب وأخرج من جيبه دبوسًا صغيرًا وقال وقد استحال صوته إلى فحيح حاد: قطرة دم واحدة تكفي.

حدّق «بيندكت» بالدبوس وشعره المبلل يقطر ماءً على الورقة، ولم يلبث سوى دقيقة حتَّى أخذ الدبوس بحزم ووخز به إصبعه، ويصم بدمه على الورقة.

فسحب الرجل الورقة من بين يديّ اللورد وصاح بصوت جاوز علوّه صوت المطر: تم العقدُ إذن....

وتمددت أطرافه حتَّى كبر حجمه واستطال بضعة أقدام، واتسعت ابتسامته، ولم يُفزع «بيندكت» سوى صوت ضحكاته التي ارتج لها الزقاق وكاد يتهدَّم.

ركض «بيندكت» خارجًا من ذلك الزقاق مدركاً فعلته، وهو يتضرّع: أيها الملاك الحارس يا سيّد الملائكة مايكل...

سكت قليلاً ثُمّ قال: تباً... لا أحفظ البقية!

استمر في ركضه كالمجنون بين الأحياء، وقد ازرق وجهه خوفاً مدركا خطورة ما فعله للتو، حتَّى توقف عند باب مبنى بدا من تصميمه أنه كنيسة، فوقف ينظر للقس في الداخل وهو يلقي بعض المواعظ على قلة من الناس انتشروا على الكراسي الكثيرة.

فتح «بيندكت» الباب وقد هدأت حاله، وقبل أن تطأ قدمه جوف المبنى، سمع ذلك القس العجوز يقول بصوته المبحوح قد يتشكل الشر في عدة هيئات الإغرائنا... فقد ظهر لأبوينا على هيئة «أفعى» وسقط على هيئةِ «تنّينٍ» بعد أن كان «طاووساً» باهراً.

تسارعت نبضات قلبه، وشحَبَ لونه خوفًا، فتراجع مغلقًا باب الكنيسة وعاود الركض راجعا إلى القصر.

عاد لقصره مبللاً بالماء، والخوف ينهش عظامه، وأخبر ابنة عمه أن الخياطة ستأتي غدا صباحًا، ثُمّ اتجه نحو جناحه بقلق ملحوظ وبدّل ثيابه، وهرع إلى المكتبة التي أقيمت في الجهة الشرقية من القصر، فقد كان اللورد السابق يحب الكتب والقراءة ويقضي معظم أوقاته فيها.

دخل المكتبة وأخذ المشعل المعلّق قُرب الباب وأشعله، فاتضحت له الرؤية، وأخذ يسير بين الرفوف الكثيرة باحثًا عمّا يروي فضوله ولم يدم بحثه طويلاً حتَّى وجد كتابًا ضخمًا بان عليه القدم، أخذه وجلس على الأرض وفتحه، راح يتصفّح بفضول وهو يردد: «القمر الدامي»... «القمر الدامي».

وجد صفحةً كُتب في رأسها عنوان «القمر الدامي»، فسارع بالقراءة بفضول، ولم يلبث حتَّى وجد نفسه يقرأ بصوت عال وكأن أحدا ما ينصت

إليه: القمر الدامي، ظاهرة تحدث للقمر عندما تحجب الأرض ضوء الشمس عن القمر كلّيًا، ويتسلل طيفٌ من الضوء الأحمر فيعكسه القمر ويصبح لونه كلون الدم منظمات الظلام والأخويات تتفاعل بهذه الظاهرة رغم الطاقة السلبية التي تنتجها. اضطرب سكونه وبدأت ركبتاه ترتجفان، وتسارعت أنفاسه فور أن قرأ: وإحدى المنظمات تُدعى «أخويّة التنين» على سبيل المثال، اشتهرت بطقوسها السرّية التي تُقام كلما تحدث تلك الظاهرة (قمر الدم) يحدث عند خسوف القمر فقط، ولكن ليس دائما، فإن حدثت الظاهرة مرّتين في السنة، فستكون تلك السنة استثنائية في حقول الطاقة المظلمة، وقد تحدث الكوارث وتنتشر الأوبئة بها، تلك الطاقة أثبت وجودها كبار علماء الطاقة في العالم.

أغلق الكتاب في ريبة، لكن خوفه تلاشى فور أن تذكر المقابل فسيحظى بمال كثير وستكبر ثروته مقابل حفل يقيمه في القصر ويعزف به شخصياً... كل «قمر دامٍ».

قام من مكانه وأرجع الكتاب إلى المكتبة ثُمّ خرج سائرا نحو غرفته فأتاه صوت ابنة عمه وهو في طريقه، فاستدار ناحية الصوت ليراها تقف على السلّم ممسكةً بكمنجة زاهية وتمثالاً صغيرًا.

هل سيكون هذا كافيا لتوفير الوليمة والفستان؟

قالتها ملاحظة توتره الذي داراه جيّدًا، فاقترب منها مبتسماً وقال: هل لي أن آخذ الكمنجة لي؟

نظرت «إيفلين» إلى الكمنجة بيدها ثُمّ عاودت النظر إليه ومدتها تمكنه قائلة: بالطبع، كان والدي يحبّها رغم عدم تمكّنه من العزف.

أمسك «بيندكت» بالكمنجة وقال: أنا أعرف.

عزف لحنا قصيرًا كان كفيلاً بإثارة العجب في عينيها، وبعدها قال: التمثال يفي بالغرض، وخذي اللوحة التي في البهو أرجوك.

قهقهت «إيفلين» بنعومةٍ وقالت: حسناً.

دخل إلى غرفته، وألقى بالكمنجة على أريكة قُرب النافذة، ثُمّ ألقى بنفسه على سريره الوثير وغاص في نومٍ عميقٍ بعد أحداثٍ توالت بغرابةٍ.

استيقظ في الصباح الباكر وتهيّا هو وابنة عمه «إيفلين» لاستقبال الخيّاطة، والتي ستأخذ لباسًا من الآنسة لتُعدّ به فستانًا مغايراً تتألق به في الوليمة برفقة عائلة «جالروم».

انتهى ذلك اليوم دون شيء يُذكر، عدا رؤى غريبة وهمسات يسمعها «بيندكت» من حين لآخر، وحين جنّ الليل وأرخى سدوله على الدنيا، أرسلت إيفلين» مكتوبا تدعو به عائلة «جالروم» للعشاء في نهاية الأسبوع.

ورغم كره رب أسرة «جالروم» للورد السابق، إلّا أن الابن أصر على والده، وصار يحثّه على البدء من جديد، وفتح صفحة بيضاء مع اللورد «أرماروس» الجديد.

جلس الجميع على مائدة العشاء تلك الليلة، وتألقت «إيفلين» بفستان أسود أبدعت بتصميمه تلك المرأة التي أحضرها «بيندكت»، وبان الاستلطاف على الجميع، ولاحظ «بيندكت» أن كره اللورد «جالروم» قد خف فور أن رأى أزهار قلب ابنه قد تفتحت برفقة «إيفلين» كما أنه أيضاً بدأ يتحدّث بقليل من التحفظ عن صفقاته الأخيرة وعلاقاته مع اللوردات.

لم يمضِ سوى شهر حتَّى نجحت خطّة «بيندكت» أو اللورد «أرماروس» كما هو متعارف عليه، وطلب الشاب «إدورد» ابن ذلك اللورد المتعجرف يد «إيفلين» التي وافقت دون تردد وبدأ التحضير للزفاف.

لاحظ اللورد «أرماروس» نظرات تلك العائلة التي تُخبئ سرًا، لكنه لم يأبه، وأكمل الزفاف، بل عبّر عن فرحته بإلقاء خطاب على الحضور، وعلا بعدها التصفيق والموسيقى والرقص.

في ذلك الشهر كان بيندكت» يعزف كثيرًا، حتَّى أنه ابتاع بيانو ووضعه في أحد أطراف البهو الكبير، ويفضل عدة سرقات قامت بها «إيفلين» في بيت زوجها وإلقاء اللوم على الخدم تيسر حال عائلة «أرماروس» من جديد، وتمكنوا من سداد معظم الديون التي أثقلت كاهلهما.

وصل مكتوب في إحدى الأيام إلى القصر، والذي كان بيندكت» فيه وحيدا دون ابنة عمه التي رحلت إلى بيت زوجها «إدورد»، يُفيد بأن السيدة «إيفلين» قادمةٌ للعشاء الليلة، فأوصل «بيندكت» الخبر للخدم وأمرهم بالتأهب، وكان برفقة ذلك المكتوب... مكتوب آخر بطاقة سوداء مؤطرة بنقوش ذهبية، كتب فيها جملة واحدة: الحفلة ستُقام ليلة الغد، وقد وُزّعت الدعوات على الأتباع.

ابتلع ريقه بصعوبة وحدق بها لثوان ثُمّ تنهد، وارتدى معطفه وخرج من القصر قاصداً حيّه القديم.

أخذ يسير دون هُدى، يتأمّل الناس ويتذكر أنه كان منهم تلك الثياب البالية يعرف ملمسها على الجلد، تلك الأحذية الممزقة ورائحة الطين ومعالم الفقر الصارخة على مظاهرهم، لكن صرخة الفرح والسعادة على وجوههم كانت أعلى، يحبون بعضهم ولا يكنون الكره كاللورد «جالروم» وأمثاله.

- طهارةٌ يُغطّيها الفقر خيرٌ من رذيلة تسترها الأموال... ما الذي فعلته يا «بيندكت»؟.

قالها بصوت خفيض متنهدًا، ثُمّ استدار وأكمل سيره متجولا في ذلك المكان الذي رغم قذاراته بعث طمأنينة في نفسه أكثر من أي مكانٍ آخر.

ظل «بيندكت» يجول بينهم حتَّى غربت الشمس، وحينها وجد نفسه واقفا في ذلك الزقاق، ليظهر له الرجل الغريب مرة أخرى قائلا ومعالمه تظهر من جوف الظلام الرسالة واضحة، ولا داعي للاستفسار.

قطّب «بيندكت» حاجبيه وقال: لست هنا من أجل بطاقتك السوداء، كنتُ أجول في الحي فقط.

قهقه الرجل وقال: ورجلاك قادتاك إليّ.

اقترب الرجل وأخرج من تحت معطفه الأسود أوراقا كثيرة وقال: الحفل ليلة الغد كما تعلم، لذا فالأحسن لك أن تتدرّب.

أمسك بيندكت» بالأوراق ليجدها عبارة عن نوتات وسلالم موسيقية، فقال: ما هذا؟

- اللحن الذي ستعزفه مزيج الكمنجة مع البيانو يبعث في النفس شرهاً للرذيلة.

قالها وهو يعدل من بدلته، فقال اللورد مستغرباً: مزيج؟

فأجاب وهو يستدير راحلاً: تولّ أنت الكمنجة وغيرك سيتكفّل بالباقي.

لم يبتعد الرجل كثيرًا حتَّى استدار فجأةً وصاح: أوه... أبدل بين الكؤوس، فذلك الأحمق قد غسل عقل ابنة عمك بعد أن كشفها وهي تسرق إحدى تحفه

التي اشتراها من روسيا العام السابق. تغيرت معالم وجه «بيندكت» وتولّاه الفزع، فتقهقر للوراء وعاد لقصره راكضاً.

لحسن الحظ أن «إيفلين» لم تحضر بعد، فدخل وتهيأ وتأكد من جاهزية الطعام، ولم تمض سوى عدة دقائق حتَّى فتح الخدم للسيدة «إيفلين» التي قدمت وحدها، وقد وشت يداها المرتجفة حين صافحت ابن عمها بتوتر شديد ينهش جوفها...

جلسا على طرف الطاولة الطويلة، وعينا «إيفلين الزائفتان تحدّقان بابن عمها بارتباك، بدا الاضطراب عليها واضحاً حين أقبلت إحدى الخادمات تحمل صينية فضية، وضع عليها كأسان.

مدّ «بيندكت» يده ليتناول أحدهما، ولكنه ما إن فعل حتَّى استوقفه همس أتى من خلف رقبته كان يقول: خُذ الكأس الآخر.

انتفض «بيندكت» في مكانه، بينما أشاحت «إيفلين» بنظرها عنه بتوتر، وحينها وجد اللورد نفسه يُمسك بالكأس الآخر فاعلا ما طلب منه، ورفعه ثُمّ وضعه على الطاولة أمامه بجو هادئ ومشحون في الآن ذاته.

زفرت «إيفلين» محاولةً التحكّم بأنفاسها المضطرية، فاستقبلتها ابتسامة ابن عمها الذي قال: ما بالك يا «إيفلين»؟

فأجابت وهي تأخذ الكأس من الخادمة: لا شيء... إنني فقط... لا أعلم، تَعِبةٌ قليلاً.

عمَّ صمتٌ قصير، قبل أن ترفع كأسها وتقول بابتسامةٍ طفيفة: لنشرب نخباً... نخب نهوضنا وعودة اسمنا كالسابق.

رفع «بيندكت» كأسه وهو يحاول جاهدًا عدم الإنصات للضحكات المكتومة قرب أذنه اليُسرى، ومتجاهلا تلك الأنفاس الحارة التي تلفح عنقه من الخلف، وقال: فليكن كذلك!

شرب الاثنان نخبهما، ليسود بعدها سكون ارتاع له «بيندكت» الذي سرح في الأرض ثوان قبل أن يلاحظ وجه ابنة عمه الذي صار أرجوانياً، قام من مكانه فزعاً يصرخ وهو يشاهد الدم يفور من فمها كالزبد، وقال: ما بك؟ «إيف»! ما الذي يحدث!

حينها أتت صرخة من المطبخ وتلاها دخول إحدى الخادمات لقاعة الطعام صارخةً: يا إلهي! لقد أخفقت.

سقطت «إيفلين» ميتةً على الأرض بعروق زرقاء برزت في جبهتها، وحينها قال «بيندكت» للخادمة ما الذي تعنينه؟

فقالت الخادمة فزعة: أرادت منّي أن أدس السم لك في الشراب وأن أضع الكأس عند متناول يديك حتَّى تأخذه، لكنك أخذت الكأس الآخر، ولم أستطع أن أخبر السيدة أمامك يا لغبائي!

جثت الخادمة وراحت تضرب نفسها بحسرة، وحينها استشاط بيندكت غضباً، وأمسك بها، فأخذ يجرّ بها خارجاً نحو قسم الشرطة.

مضت الليلة كصدمة برأس «بيندكت»، لم يظن ولو لوهلة أن كلام الرجل الغريب ذاك قد يكون حقيقيًا، كانت ابنة عمه على وشك أن تقتله، بسبب زوجها الماكر «إدورد»، والذي تلاعب بها كما تتلاعب القطط بكرات الصوف، وقلب حبّها لابن عمها كرهاً لا يسعه شيء. في ليلة اليوم التالي... تجمّع المُعزّون حول القصر، وتفاجأوا بصخب يحتضن المنزل، كما

وحاول «إدورد» الذي كان يقف بينهم أن يطرق الباب، فلم يُفتح له، بل كان مُقفلاً.

قبلها بعدةّ ساعات....

وقف «بيندكت» في بهو قصره، وقد أعطى جميع الخدم أمرًا بالخروج من القصر والمبيت عند ذويهم، وراح يدور حول نفسه متأملاً المكان متأكداً من جاهزيته لاحتواء الأتباع...

وضع البيانو على قُرب من السلم، وإلى جانبه منصةٌ كي يصعد عليها ويعزف على كمنجته، ذهب «بيندكت» نحو أقرب نافذة، ورأى الغيوم في سواد السماء تكشف عن بدر كبير ساطع، اتخذ له لون الدم لوناً.

حدّق مطوّلًا بالقمر الأحمر المتربِّع في قلب السماء، ثُمّ تراجع وضربات قلبه في تسارع، ثُمّ اتجه نحو منصته وقد نوى أن يتدرب قليلاً قبل وصول الأتباع، فوضع الكمنجة على كتفه وأمسك بالقوس مداعبًا أوتار الكمنجة وهو يقرأ الألحان من الأوراق التي أخذها من رجل الزقاق الغريب.

لم تمضِ سوى ثوانٍ حتَّى أحسّ «بيندكت» بيد ساخنة تمسك بيده وتر شده لعزف صحيح، وأصدر ذلك لحنا غريبا ذكره بألحان من إحدى الحضارات القديمة، لم يعرف إن كانت «فرعونية» أم « بابلية».

استمر بالتدرّب حتَّى انقطع فجأة بعد أن سمع صوت طرقات منتظمة على باب القصر الرئيسي، فهرع وارتدي عباءة سوداء كان قد وضعها على السلّم، وغطى وجهه بقناع نُحاسي به نقوش كثيرة وبعض الفصوص السوداء البرّاقة.

تأكّد من مظهره وثيابه قدر المستطاع ثُمّ فتح الباب بصمت فاستقبلته جماعة من الناس كانوا مثله تماما، يغطون وجوههم بأقنعة ويرتدون عباءات سوداء امتزج سوادها بظلام تلك الليلة الدامس، عدا واحد أقبل من الخلف، وكانت عباءته حمراء كلون القمر الصارخ في السماء، سار بينهم شاقا طريقه، وبمروره بينهم كانوا يركعون واحداً تلو الآخر حتّى دخل صاحب العباءة الحمراء وتوسط البهو وتحلّقوا حوله.

رغم أن عددهم لم يكن كبيرًا، إلا أن صوت وقع الخطوات يشي بقدوم جماعات أخرى لا تُرى، استطاع بيندكت» أن يسمع وقعها، وتأكد من ذلك حينما بدأت البيانو تعزف اللحن المطلوب وحدها دون عازفٍ يُرى.

اتخذ اللورد «أرماروس» موضعه أعلى المنصة وبدأ يعزف متأملاً العباءات السوداء وهي تدور حول ذلك الأحمر، وبعد دقائق معدودة ألقى جميع المتحلّقين بعباءاتهم، وأشاح بيندكت» بناظره عنهم، لكنه استمر بالعزف منتظراً بفضول.

استطاع «بيندكت» أن يرى الموقد في قاعة الضيوف وهو يشتعل وحده، وصدم بخروج عدة أجساد منه، منها الصغيرة والكبيرة وبعد أن اختفت انضمت للمتحلّقين حول صاحب العباءة الحمراء.

مضت ساعة... وبدأ الصخب يعلو، والمجون يكثر بين الجماعة فشعر بالتعب، ولم تكن يداه متعبتين مثل تعب بصره الذي شاهد تلك المشاهد البغيضة تنتشر في قصره.

مضت ساعة أخرى... وبدا أن المتحلّقين يتهامسون فقطب «بيندكت» حاجبيه نافعا من تحت القناع كي يُبرِّد على وجهه المتعرق، وبعد مضي الساعة الثالثة، تبددت الجماعة وانتشرت في أصقاع المنزل ليعم بعدها

الهدوء في البهو، ولمّا توقف البيانو عن العزف في الخلف، علم بيندكت» أنها إشارة كي يتوقف. هو الآخر، فأنزل الكمنجة ووضعها على الأرض زافرًا، وفي تلك اللحظة أقبلت عليه امرأة وصعدت على المنصّة واضعة يدها على كتفه، وقالت بصوت مليء بالدلال: أنت جديد على ما يبدو.

فأوما لها أن نعم، فأمسكت بيده وأنزلته عن المنصة قائلةً: ستعتاد على الأمر إن ظللت وفياً للسيّد.

- سيّد؟

كانت تلك أول مرة يتحدّث بها «بيندكت» منذ توافد الأتباع، فقالت: أجل.. «التنين العظيم»، هو «الأفعى» عند البعض، «الطاووس» عند البعض الآخر.

تحدّث «بيندكت» وهو يسير خلفها نحو قاعة الضيوف: أهو صاحب العباءة الحمراء؟

لم يرَ وجهها، ولكنه استشعر ابتسامتها من تحت قناعها المرصع حين قالت: لا تسأل أسئلة أنت تعرف إجاباتها... تعال معي.

استيقظ «بيندكت» في صباح اليوم التالي، ليجد نفسه على سريره مرتديا قميص نومه، وعباءته السوداء معلّقة على الفراش، وقناعه ملقى على الأرض قُرب الباب بإهمال، قام مرتاعًا والصداع ينهش رأسه، وسار مترنحاً ليخرج من جناحه، فرأى الخدم قد عادوا، فأخبر أحدهم أن يعدّ له قهوةً تُريحه من وجع رأسه، وجلس ينتظر في قاعة الطعام.

جلس مغمضا عينيه زافرًا، وفتحها فإذا به يتفاجأ بورقة مطوية مختومة على الطاولة أمامه، تلفّت بارتباك، ثُمّ مد يده نحو الرسالة وتأمل ختمها مطوّلًا... ذلك الرمز... تلك النجمة وذلك التنين يستحيل أن ينساه.

فتح الرسالة بيدين مرتجفتين، وقرأ: لو علم أحد بالأمر... ستهلك.

علم من فوره بهوية كاتب الرسالة، فزفر بضجر وصرخ: أين القهوة؟ تلت تلك الليلة أحداثُ كثيرة، زرعت في قلب ذلك اللورد بذرة خوف وشرارة فزع لن تنطفئ أبدًا، أصبح قليل النوم كثير السهر والتفكير في كل مرة يظن أنه قد اعتاد على حياته الجديدة، ورؤيته لتلك الكيانات تظهر في منزله كما لو أنه تعبر من خلال بوابة ما، ولكنه دائما ما يُصعق بشيء جديد يجدّد شعوره بالوحشة في ذلك القصر الكبير، فتلوّنت حياته بألوان الخوف، وتلاشى شعوره بالأمان، وبدا كرهه للقصر يزداد رغم أن العلة في جوفه هو... وليس في قصره. خرج في تلك الليلة بائساً وعيناه قد غاصتا في سواد جفنيه وشفتاه المتشققتان تشيان بهجره للزاد لأيام، وكأنه يعاقب نفسه أخذ «بيندكت» يسير في الشارع مراقبًا الأحصنة السوداء وهي تجر عربة إحدى اللوردات ولكنه شعر بأحدٍ يراقبه، فالتفت إلى يمينه ليرى كلباً أسود كالذي التهم «جيمس» يقف على قارعة الطريق يحدق به بعينين لامعتين تحت ضوء القمر، وسط رياح الشتاء الأخيرة، راعه بعدها صوت حركة العشب من خلفه، فاستدار وتراجع بعد رؤيته لتلك الأفعى وتفاحتها العفنة، فاغرورقت عيناه وراح يركض كالمجنون نحو وجهته.

دخل «بيندكت» حانة اللوردات بصمت وعينان غائرتان للداخل تحدقان بالأرض، وتجاهل الأنظار المستغربة من حوله وجلس على طاولة مرتفعة وحدّث النادل طالبا شرابه، وما إن آتاه الشراب حتَّى أمسك بالكأس بشره وراح يعاقره ناويا النسيان، ولم يأت في باله أن لسانه قد ينطلق بأسرار

حاول جاهداً أن يخبئها، كان «إدورد» زوج «إيفلين» جالسًا على بعد منه، فلمّا رآه اتجه نحوه وألقى عليه التحية قائلا: تعازيّ لك يا لورد «أرماروس»، لم يتسن لي أن أُعزيك بوفاة ابنة عمك وزوجتي «إيف» العزيزة.

تبسّم «بيندكت» باستهزاء واستمر يشرب، ونظر «إدورد» له بمكر ثُمّ قال: تلك الليلة، ذلك الصخب، أتيناك وتجمّعنا حول قصرك لنعزّيك.

التفت «بيندكت» إليه وقد بدأ يترنّح بالفعل، فأكمل «إدورد» وهو يقتل شاربه: ما الذي حدث؟ ما كان ذلك الصخب؟

استنشق «بيندكت» الهواء النتن من حوله، وأغمض عينيه وبدأ بالحديث.

صباح اليوم التالي...

وقف قائد فرقة الشرطة بعد أن ترجّل عن عربته وانحنى عند تلك الشجرة متأملاً الجثّة الممزقة، والتي تناثرت قطع منها في عدة مناطق من الحديقة الكبيرة المحيطة بقصر «أرماروس»، وقال: ثاني ضحيّة نجدها اليوم.

تنهّد وأكمل محدّثًا أحد رفاقه: انظر... لديه نفس العلامة على كتفه، كتلك التي وُجدت على كتف السيد «إدورد».

قال صاحبه وهو يدنو من الجنّة أكثر إن هذا مثيرٌ للريبة، مات كما مات خادمه قبل فترة!

- هذا الكلب أكثر وحشية، انظر إلى أشلاء المسكين... انتشرت في كل مكان.

عمَّ الصمت لوهلة حينما أتى رجلان وحملا الجُثّة متجهين بها إلى قسم الشرطة، وفي تلك اللحظة أتى رجلٌ أنيقٌ يحمل رسالة كانت على هيئة بطاقة سوداء مؤطّرة بنقوش ذهبية، وسلمها لقائد الشرطة، الذي قرأها وأوما برأسه قائلا لصاحبه: لقد أُقفل المحضر بالفعل... إنها أوامر من الكبار.

(٢٤)
«ملاقيكم»

عبد الملك هشام العثمان

abdulmalikalothman

ahalothman

ظلامٌ دامس، رغم أن غطائي الأبيض كان يغطّي رأسي قبل أن أغمض عيني، لكني بت أجهل مكاني وما يحصل لي كل ما حولي يدعو للقلق رغم أني أشتم ريح طيّبة.

بدأت أسمع أصواتاً غريبة.. كأنها نحيب قومٌ بُكمٌ، ولأن جسدي كان متيبّساً في مكانه دون حراك فقد اعتقدت لوهلة بأنه جاثوماً، ولكن سرعان ما تطايرت هذه الفكرة من دماغي بعد أن انتشلني أحدهم من الأرض وهرع بي مسرعًا إلى الخارج، إلى المجهول!

لم يكن شخصاً واحدًا بل كانوا عدة أشخاص شعرت بهم جميعهم رغم جهلي بهويتهم مر علي شريط حياتي كاملا في ثوان معدودة لا أتذكر بأني فعلت مصيبةً ما أو اعتديت على أحد ليتم اختطافي بهذا الشكل، حتَّى أنني مفلس من المال والممتلكات، ما الذي يحصل؟؟

تسارعت الخطوات ولا صوتاً أسمعه غير تمتمة وهمهمة وصوت دبدبة أرجلهم على الأرض، لا أعلم من هم ولكني بدأت أميز أصواتهم تدريجياً..

اشتدّ الحرّ كثيراً بفعل الصيف والتوتر، التوتر الذي لم يتوقف إلا بعد توقفهم عن المشي. وما إن شعرت بنوع من الراحة إلا وبجسدي يلقى بحفرة ضيقة كرمية يوسف في الجب، يكاد الهواء ينعدم فيها أشعر باختناق.

بدأت أصواتهم تتهافت وقد أجمعوا على أمر علي، كنت أصرخ في داخلي بعالي الصوت بعد أن أبت شفاهي أن تساعدني، لا أستطيع تحريك أي قطعة من جسدي، أعتقد بأنهم قاموا بتخديري. وبينما كنت أحاول فتح فمي وإذا به يمتلئ بمجسمات صغيرة أشبه بالرماد ليحكموا عملية إخراسي.

تعالت أصواتهم وبدا لي صوت بكاء بينهم، بدأت أسمعهم بوضوح صوت أشخاص غرباء يذكرون ربهم ويدعوه، صوت أبي أخوتي وهذا صوت

صديقي الذي ظننت أنه لن يغدر بي يوما.. لم أستطع تفسير هذا التناقض الذي يمارسوه، ولم أفهم ما الذي كان يحدث تماماً!

كنت في محاولة بحث عن هواء ولكن دون جدوى، تسارعت أنفاسي وأحسست بضيق في صدري، استنجدت وقتها بأبي قلبي النداء في نفس الثانية، سمعته يقول بنبرة أنهكها البكاء «لم أعتقد يوما أن أحمل أقرب إنسان لي على كتفي لألقيه في حفرة، كيف لنا أن نأتي بأكثر الناس الذين نحبهم ونرمي عليهم الطين والتراب ليفنوا للأبد..»

وقبل أن يكمل كلامه قاطعته صارخاً: أبي توقّف أرجوك، لِمَا تقول هذا الكلام؟؟ أنا لا زلت هنا! أرجوكم توقفوا!!

ولكن للأسف لم يسمع أبي كلمة مما قلت، أكمل بكاءه وكلامه وقال:

وبعد أن نبكي عليهم تَوَدِّعهم. ونُودِعُهُم للأرض لتقتات عليهم ديدانها.

«رحمك الله يا بني»

حينها بدأت أشعر بثقل مضاعَفُ عَلي من كلام أبي قبل أن يردموا الحفرة فوقي..

انعدمت جميع الأصوات فجأةً، لم أعد أشعر بأي شيء حولي لا صوتاً ولا هواء ولا حتَّى ضوء...

عمَّ الصمت حولي وفي داخل أحشائي، هدوء دام ثوان معدودة نتج عنه صوت صفير في أذني. وفجأة؛ وإذا بصوت عالٍ غليظ لا يمكنني وصفه يصرخ في أذني «من ربُّكَ؟؟»

والآن جاء دورك..

اكتب سرك الذي تخشى البوح به لأحد!



مبادرة مجرة الأدبية لدعم الكُتّاب الشباب

بالتعاون مع عرّاب أدب الفانتازيا العربي؛ الكاتب والروائي أسامة المسلم، تُصدر دار مجرة للنشر والتوزيع كتاب "مجرة الرعب"، والذي يضم ٢٣ قصة في أدب الرعب لنُخبة من الكُتّاب العرب الشباب.

"افتح أضواء غرفتك أو اطفئها، اجلس وحيدًا أو مع من تحب، اقرأ هذا الكتاب بسرعة أو بتأني.. كل هذا لا يهم!
لأن من خلال هذا الكتاب شعور الرهبة والخوف سيجد طريقه إليك لا محالة".



DarMajarrah
DarMajarrah.com
DarMajarrah@gmail.com

